

الكتاب: أحاديث أم المؤمنين عائشة
المؤلف: السيد مرتضى العسكري

الجزء: ٢

الوفاة: معاصر

المجموعة: مصادر الحديث الشيعية . القسم العام

تحقيق:

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤١٨ - ١٩٩٧ م

المطبعة: النهضة

الناشر: المجمع العلمي الإسلامي

ردمك: ٤-٩٦٤-٥٨٤١

ملاحظات:

كلية أصول الدين
دراسة أحاديث
أم المؤمنين عائشة

(١)

دراسات في الحديث والسيرة
أحاديث
أم المؤمنين عائشة
الجزء الثاني
تأليف السيد مرتضى العسكري

(٣)

ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة
الكتاب: أحاديث أم المؤمنين عائشة "ج ٢"

المؤلف: السيد مرتضى العسكري

الناشر: المجمع العلمي الإسلامي

الطبعة: الأولى ١٤١٨ - ٥ - ١٩٩٧ م

المطبعة: النهضة

الكمية: ٥٠٠٠ نسخة

ردمك: ٤ - ١٩ - ٥٨٤١ - ٩٦٤ (دوره مجلدين) (٢ set. voi) ٤ - ١٩ -

٩٦٤ ISBN - ٥٨٤١

يسمح طبعه بالأفست

وترجمته بعد أخذ الازن من المؤلف

عنوان المراسلة مع المؤلف

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٢٤ / ٢٤

(٤)

الاهداء

إلى ابنة خاتم الأنبياء وأم المؤمنين خديجة الكبرى وزوجة سيد الأوصياء، وأم الأئمة الأحد عشر الهداة الأصفياء وسيدة النساء.
إلى حدي فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين أهدي هذا المجهود الضئيل في سبيل تمحیص سنة الرسول (ص) المولى عز وجل القبول ومن أعلام الأمة النظر في بحوثه بتجدد علمي (فبشر عباد *
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه).

١ / صفر / ١٤١٨ هـ مرتضى العسكري

بسم الله الرحمن الرحيم
(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى بعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً) [الأحزاب: ٦].
(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتكم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلکم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألكموهن متاعاً فاسألوهون من وراء حجاب ذلکم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلکم كان عند الله عظيماً * إن تبدوا شيئاً أو تحفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً * لا جناح عليهم في آبائهم ولا أبناءهم ولا إخوانهم ولا أبناء إخوانهم ولا أبناء أخواتهم ولا نسائهم ولا ما ملكت أيمانهم واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيد * إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) [الأحزاب: ٥٣ - ٥٦]

بسم الله رحمان رحيم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاحة على خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين محمد وآلـهـ الطـاهـرـينـ والـسـلامـ عـلـىـ أـزـواـجـهـ أـمـهـاتـ الـمـؤـمـنـينـ وـأـصـحـابـهـ الـبـرـرـةـ الـمـيـامـينـ.

وبعد:

لما كانت سنة الرسول (ص) بعد كتاب الله جل اسمه هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ولجميع فنون المعرفة الإسلامية اهتم بدراستها أسلافنا جيلاً بعد جيل، ولكننا مع ذلك لم نستغن اليوم عن دراستها بما قاموا به من دراسة لنبقى على تقليلهم في علم الدراسة، كما بقيت بعض طوائف المسلمين على تقليل فقهاء مضوا قبل ألف سنة وأكثر، بل لا بد لنا من الاستمرار في دراستها - أيضاً - جيلاً بعد جيل. وأداء لهذا الواجب قمت في محاولة متواضعة بسلسلة دراسات في سبيل تمحیص سنة الرسول (ص) كان منها دراسة أحاديث أم المؤمنين عائشة التي طبع منها المجلد الأول (أدوار من حياتها) وبقي منها المجلد الثاني دراسة ما روی عنها من حديث إلى عامنا هذا سنة ١٤١٧هـ حيث قمت بتقديمها إلى الطبع بعد أن أضفت إليها بحوثاً جديدة وجدتها أيضاً ضرورية لاكمال الدراسة، وقدمت إمام البحوث في ما يأتي موجزاً من بحوث المجلد الأول وجدت في تذكاراتها ضرورة لاستيعاب البحوث الآتية.

موجز بحوث المجلد الأول
وجدنا في الجزء الأول من هذا الكتاب "أم المؤمنين عائشة" (رض) ذات مزاج حاد عصبي عنيف. فيها حدة طبع، وحدة ذكاء مع غيرة شديدة. تغافر على زوجها الرسول (ص)، وتدفعها الغيرة إلى الحزن المفرط كل ما بنى الرسول (ص) بزوجة جديدة (١).

تعبر الواهبات أنفسهن للرسول (ص)، وتعلم بعض من تزوجها الرسول (ص) أن تقول له: (أعوذ بالله منك) فيطلقها الرسول (ص) (٢). وتكسر أواني زوجات الرسول (ص) الالاتي كن يعيشن في يومها بطعم إليه (٣)، و تتعقب الرسول (ص) إذا انسنل من فراشه للصلوة في ليلتها، وإلى البقيع إذا ذهب للاستغفار لأهل البقيع، وتجزع من ولادة إبراهيم من مارية، فيحول الرسول (ص) مارية إلى مشربة له في العالمية (٤).
ووجدناها تقول: (ما غرت عذ امرأة لرسول الله (ص) كما غرت على

(١) راجع: أحاديث أم المؤمنين عائشة الجزء الأول فصل: أدوار من حياتها.

(٢) ن. م، مع الواهبات أنفسهن.

(٣) ن. م، كسر أواني أزواج الرسول (ص).

(٤) ن. م، مع مارية.

خدیجة لکثرة ذکر رسول الله (ص) إیاها وثنائه علیها..) (۱).
 وتقول: ما غرت علی أحد من نساء التي (ص) كما غرت علی خدیجة
 وما رأيتها! ولكن النبي (ص) كان يکثر ذکرها وربما يذبح الشاة ثم يقطعها
 أعضاء ثم يبعثها في صدائق خدیجة، ويقول: "إني لأحب حبیبها" وتغادر من هذا
 فتقول لرسول الله (ص): "ما تذکر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين،
 هلکت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها". فيتغير وجه رسول الله (ص) ويقول
 لها: "ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ کفر بي الناس، وصدقتنی إذ کذبني
 الناس، ووأستني بما لـما إذ حرمـني الناس، ورزقـني الله عز وجل ولـدها وحرـمنـي
 أولـادـ النساء" (۲).

وكان من الطبيعي أن تزداد بهذا الكلام غیرتها كما كان يؤججها
 حدبـه (ص) علـى ابـنة خـدـیـجـة فـاطـمـة وأـوـلـادـها وـتـنـحـصـرـ ذـرـیـتـه (ص) فـیـهـمـ
 واـیـشـارـهـ (ص) صـهـرـ خـدـیـجـة عـلـیـ بـنـ أـبـیـ طـالـبـ عـلـیـ غـیرـهـ منـ کـافـةـ رـجـالـ أـصـحـابـهـ
 بـمـاـ فـیـهـمـ أـبـوـ بـکـرـ أـبـوـهـاـ حـتـیـ تـقـوـلـ لـهـ: "وـالـلـهـ لـقـدـ عـرـفـتـ أـنـ عـلـیـ أـحـبـ إـلـیـكـ مـنـ أـبـیـ
 وـمـنـیـ، مـرـتـیـنـ أـوـ ثـلـاثـاـ..." (۳).

ومن هذا وذاك اشتـدـ غـیـضـهـ عـلـیـ عـلـیـ وـأـوـلـادـهـ، - کـمـاـ وـصـفـهـ عـلـیـ - وـقـالـ:
 "فـأـدـرـکـهـ رـأـیـ النـسـاءـ وـضـغـنـ غـلـاـ فـیـ صـدـرـهـ کـمـرـجـلـ الـقـیـنـ" (۴) حـتـیـ لـاـ تـسـتـطـیـعـ
 أـنـ تـذـکـرـ اـسـمـ عـلـیـ بـخـیـرـ.

وـتـدـفـعـهـ الـغـیرـةـ لـلـعـلـمـ فـیـ دـاـخـلـ بـیـتـ الرـسـوـلـ (ص) وـتـشـکـلـ فـیـهـ حـزـبـاـ

(۱) نـ. مـ، مـعـ ذـکـرـیـ خـدـیـجـةـ.

(۲) نـ. مـ، مـعـ ذـکـرـیـ خـدـیـجـةـ بـاـجـالـهـاـ إـجـالـاـ لـاـ يـدـانـیـهـ إـجـالـاـ.

(۳) نـ. مـ.

(۴) شـرـحـ اـبـنـ أـبـیـ الـحـدـیدـ جـ ۲ / ۴۵۶ - ۴۶۰ . وـجـ ۹ / ۱۸۹ طـ. مـصـرـ سـنـةـ ۱۹۶۰ .

بمعاونة حفصة. ويفعل الحزب ما تنزل الآيات في لومهما، مثل آيات سورة التحرير، ويتوافقى الرسول (ص) ويتوافقى الخلافة أبوها أبو بكر، ويعارض على وفاطمة حكمه حتى تتوفى فاطمة وهي واجدة على أبي بكر. ويتوافقى أبوها أبو بكر فيولي الصحابي القرشي عمر بن الخطاب الخلافة.

في هذا العهد عهد الخليفتين بلغت أم المؤمنين عائشة أمنيتها، حيث رأت اندحار حزب علي وانتصار حزب أبيها، وحيث كرمها الحزب الحاكم ووقرها فأرجع إليها في الفتوى، وفضلها في العطاء على جميع المسلمين بما فيهم زوجات الرسول (ص) وذوو قرباه.

وختم الخليفة الثاني عهده بإجلالها إجلالا لا يدانيه إجلال، حيث جعل بيتها دارا للشوري، فيه يعين خليفة المسلمين.

في هذا العهد بدأ نجم أم المؤمنين يتائق في سماء المجتمع الإسلامي، وينبه ذكرها ويعظم خطرها، ويمتد الأمر كذلك إلى ست سنوات من عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الأموي، وطوال هذه المدة زهاء ثمانى عشرة سنة، كانت الخلافة ترجع إليها في ما تحتاج فتوى فتفي معتمدة التحدى عن الرسول (ص)، ومؤيدة بذلك سياسة الخلافة.

ثم تنقلب الخلافة القرشية في السنوات الست الأخيرة من حكم عثمان إلى خلافة أموية، فتعارضها سادة قريش بقيادة حزب أبي بكر وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة (رض)، التي تقود المعارضين وتحرضهم على قتل الخليفة، فطورا تخرج نعلا للرسول (ص) إلى المسجد وتقول: هذه نعل رسول الله (ص) لم تبل وقد أبلى عثمان سنته، وتارة تقول: أقتلوا نعلا فقد كفر، وبمجاهدتها زهاء ست سنوات تندفع الجماهير الإسلامية الشائرة إلى المدينة ويستولي ابن عمها طلحة

على بيت المال.

عند هذا تتجه أم المؤمنين عائشة (رض) إلى مكة للحج وترك عثمان حصيرا في بيته وهي واثقة من قتله، وبيعة الناس لابن عمها طلحة.

وبينا هي تتفاعل بعوده الخلافة إلى بيتها، وفي طريق رجوعها إلى المدينة تسمع ببيعة المسلمين عليا (ع)، فقالت لمن أخبرها: والله ليت أن هذه - السماء - انطبقت على هذه - الأرض - إن تم الأمر لصاحبك! وتعود إلى مكة، وتنقلب من محضة على قتل عثمان إلى طالبة بدمه، ويجتمع عليها ولادة عثمان المعزولون وأمية أعداء الإمام، فتسوّقهم جمیعا إلى البصرة. وفي ساحة المعركة يغلب الإمام جيشها ويعيدها إلى المدينة بعد أن قتل زوج اختها الزبير وابن عمها ومرشحها للخلافة طلحة في المعركة، وتعود إلى للمدينة أسيفة ثکلى، يأفل نجمها طوال عهد الإمام علي حتى إذا قتل الإمام في محرابه سجّدت لله شكرا. وتغلب على الخلافة معاوية، وسوابقه وسوابق بيته في حربهم لرسول الله (ص) في بدر وأحد والأحزاب وقبلها وبعدها ما تدینه وتدین بيته وتدحض حجته.

وفي كل أحاديث المسلمين عن تلکم الحوادث وعن أيام الرسول (ص) عامة مدح لأهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الحسن والحسين سبطي الرسول (ص)

وأمل الأمة للخلافة الإسلامية، وفي جل حديثهم ذم لأمية وعلى رأسهم أبوه أبو سفيان وأمه هند وبيته بيت أمية بما فيهم من قتل بدر: جده وحاله وأخوه وذوو قرباه عتبة وشيبة والوليد وحنظلة.

إذا فالبيت الذي يقابل معاوية هو بيت علي بن أبي طالب، ولا مناص لمعاوية وهو يريد أن يشيد حكماً أموياً يرثه الأبناء عن الآباء، ولا بد له أن ينشر بين المسلمين أحاديث في فضائل الخلفاء الثلاثة، ليدحض بذلك حجة بيت علي

وشييعته. بالإضافة إلى نشر أحاديث في ذم علي وأبيه وبيته. فأعانه على ذلك جماعة من أمثال ابن العاص وسمرة بن جندب وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة. وكم من الفرق بين أولئك وأم المؤمنين عائشة؟ فان أولئك ينشرون الأحاديث في فضل حزب أم المؤمنين، وأم المؤمنين تروي الحديث بي فضل أبيها وحزبه و (ليست الشكلي كالمستأجرة).

والمهم في ذلك الأمر كله أننا وجدنا خلال دراساتنا في الحديث والتاريخ أن أم المؤمنين عائشة كانت تعتمد حياة الرسول (ص) لكل ما تريده. فإذا أرادت أن تحرض على عثمان أخرجت نعلا وقالت: هذا نعل الرسول، وإذا أرادت تحطيم مروان ذكرت قول النبي (ص) في أبيه ولعنه إياه، وإذا أرادت أن تبين فضل عثمان وحياة حديث عن ستر الرسول (ص) فخذه عنه، بعد أن كانت مكشوفة أمام غيره، وكذلك تحدثت عن كيفية تلقى الرسول (ص) الوحي وعن صلاته وصومه وعن جهاده وغزوته وعن كل شؤون الرسول (ص) منذ بعثته إلى وفاته. وهكذا أصبح حديثها أكثر استعراضاً لحياة الرسول (ص) من أي حديث آخر.

وقد بعث لنا الرسول (ص) إماماً وقائداً وأسوة فلا بد لنا من تدارس تلك الأحاديث دراسة موضوعية للتعرف على صحيحتها من سقيمها. ولا يجدinya ترکها وإهمالها بعد أن أخذ منها قسم من المسلمين معالم سيرة الرسول (ص) ودانوا بها، وترجم المستشرقون حياة الرسول (ص) اعتماداً عليها، وتمسك بها مبلغو النصارى في نقد الإسلام وسلوك نبيه (ص).

لهذا كله لم يكن لنا بد من تجشم عناء هذا البحث، والله على ما نقول وكيل وقد أدرنا البحوث في أبواب الكتاب باذنه تعالى وفق المخطط الآتي:

مخطط البحث

(١)

ثلاثة بحوث تمهيدية

أ - ما جرى في أمر رواية الحديث.

ب - نظرية عدالة جميع الصحابة وصحة جميع ما رووا.

ج - كثرة ما روی عن أم المؤمنين عائشة وأهميتها.

(٢)

ما روی عن أم المؤمنين عائشة خاصة

أ - في سيرة النبي (ص) معها.

ب - في خبر التحرير والتخيير.

ج - في خبر المسابقة والتيمم والإفك.

خبر غزوة بنى المصطلق وروایات قصة الإفك فيها.

د - في خبر وفاة الرسول (ص).

ه - في خبر ما بعد وفاة الرسول (ص).

(١٣)

(٣)

ما روی عن أم المؤمنین عائشة وغیرها من الصحابة
في سيرة الرسول (ص)

- أ - استماع النبي (ص) الغناء و...!
- ب - الناس أعلم بأمور دنياهم!
- ج - نسيان النبي (ص) آيات من القرآن الكريم!
- د - من لعنه النبي (ص) وسبه.

(٤)

روایات افتری بها على أم المؤمنین عائشة وغیرها من الصحابة

أ - بدء نزول الوحي.

ب - بدء الدعوة.

ج - أسطورة الغرانيق.

(٥)

قيام أم المؤمنین عائشة بتمحیص سنة الرسول (ص) واستدراکها
على روایات الصحابة والتابعین

- ١ - أبي الدرداء ٢ - أبي هريرة ٣ - عروة بن الزبیر ٤ - عمر بن الخطاب
- ٥ - عبد الله بن عمر ٦ - عمرو بن العاص ٧ - مروان بن الحكم
- ٨ - كعب الأحبار وغيره

(١٤)

(٦)

أقوال المستشرقين واستفادتهم من الروايات الماضية

أ - مونتجومري وات في كتابه محمد في مكة.

ب - المستشرق ر. ف. بودلي في كتابه حياة محمد.

ج - كارل بروكلمن في تاريخ الشعوب.

د - ف. بوهل في دائرة المعارف الإسلامية.

ه - يوسف شاخت في دائرة المعارف الإسلامية.

(١٥)

الباب الأول
بحوث تمهيدية
أ - ما جرى في أمر روایة الحديث
ب - نظرية عدالة جميع الصحابة
وصححة جميع ما رووا
ج - كثرة ما روی عن أم المؤمنين
عائشة وأهميتها

(١٧)

أ - ما جرى في أمر رواية الحديث

صنف ابن الجوزي رواة الحديث الذين وقع في حديثهم الموضوع والكذب والمقلوب إلى خمسة أقسام، وقال عن القسم الثالث منهم: قوم تعمدوا الكذب الصريح لا لأنهم أخطأوا ولا لأنهم رروا عن كذاب، فتارة يكذبون في الأسانيد وتارة يسرقون الأحاديث وتارة يضعون أحاديث، وقسم هؤلاء الوضاعون إلى سبعة أقسام وقال عن القسم الثالث منهم ما موجزه: إنهم قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب. ومضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة نحتاج إلى تتمة فأتممناها! وفي ما يأتي نورد أمثلة منها باذنه تعالى:

كان غلام خليل يتزهد ويهجن شهوات الدنيا ويتقوت الباقلا تصوفا وغلقت أسواق بغداد يوم موته، وقيل له هذه الأحاديث تحدث بها من الرقائق فقال: " وضعناها لنرقق بها قلوب العامة ".

وقالوا لميسرة بن عبد الله: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: " وضعتها ارغل الناس فيها " وكان أطول الناس قياماً بليل وأكثرهم صياماً بنهار وكان يضع الحديث وضعا.

قال ابن حبان: وكان أبو بشر أحمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة وأذبهم عنها وأقمعهم لمن خالفها، وكان مع هذا يضع الحديث. قد وضع في فضائل قزوين نحو أربعين حديثاً كان يقول: " إني أحتسب في ذلك ".

وقيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: "إنني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغاري ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة". وقد حكى مؤمل بن إسماعيل أن رجلا وضع في فضائل القرآن حديثا طويلا.

كان وهب بن حفص من الصالحين، مكث عشرين سنة لا يكلم أحدا. قال أبو عروبة: "وكان يكذب كذبا فاحشا". وكان يحيى بن سعيد القطان يقول: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه في من ينسب إلى الخير والزهد (١). ***

كانت تلكم أمثلة من أخبار من وضع الحديث من أهل الخير تقربا إلى الله تعالى، ويسوغ لنا أن نعد من هذا الصنف ممن وضع الحديث تقربا إلى الله، وضع أخبار وكرامات لبعض الناس تقربا إلى الله كما نجد ذلك في ما جاء في كتاب الاحياء لأبي حامد الغزالى. فمن كان الغزالى؟ وما هي أخباره؟ وماذا جاء في كتابه الاحياء؟

أولا: أبو حامد الغزالى وأخباره:

الشيخ أبو حامد محمد الطوسي الملقب بحجۃ الاسلام الغزالی نسبة إلى عمل أبيه في غزل الصوف، ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ. برع في علوم عصره وكان فقيه عصره على مذهب الشافعی، حتى قيل فيه هو الشافعی الثاني. ولد الوزیر نظام الملک تدریس مدرسة النظامية ببغداد فدرس فيها زمانا، ثم آناب أخاه أحمد في

(١) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ / ٤٠ - ٤١ ط. الأولى في المدينة المنورة ١٣٨٦.

التدريس بالنظامية، وسافر للحج وعاد إلى الشام سنة ٤٨٨هـ، واعتكف في زاوية بالجامع الأموي، وصار يطوف المشاهد ويزور الترب وياوئي إلى القفار، وسافر إلى بغداد ثم إلى طوس وألف في هذا العهد كتابه "إحياء علوم الدين" وتوفي بطوس سنة ٥٠٥هـ (١).

ثانياً: ما جاء في كتابه احياء علوم الدين:

قال أبو حامد الغزالى في بيان علاج حب الجاه: ان أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتني به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير، كما فعل بعضهم، فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه، فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج، فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا: انه طرار.

وقال العلامة ابن الجوزي البكري الحنبلي (ت ٥٩٧هـ) عن الغزالى في كتابه تلبيس إبليس في الرد على الصوفية:

ولقد عجبت لأبي حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبيهم حتى أنه قال: لا ينبغي للمريد إذا تاقت نفسه إلى الجماع ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين (٢)؟

وقال أبو حامد: مما ينبغي أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فإنه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى (٣). وحكى عن أبي يزيد أنه قال: دعوت نفسي إلى الله عز وجل فجمحت

(١) ترجمة الغزالى في مقدمة الجزء الأول من احياء علوم الدين ط. دار المعرفة - بيروت. ومن هذه الطبعة نقل في ما يأتي من هذا البحث.

(٢) تلبيس إبليس ط. بيروت ١٣٦٨هـ ص ٢١٣.

(٣) تلبيس إبليس ص ٢٩٥.

فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك (١). وقد حكى أبو حامد الغزالى في كتاب الاحياء قال: كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام، فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع، قال: وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر.

وعلق ابن الجوزي على هذا بقوله: أتعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد، كيف حكى هذه الأشياء ولا ينكرها؟ وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات: ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه، وان رأى الكبراء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك، وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء وتنظيفه وكنس المواقع القدرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان، وان رأى شره الطعام غالبا عليه ألمه الصوم، وان رأاه عزبا ولم تكسر شهوته بالصوم أمره أن يفتر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء وينعنه اللحم رأسا؟

قلت: وأني لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة؟ وكيف مجل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضًا شديدا؟ وكيف يحل رمي المال في البحر؟ وقد نهى رسول الله (ص) عن إضاعة المال. وهل يحل سب مسلم بلا سبب؟ وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك؟ وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج؟ وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب؟

(١) تلبيس إبليس ص ٢١٠.

فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف (١)؟
وقال: وقد قال أبو حامد الغزالى في كتاب الاحياء: مقصود الرياضة
تفریغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة في مكان مظلم وقال فإن لم يكن مكان مظلم
فيلف رأسه في جبته أو يتذر بكساء أو أزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء
الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية.

وقال، قلت: انظر إلى هذه الترتيبات، والعجب كيف تصدر من فقيه عالم؟
ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق وأن الذي يشاهده جلال الربوبية؟ وما
يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة؟ وهذا الظاهر ممن
يستعمل التقلل في المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا. وقد يسلم الانسان في مثل
هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء
- إلى قوله -: فإن أطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى
خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية، إلى غير ذلك. نعوذ بالله من
هذه الوساوس والخيالات الفاسدة (٢).

وقال: وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب الاحياء: ان بعضهم قال:
للربوبية سر لو أظهر بطلت النبوة، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله
سر لو أظهروه لبطلت الاحكام.

قلت: فانظروا اخواني إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة ان
ظاهرها يخالف باطنها (٣).

تال أبو حامد: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير، فقيل له: لو سالت الله ان

(١) نفس المصدر السابق / ٣ - ٢٨٨.

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٣) ن. م.

يرده عليك، فقال: اعترافي عليه في ما يقضي أشد على من ذهاب ولدي (١). وحكي أبو حامد الغزالي عن ابن الگرني أنه قال: نزلت في محله فعرفت فيها بالصلاح فنشب في قلبي فدخلت الحمام وعinet على ثياب فاخرة فسرقتها ولبسها ثم لبست مرتقعي وخرجت فجعلت أمشي قليلاً قليلاً فلحقوني فنزعوا مرتقعي وأخذوا الثياب وصفعونني فصرت بعد ذلك أعرف بقصة الحمام فسكت نفسي.

قال أبو حامد: فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس. وأرباب الأحوال ربما عالجو أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير، كما فعل هذا في الحمام.

قلت: سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء، فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل. والعجب منه أنه يحكى ويستحسن ويسمى أصحابه أرباب أحوال، وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه؟ وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي..؟ وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق؟ وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله في الأرض؟ ولو أن رجلاً وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلصمها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك. ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه؟ ثم في نص مذهب أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده. ثم من أرباب الأحوال حتى يعملا بواقعاتهم؟ كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه. فعجبني من هذا الفقيه المستلب

(١) تلبيس إبليس ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبي من هذا المستلب الشياب (١).
وقال: وحکی أبو حامد: أن أبا تراب النخشي قال لمريد له: لو رأيت أبا
يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة.
قلت: وهذا فوق الجنون بدرجات (٢).
كان ذلکم بعض ما نقله ابن الجوزي من كتاب الاحیاء، ونضیف إليها ما
يأتي ونقول:

ومن کمال عرفان الغزالی قوله في إحياء علوم الدين:
فان قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به؟ قلنا: لم يثبت
أصلا فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة، لأنه لا تجوز
نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق.
فان قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين لعنه الله؟ أو الأمر بقتله لعنه
الله؟ قلنا: الصواب أن يقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله، لأنه
يتحمل ان يموت بعد التوبة.

ومن کمال عرفانه أيضا انه روى حديثا على رسول الله (ص) لا أصل له
وقال: وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احترافه فيه إلى حد كان
يخشى منه في بعض الأحوال ان يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه. فلذلك كان يضرب
بيده على فخذ عائشة أحيانا ويقول: (کلميني يا عائشة) لتشغله بكلامها عن
عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه.

وقال العالمة زین أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العرفي (ت ٨٠٦٥) في
تخریج ما في الاحیاء من الاخبار: حديث: كان يضرب يده على فخذ عائشة

(١) تلیس إبلیس ص ٣٥٥.

(٢) ن. م ص ٣٥٤. وفيه بعض الاختلاف مع ما نقلناه من الاحیاء.

أحياناً ويقول: (كلميني يا عائشة) لم أجد له أصلاً (١).
أقول: وأنا - أيضاً - لم أجد له أصلاً، والسبب في ذلك أنه لا أصل له،
ولكن العلماء بعد الغزالى اعتمدوا على نقله ونسبوا هذا الحديث إلى رسول
الله (ص) مثل المولى مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ هـ) الذي أسنده هذا الحديث إلى رسول
الله (ص) في كتابه جامع السعادات وابنه الملا احمد النراقي (ت: ١٢٤٥ هـ)
الذى نقل الحديث في كتابه معراج السعادة (٢).

وهكذا شحن الشيخ أبو حامد كتابه أحياء علوم الدين بأمثال تلكم
المفتريات والمختلقات وأخذ منه من أخذ من العلماء. ونحن لا نشك أن الغزالى
كتب ما كتب في الاحياء من كل كذب وافتراء وتلليس احتساباً للخير وبقصد
التقرب إلى الله في تربية السالكين إليه. ولا يمنعنا ذلك من أن ندرس ما روى ونقل
خبراً بعد خبر ونبين زيفه ومخالفته للحق وأحكام الإسلام وعقائده.
وكان الغزالى من أعاظم العلماء في عصره ومن أئمة أهل العرفان في دهره،
وافترى بها على رسول الله (ص) وأصحابه وأئمة أهل بيته مما درسناه في سلسلة
دراسات في سبيل تمحيق سنة الرسول (ص).
* * *

كان ذلك شأن من تأول الخبر واجتهد ودون في كتب العرفان والسير
والسلوك ما لا يوافق شرع الإسلام. وفي ما يأتي نستعين الله وندرس في البحوث
الآتية ما روي عن الصحابة من حديث بعد دراسة ما قاله العلماء في شأن عدالة
الصحابة.

(١) المصدر السابق ج ٣ / ١٠١ وبهامشه قول العلامة العرفى حول ما رواه الغزالى عن
أم المؤمنين عائشة.

(٢) راجع مصادر النراقيين في " قيام الأئمة بإحياء السنة "، ٧ / ٦٤ - ٦٦.

ب - نظرية - عدالة جميع الصحابة وصحة جميع ما رووا
الصحابي وعدالته في مدرسة الخلافة:
ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمنا به، ولو ساعة
من نهار، ومات على الإسلام.
وانه لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي (ص)
حجـة الوداع.

وأنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلا دخل في
الإسلام.

وانهم (كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلا الصحابة) وبهذه القاعدة عدوا جميعا
في عداد الصحابة ممن برهنا في كتابنا: "خمسون ومائة صاحب مختلف" أنهم
مختلفون ولم يكن لهم وجود في التاريخ.

وترى أن جميع الصحابة عدول لا يتطرق إليهم الجرح، ومن انتقص أحدا
منهم فهو من الزنادقة، ثم يلتزمون بصحة كل ما رواه من سمي في اصطلاحهم
بالصحابي، ويأخذون من جميعهم معالم دينهم (١).

(١) الإصابة ج ١ / ١٠ - ١٨.

الصحابي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

ترى مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن لفظ الصالحي ليس مصطلحا شرعا، وإنما شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، و (الصالحي) في لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته، والصحبة نسبة بين اثنين، ولذلك لا يستعمل الصالحي وجمعه الأصحاب والصحابة في الكلام إلا مضافا، كما ورد في القرآن الكريم: (يا صاحبي السجن) (يوسف / ٣٩ و ٤١) و (أصحاب موسى) (الشعراء / ٦١). وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول (ص) ويقال: صاحب رسول الله، وأصحاب رسول الله، مضافا إلى رسول الله (ص) أو مضافا إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصفة) لمن كانوا يسكنون صفة مسجد الرسول (ص) ثم استعمل الصالحي بعد رسول الله (ص) بلا مضاف إليه وقصد به أصحاب رسول الله (ص) وصار اسما لهم، وعلى هذا فإن (الصالحي) و (الصحابي) من اصطلاح المترسعة وتسمية المسلمين وليس اصطلاحا شرعا.

أما عدالتهم، فإن مدرسة أهل البيت ترى تبعا للقرآن الكريم، أن في الصحابة منافقين (مردوا على النفاق) (١) ورموا فراش رسول الله (ص) بالإفك (٢) وحاولوا اغتيال رسول الله (٣) وأخبر عنهم الرسول (ص) أنهم يوم القيمة يختلجون دون رسول الله (ص) فينادي: أصيحا بي أصيحا بي، فيقال له:

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) النور: ١١ - ١٧.

(٣) مسند أحمد ٥ / ٤٥٣، وجمع الزوائد ١ / ١١٠، وغازي الواقدي ٣ / ١٠٤٢ وإمتناع الأسماع للمقرئي ص ٤٧٧، وتفسير الدر المنشور للسيوطى ٣ / ٢٥٨ - ٢٥٩، كان ذلك في مصادر مدرسة الخلفاء وفي مدرسة أهل البيت: مajar anوار: ج ٢٨ / ٩٧.

إنك لا تدرى ما أحدثوا بعده، لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (١). وأن منهم مؤمنين أثنى الله عليهم والرسول (ص) في أحاديثه، وأنهم المقصودون في ما ورد من الشناء في القرآن والحديث، وقد عين النبي (ص) العالمة الفارقة بين المؤمن والمنافق: حب الإمام علي وبغضه، كما رواه الإمام علي (٢) عليه السلام

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب: (وَكَنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دَمْتَ فِيهِمْ فَلِمَا تَوْفَيْتِنِي) ٣ / ٨٦، وكتاب الأنبياء، باب: (وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) ٢ / ١٥٦، وكتاب الرقاق، باب: في الحوض، ٤ / ٩٥، وكتاب الفتنة، باب: ما جاء في قول الله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تَصِينُنِي...) الأنفال / ٤، ٢٥، ١٤٧، والترمذى، أبواب: صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الحشر ٩ / ٢٥٦، وابن ماجة، كتاب المنسك، باب: الخطبة يوم النحر، ح ٣٠٥٧ / ٢، ١٠١٦. وراجع: مسند أحمد ج ١ / ٤٥٣ و ج ٣ / ٢٨ و ج ٥ / ٤٨. وصحيح مسلم، ط. دار أحياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٩٧٢، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا، ج ٤ / ٤٠ ح ١٨٠٠.

(٢) الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم الرسول (ص): ولد في جوف الكعبة، كما رواه الحاكم في المستدرك ج ٣ / ٤٨٣، والمالكى في الفصول المهمة. وابن المغازى الشافعى (ت: ٤٨٣) في المناقب، ح ٣ ص ٧. والشبلنجي في نور الأبصار ص ٩٦. وكانت ولادته في ١٣ رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. وبايعه المهاجرون والأنصار سنة ٥٣٥. وضربه ابن ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة في محراب مسجد الكوفة، وتوفي في يوم ٢١ منه. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٦ حديثاً. راجع: ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وص ٢٧٦ من جوامع السيرة.

وروايته في المناقين في صحيح مسلم ج ١ / ٦١، باب: الدليل على أن حب الأنصار على من الإيمان وبغضهم من علامات النفاق. وصحيح الترمذى ج ١٣ / ١٧٧، باب: مناقب علي. وسنن ابن ماجة الباب الهاディ عشر من مقدمته. وسنن النساءي ج ٢ / ٢٧١، باب: عالمة المؤمن وباب: عالمة المناقق كتاب الإيمان وشرائعه وخصائص النساءي ص ٣٨. ومسند أحمد ج ١ / ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨٠. وتاريخ بغداد ج ٢ / ٢٥٥ و ج ٨ / ٤١٧، و ج ١٦ / ٤٢٦. وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ٤ / ١٨٥ وقال: حديث صحيح متفق عليه. وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ / ١٩٨. وتاريخ ابن كثير ج ٧ / ٣٥٤، وبترجمته في كل من الاستيعاب ج ٢ / ٤٦١ وأسد الغابة ج ٤ / ٢٩٢. وكتن العمال ج ١٥ / ١٠٥. والرياض النضرة ج ٢ / ٢٨٤. والمناقب لأبن المغازى، ص ١٩٠ ح ٢٢٥.

وأم المؤمنين أم سلمة (١) وعبد الله بن عباس (٢) وأبو ذر الغفارى (٣) وأنس بن مالك (٤) وعمران بن حصين (١٥) ومن ثم فإنهم ينظرون في حال الراوى، فإن كان

(١) أم سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة القرشي المخزومي، كانت قبل رسول الله (ص) عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أسلمما قديماً وهاجراً إلى الحبشة ثم إلى المدينة، ولما جرح بأحد وتوفي سنه ثالث من الهجرة، تزوجها رسول الله (ص) وكانت مصيبة، وتوفيت بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين. روى عنها أصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثاً. راجع ترجمتها وترجمة زوجها بأسد الغابة، وجامع السيرة، ص ٢٧٦، وتقريب التهذيب ج ٢ / ٦١٧. وحديثها في شأن المنافقين في سنن الترمذى ج ١٣ / ١٦٨. ومسند أحمد ج ٦ / ٢٩٢. والاستيعاب ج ٢ / ٤٦٠، بطرق متعددة. وتاريخ ابن كثير ج ٧ / ٣٥٤. وكتنز العمال ٦ / ١٥٨ ط. الأولى.

(٢) عبد الله بن العباس عم النبي ابن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة والإصابة وجامع السيرة ص ٢٧٦.

(٣) أبو ذر جندي أو بريد بن جنادة أو عبد الله أو السكن أو غير ذلك، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله. توفي منفياً بالربذة سنة اثنين وثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً. ترجمته في التقريب ج ٢ / ٤٢٠. وجامع السيرة ص ٢٧٧. والجزء الثاني من عبد الله بن سبأ.

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنباري الخزرجي، روى هو أنه خدم النبي عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للمعمة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الإمام علي عليه لكتمانه الشهادة بحديث الغدير أن يضر به الله بيضاء لا تواريها العمامة، أشار إليه في الاعلاق النفيضة ص ١٢٢، وتفصيله بشرح نهج البلاغة ج ٤ / ٣٨٨، وتوفي في البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة. والتقريب.

وجامع السيرة ص ٢٧٤. وروايته في شأن المنافقين بكتنز العمال ج ٧ / ١٤٠ ط. الأولى.

(٥) أبو نجید عمran بن حصين الخزاعي الكعبي، أسلم عام خير، وصاحب الرسول (ص) وقضى بالكوفة، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨٠ حديثاً. وروايته بشأن المنافقين بكتنز العمال ج ٧ / ١٤٠ ط. الأولى. ترجمته في التقريب ج ٢ / ٧٢. وجامع السيرة ص ٢٧٧.

ممن قاتل الامام علياً أو الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وعاداهم فإنهم لا يلتمرون بأخذ ما يروي أمثال هؤلاء، صحابياً كان أو غير صحابي.

(٣١)

ج - كثرة ما روي عن أم المؤمنين عائشة وأهميته
أولاً: كثرة ما روي عن أم المؤمنين عائشة:
رووا عن أم المؤمنين عائشة - وحدها - عن النبي (ص) ٢١٠ حديثاً،
وعن سائر أمهات المؤمنين الشمان ٦١٢ حديثاً (١)، ولها في مسنن أحمد وحده أكثر
من ٢٢٧٠ حديثاً بما فيها المكرر وسائر أمهات المؤمنين ٤٢٧ حديثاً (٢) وقد
اشتمل كتاب البخاري ومسلم على ١٢٠٠ حديث في الأحكام، وفي الكتابين
نيف وتسعون ومائتاً حديث عن أم المؤمنين عائشة، ولم يخرج من الأحكام منها
إلا يسيراً ومن ثم قالوا: حمل منها ربع الشريعة (٣).

ومن هذا يظهر الفرق جلياً بين أحاديثها وأحاديث غيرها من المكثرين
كأبي هريرة - مثلاً - فإنهم ما كانوا يأخذون بكل حديث أبى هريرة إلا ما كان
حديث صفة جنة أو نار أو حث على عمل أو نهي عن شر جاء في القرآن (٤).
وفي ما يأتي خلاصة عن أحاديث أمهات المؤمنين استخر جنابها من مسنن

(١) جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٧٦ - ٢٧٩ - ٢٨٥ و ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٨٩.

(٢) أحصيناها عن الطبعة الأولى من مسنن أحمد وفي أحاديث المسنن بعض التكرار.

(٣) الإجابة ص ٦٢ - ٦٣.

(٤) راجع: ابن كثير ج ٨ / ١٠٩.

أحمد و جوامع السيرة:

- ١ - أم سلمة: لها في مسنن أحمد ٢٧٧ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٣٧٨ حديثا.
- ٢ - ميمونة: لها في مسنن أحمد ٦٢ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٧٦ حديثا.
- ٣ - حفصة: طا في مسنن أحمد ٤٤ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٦٠ حديثا.
- ٤ - أم حبيبة: لها في مسنن أحمد ٢٧ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٦٥ حديثا.
- ٥ - صفية: لها في مسنن أحمد ٩ أحاديث، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ١٠ أحاديث.
- ٦ - زينب: لها في مسنن أحمد ٤ أحاديث، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ١١ حديثا.
- ٧ - جويرية: لما في مسنن أحمد ٤ أحاديث، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٧ أحاديث.
- ٨ - سودة: لم يخرج لها في المسند، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٥ أحاديث.

فيكون مجموع أحاديثهن في مسنن أحمد ٤٢٧ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٦١٢ حديثا.

أما أحاديث عائشة وحدها فهي في مسنن أحمد ٢٢٧٠ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٢٢١٠ حديثا.

ثانياً: أهمية أحاديث أم المؤمنين عائشة:

قال أبو موسى: ما أشـكـلـ عـلـيـنـاـ أـمـ فـسـأـلـنـاـ عـنـهـ عـائـشـةـ إـلـاـ وـجـدـنـاـ عـنـدـهـاـ فـيـهـ عـلـمـاـ (١ـ).

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله (ص) ولا أفقه في رأي إن احتج إلى رأيه ولا أعلم بأية فيما نزلت ولا فريضة، من عائشة (٢ـ).

قال مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض (٣ـ) ويعني بالمشيخة الأكابر من ذكره محمود بن لبيد في حديث له (٤ـ) قال فيه: وكان الأكابر من أصحاب رسول الله (ص) عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن.

وقال قاسم (٥ـ): " كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت يرحمها الله ".

وقد روى عنها من الصحابة خاصة أبوها أبو بكر وال الخليفة عمر وابنه عبد الله وابن عباس وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص وربيعة بن عمرو الجريشي والسائب بن يزيد وزيد بن خالد الجهنمي وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الله بن الحارث بن نوفل وصفية بنت شيبة. وروى عنها من التابعين خلق

(١ـ) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٧٥ و ج ٤ / ٣٤٥ بترجمتها من الإصابة، والإجابة ص ٦١.

(٢ـ) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٧٥ و ج ٤ / ٣٤٥ بترجمتها من الإصابة، والإجابة ص ٦١.

(٣ـ) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٧٥ و بترجمتها في الإصابة ج ٤ / ٣٤٥.

(٤ـ) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٧٥ .

(٥ـ) نفس المصدر.

كثير (١).

وكان ابن الزبير إذا حدث عن عائشة قال: والله لا تكذب عائشة على رسول الله (ص) أبداً (٢).

وكان مسروق إذا حدث عنها قال: " حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من كل عيب " (٣).

سجلها ابن حزم في مقدمة أصحاب الفتيا من الصحابة الذين كتبهم على مراتبهم في كثرة الفتيا (٤).

فكيف أصبحت أكثر الصحابة افتاء بما في ذلك الصحابة الخلفاء الذين كان المسلمون يرجعون إليهم في شؤونهم؟ وكيف بلغ مجموع أحاديث أزواج الرسول الشمان ٦١٢ حديثاً، وبلغ أحاديثها وحدها ٢٢١٠ حديثاً؟ وقد دخلت بيت

الرسول (ص) في السنة الثانية من الهجرة ولم تتجاوز العام العاشر من عمرها وهي طفلة صغيرة تلعب باللعب، وتوفيت في السنة الثامنة أو التاسعة والخمسين من الهجرة. ودخلته أم سلمة أيضاً في السنة الثانية وهي امرأة كبيرة ايمه، ثم عاشت بعد عائشة ثلاث سنين حيث توفيت في السنة الثانية والستين أو الثالثة والستين من الهجرة. والفرق بين أحاديثهما كبير، وكيف كانت لا تسأل عن أمر إلا وعندها علم منه؟

ألا ينبغي لأحاديث بلغت من الكثرة والأهمية ما بلغته أحاديث أم المؤمنين عائشة ان تعنى بدراستها عنابة خاصة؟ أما أصحاب الحديث الذين

(١) ب راجع: الإجابة ص ٤١ وقد عد تسعين من التابعين الذين رووا عنها.

(٢) بترجمتها في طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٦ بترجمة عائشة والإجابة ص ٤٢ .

(٤) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣١٩ .

كانوا يدرسون الرواية وأحاديثهم فإنهم أحجموا عن ذلك!
الصحابة يسمع الحديث بعضهم عن بعض ثم يسنده إلى رسول الله (ص)
ويرويه عنه:

أخرج أحمد في مسنده عن حبيب بن عبيد الرحببي أن أبا اماما (١) دخل على خالد بن يزيد فالقى له وسادة فطن أبو اماما انها حرير ففتحى يمشي القهقرى حتى بلغ آخر السمات و خالد يكلم رجلا ثم التفت إلى أبي اماما فقال له: يا أخي ما ظنت انها حرير، قال أبو اماما، قال رسول الله (ص): "لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله" فقال له خالد: يا أبا اماما أنت سمعت هذا من رسول الله (ص)? فقال: اللهم غفرا، أنت سمعت هذا من رسول الله (ص)! بل كنا في قوم ما كذبونا ولا كذبنا (٢).

وقد أخبروا أن جمعا من الصحابة رروا عن عائشة ولم يذكروا أنها روت من أحد شيئا.

ووجدنا أم المؤمنين عائشة أميرة متبوعة لا مأمورة تابعة، سواء في ميادين الهرب أو في مجالات السلم، سواء كانت معارضة للحكم أو مؤيدة له، وكذلك كانت أم المؤمنين في سائر نواحي حياتها تحدث عن النبي (ص) وكثير من الصحابة كانوا يأخذون عنها ويرجعون إليها، وأحيانا كانوا يرثون عن

(١) أبو اماما الباهلي اسمه صدي بن عجلان واحتلقو في نسبة إلى باهله - سكن مصر ثم انتقل منها إلى حمص فسكنها ومات بها سنة ٨١ أو ٨٦ وكان من المكترين في الرواية عن رسول الله (ص) وأكثر حديثه عند الشاميين الاستيعاب ج ٢ / ٦٢٠ الرقم ٣.

(٢) مسنند أحمد ج ٥ / ٢٦٧.

النبي (ص) بلا ذكر واسطة ما كانوا قد سمعوه عنه بواسطة، فإذا وجدنا الحديث ترويه عائشة ويرويه غيرها فنجزم بأنها لم تكن تأخذ من غيرها في الرواية ولا بد أن يكون غيرها قد أخذ الرواية عنها ولم يذكر اسمها ونسبها إلى الرسول (ص).

(٣٧)

الباب الثاني

ما روی عن أم المؤمنین عائشة خاصة

- أ - في سيرة النبي (ص) معها
- ب - في خبر التحریم والتخییر
- ج - في خبر المسابقة والتیمم والإلک
- د - في خبر وفاة الرسول (ص)
- ه - في خبر ما بعد وفاة الرسول (ص)

(٣٩)

أ - في سيره النبي (ص) معها
أولا - رآها النبي (ص) في المنام قبل أن يتزوجها
في صحيح البخاري وغيره واللفظ للبخاري عن عائشة (رض) قالت:
قال لي رسول الله (ص): "رأيتك في المنام يجئ بك الملك في سرقة من
حرير فقال لي: هذه أمرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي فقلت: إن
يک هذا من عند الله يمضه".
وفي صحيح مسلم:
"ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير" (١).
وفي صحيح الترمذى:
عن عائشة أن جبرائيل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى
النبي (ص) فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة (٢).

-
- (١) صحيح البخاري ج ٣ / ١٦٥ كتاب النكاح (باب النظر إلى المرأة قبل التزويج)
و ٣ / ١٦٠ (باب نكاح الابكار)، وكتاب تعبير الرؤيا (باب كشف المرأة في المنام)
و صحيح مسلم ج ٤ / ١٨٨٩ كتاب فضائل الصحابة، ومسند أحمد ج ٦ / ٤١ و ١٢٨
و ١٦١، وفي كتاب الإجابة ص ٥٢ - ٥٣، وكذلك بترجمتها في طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٤
و سيرة ابن إسحاق ص ٢٣٩ .
- (٢) الترمذى كتاب المناقب ج ١٣ / ٢٥٦، والاستيعاب ج ٢ / ٧٤٤، وأسد الغابة
ج ٧ / ١٧٩، والمستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبي ج ٩ / ٤ وفي كنز العمال ج ١٣ / ١١٩
ط. حيدر آباد سنة ١٣٨٥ هـ، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ١١٧ .

هذه أصل الرواية وقد رواها جمع من المحدثين من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وسائر الموسوعات الحديبية عن أم المؤمنين وحدها. وكان شأن هذه الرواية شأن غيرها من الروايات الالاتي يعجب بها المنقبون فيوسعونها.

فقد رروا عن أبي هريرة أنه قال: " ان طول تلك الخرقة ذراعان وعرضها شبر " (١).

وعن حبيب مولى عروة بن الزبير أنه قال: " لما ماتت خديجة حزن عليها النبي (ص) فأتاه جبريل بعائشة في مهد، فقال: هذه تذهب ببعض حزنك وان فيها لخلفا عن خديجة " (٢). قال الزركشي تعليقا على الحديث: " فيحتمل انها عرضت عليه مرتين لما يدل عليه اختلاف الحال ويشهد له رواية البخاري مرتين " (٣).

واستفادوا من هذا الحديث حكما شرعا، قال الزركشي - أيضا -: " وقد أدخله البخاري في باب النظر إلى المرأة إذا أراد تزويجها، قال بعضهم: وهو استدلال صحيح لأن فعل النبي (ص) في النوم واليقظة سواء وقد كشف عن وجهها ".

هذا بعض ما قالوه حول هذه الروايات فما العادة من روايتها؟

(١) الإجابة للزركشي ص ٥٣، وروى - أيضا - غير هذه الأحاديث في هذا الباب.

(٢) الإجابة للزركشي ص ٥٣، وروى - أيضا - غير هذه الأحاديث في هذا الباب.

(٣) الإجابة ص ٥٣.

الغاية من رواية الأحاديث السابقة:

لعل الهدف من نشر الروايات السابقة معارضه أم المؤمنين زينب في ما كانت تفخر به على سائر أمهات المؤمنين، فقد كان في قصة زواجهها للنبي (ص) مداعاه فخر لها ولقبتها بني أسد كما ذكروا في قصتها وقالوا:

كانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله (ص) إلى المدينة وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله (ص) على زيد بن حارثة وقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم (١) قريش.

قال: "فاني قد رضيته لك" فزوجها زيد بن حارثة وكان مولى رسول الله (ص) وقد تبناه، فتروجت زيدا على كره منها حتى جاء زيد إلى رسول الله (ص) يشتكيها.

وروى قصتها مولاها مذكور عنها أنها قالت:

"خطبني عدة من قريش فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله (ص) أستشيره، فقال لها رسول الله (ص): "أين هي من يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها (ص)؟".

قالت: ومن هو يا رسول الله؟

قال: "زيد بن حارثة".

قالت: فغضبت حمنة غضبا شديدا فقالت: يا رسول الله أتزوج ابنة عمتك مولاك؟!

قالت: وجاءتني فأعلمتهني فغضبت أشد من غضبها فقلت أشد من قولها

(١) الأيم المرأة أو الرجل لا زوج لها أو له.

فأنزل الله عز وجل: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية، قالت: فأرسلت إلى رسول الله (ص) فقلت: اني استغفر الله وأطيع الله ورسوله، افعل يا رسول الله ما رأيت.

فزوجني رسول الله (ص) زيدا فكنت أزرا عليه فشكاني إلى رسول الله (ص) فعاتبني رسول الله (ص) ثم عدت فأخذته بلسانني فشكاني إلى رسول الله (ص).

فقال رسول الله (ص): " أمسك عليك زوجك واتق الله" فقال: أنا أطلقها، قالت: فطلقني... " (١).

وروى أنس بن مالك (٢) وقال:

"لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله (ص) لزيد بن حارثة: " اذهب فاذكرني طا" - قال زيد -: فلما قال ذلك رسول الله (ص) عظمت في نفسي فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب بعث رسول الله (ص) يذكرك فقالت: ما كنت لأحدث شيئا حتى أؤامر ربى عز وجل، فقامت إلى مسجدها فأنزل الله عز وجل هذه الآية: (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناها) فجعل رسول الله (ص) يدخل عليها بغير اذن".

وفي رواية مذكور السابقة بعد قولها: " فطلقني ":

" فلما انقضت عدتي لم أعلم إلا ورسول الله (ص) قد دخل علي بيتي وانا مكسوفة الشعر فعلمت انه أمر من السماء فقلت: يا رسول الله بلا خطبة ولا اشهاد؟ فقال: الله زوج وجبريل الشاهد".

ويذكر الرواية ان نزول الوحي على رسول الله (ص) بشأنها كان في بيت

(١) في ترجمتها من حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ / ٥٢.

(٢) حلية الأولياء ج ٢ / ٥٢.

عائشة كما روى ابن سعد في طبقاته وقال:
" بينما رسول الله (ص) جالس يتحدث مع عائشة أوحى الله إليه في زينب:
(إذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية،
قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم
الأمور وأشرفها ما صنع لها، زوجها الله من السماء وقلت: هي تفخر علينا
بهذا" (١).

وقالت أم المؤمنين عائشة - أيضا -:

" لم يكن أحد من نساء النبي (ص) تساميني في حسن المنزلة عنده غير
زينب بنت جحش، وكانت تفخر على نساء النبي (ص) فتقول: إن اباءكن
أنكحوكن وان الله أنكحني إياه من فوق سبع سماوات" (٢).

وأنخبرت أم سلمة عن ذلك كما رواه - أيضا - ابن سعد في طبقاته (٣) عن
أم سلمة انها ذكرت زينب بنت جحش فترحمت عليها وذكرت بعض ما كان
يكون بينها وبين عائشة، فقالت زينب: اني والله ما انا كأحد من نساء رسول
الله (ص) انهن زوجهن بالمهور وزوجهن الأولياء وزوجني الله رسوله، " وانزل في
الكتاب يقرأ به المسلمين لا يبدل ولا يغير:

(إذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق
الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى
زيد منها وطرا زوجناها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعیائهم
إذا قضوا منها وطرا وكان أمر الله مفعولا) [الأحزاب: ٣٧].

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٠٢ ومستدرك الحاكم ج ٤ / ٢٤.

(٢) بترجمة زينب من الاستيعاب وقريب منه بترجمتها من حلية الأولياء ج ٢ / ٥٣.

(٣) بترجمة زينب من طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٠٣.

لم يقتصر الامر على مفاحرة زينب أم المؤمنين عائشة داخل بيوت أزواج النبي (ص) وإنما تعداه إلى الخارج، فقد روى ابن سعد - أيضاً - في طبقاته " إن رجلاً من بنى أسد فاخر رجلاً، فقال الأستاذ: هل منكم امرأة زوجها الله من فوق سبع سماوات؟ يعني زينب بنت جحش " (١).

كان هذا التفاخر ينافي ما مر علينا في الجزء الأول من اقتضاء سياسة الخلفاء إلى السنة السادسة من عهد الخليفة عثمان تفضيل أم المؤمنين عائشة على جميع المسلمين بما فيهم أمهات المؤمنين وقيامهم بذلك على أحسن وجه، فقد فضلت في العطاء على جميع المسلمين بما فيهم أمهات المؤمنين وارجعوا إليها في الفتيا من بين الصحابة وسائر أمهات المؤمنين، إلى غير ذلك مما ذكرناه في بابه من الجزء الأول.

كان لا بد من علاج لهذا التفاخر الذي يخالف سياسة الخلافة القائمة، وكان علاجه نشر أمثال تلكم الأحاديث، وبعد رواية تلكم الأحاديث إن كانت أم المؤمنين زينب تفخر على نساء النبي (ص) بنزل آيات في شأنها يقرأها المسلمين، وإن كانت بنو أسد تفخر بزواجه زينب من فوق سبع سماوات، فلام المؤمنين عائشة أن تفخر بقصة صورتها في سرقة من حرير وللبعريين - أيضاً - أن يفخروا بهذه القصة بعد أن انتشر هذا الروايات في المجتمع الإسلامي.

نجحت الدعاية وانتشر هذا الخبر وجعله الزركشي من خصائص أم المؤمنين عائشة (رض) وقال:

الثانية والأربعين: إن الله تعالى اختارها لرسوله.

ونقل عن فتوح الفتوح لابن الجوزي في جواب افتخارها على عائشة: " يا زينب لقد صدقت ولقد شاركتك عائشة في أن الله تعالى بعث صورتها

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٠٣.

في سرقة من حرير مع جبريل فجلأها، فقال: "هذه زوجتك" فهذا تزويج مطوي في سر القدر ظهر أثره يوم عقد العقد غير أن عائشة كانت من اختيار الله لرسوله (ص)، وكنت يا زينب من اختيار الرسول (ص) لنفسه" (١). *

هكذا نجحت السياسة ونشرت فضيلة للمقربين إليها في قبال كل فضيلة رويت لغيرهم حتى في قبال ما جاء في القرآن الكريم ورواوه السلف للخلف جيلاً بعد جيل، وتمسك بها بعض أبناء الأمة الإسلامية ومن كان يلتزم بكل ما يقرره الحكام والتبس الأمر على كثير من المسلمين، وتعسر عليهم معرفة الحق من سيرة الرسول (ص) وتاريخ أصحابه حتى يومنا الحاضر، ولا بد لنا من تدارسها لمعرفة الصواب منها.

(١) الإجابة للزركشي ص ٧٦

ثانياً - روایات الخطبة والمؤاخاة

حديث الخطبة:

في الإصابة عن عائشة قالت:

لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مطعمون وذلك بمكة: أي رسول الله! ألا تزوج، قال: من؟ قالت: إن شئت بكرًا وان شئت ثيبًا، قال: فن البكر؟ قالت: بنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الشيب؟ قالت: سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك، قال: فاذهبي فاذكريهما علي، فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان فقالت: ما ادخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت أرسلني رسول الله (ص) أخطب عليه عائشة، قالت: وددت، انتظري أبا بكر فجاء أبو بكر فذكرت له فقال: وهل تصلح له وهي بنت أخيه، فرجعت فذكرت ذلك للنبي (ص) قال: قولي له: أنت أخي في الإسلام وابنتك تحل لي فجاء فأنكحه... الحديث (١).

(١) في الإصابة ج ٤ / ٣٤٨ - ٣٤٩ و ٧٠ وهذا سياقه: وانحرج ابن أبي عاصم من طريق يحيى القطان عن محمد بن عمرو وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة: (قالت لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم) الحديث.
وفي مسند أحمد ج ٦ / ٢١٠ عن يحيى بن عبد الرحمن وأبي سلمة مرسلاً باسقاط اسم عائشة من السنن، وجاء في أثناء الحديث هكذا: (قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا...).
قالت: فجاء رسول الله (ص)... فجاءتني... أمي...) مما يدل على أن الرواية مروية عن أم المؤمنين وان أسقط اسمها عن السنن.

نرى ان غاية الدعاية في نشر الحديث السابق معارضه الخبر الذي روتة أسماء بنت عميس، قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله (ص) فلما أصبحنا جاء النبي (ص) إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعني لي أخي فقالت: هو أخوك وتنكحه، قال: نعم يا أم أيمن، فجاء علي فنصح النبي (ص) عليه من الماء ودعا له، ثم قال: ادعني لي فاطمة، قالت: فجاءت ت عشر من الحياة فقال لها رسول الله (ص): اسكنني فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي، قالت: ونصح النبي (ص) عليها من الماء، ثم رجع رسول الله (ص) فرأى سوادا بين يديه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا أسماء، قال: أسماء بنت عميس؟ قلت: نعم، قال: جئت في زفاف ابنة رسول الله؟ قلت: نعم، فدعا لي (١).

وغاية الدعاية من نشر حديث أم المؤمنين عائشة السابق وحديثها الذي جاء في الكنز أن الرسول (ص) قال: "أبو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والآخر" (٢) هي إثبات مؤاخاة النبي (ص) لأبي بكر، ومعارضة الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي (ص) لعلي الآتي بيانها بإذنه تعالى.

مؤاخاة الرسول (ص) لابن عمه: آخر النبي (ص) ابن عمه عليا أكثر من مرة، وكانت الأولى منها في بدء الدعوة بمكة عندما نزلت عليه: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، دعا بني عبد

(١) المستدرك للحاكم ج ٣ / ١٥٩ وتلخيصه نرى ان في الحديث تصحيفا في الاسم فإن الصحيح سلمي بنت عميس زوجة حمزة سيد الشهداء أخت أسماء بنت عميس، وكن عشر أخوات لأم، وكانت أسماء بنت عميس يومذاك مهاجرة مع زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، راجع ترجمة أسماء وسلمي ابنتي عميس في أسد الغابة.

(٢) كنز العمال ج ١٢ / ١٥٧ الحديث ٧٩٠ (مر عن عائشة) ط. حيدر آباد سنة ١٣٦٤ هـ.

المطلب وقال في حديثه لهم: (قد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي...). الحديث. وكانت الثانية والثالثة في المدينة (١).

وروى خبر الثانية أبو عمر باختصار في الاستيعاب وقال: آخر رسول الله (ص) بين المهاجرين ثم آخر بين المهاجرين والأنصار وقال في كل واحدة منهما لعلي: أنت أخي في الدنيا والآخرة وآخر بينه وبين نفسه (٢).

وروى تفصيلها ابن هشام صاحب السيرة وقال: قال ابن إسحاق: وآخر رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونحوه بالله ان نقول عليه ما لم يقال: "تأخوا في الله أخوين أخوين" ثم اخذ بيده علي بن أبي طالب فقال: "هذا أخي" فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين... وعلي بن أبي طالب أخوين (٣).

وكان حمزة... وزيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حديثه به حادث الموت.

(١) أخرجه الطبرى في ج ٢ / ٢١٧ ط. المطبعة المحسنية المصرية وج ١ / ١١٧١ - ١١٧٢ ط. أوربا، وابن الأثير في ج ٢ / ٢٢ وابن كثير ج ٣ / ٤٠، وأبو الفداء ج ١ / ٢١٦، واحمد ج ١ / ١٥٩، وابن سعد ج ١ / ١٨٧، وراجع: كنز العمال ج ١٢ / ٢٠٠ و ٢٠٣، ومستدرك الحاكم ج ٣ / ١٣٣ والإصابة ج ١ / ٢٠٩ ويأتي تفصيل خبرها في روایات بدء الدعوة إن شاء الله تعالى.

ومن التفاسير في تفسير الآية من سورة الشعراة كل من الطبرى ١٩ - ٧٤ - ٧٥ والسیوطی ٥ / ٥ - ٩٧.

(٢) الاستيعاب بترجمة علي ص ٤٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ / ١٢٤.

وكان أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة وخارجة بن زيد أخوين، وعمر وعتبان أخوين. وبلال مولى أبي بكر.. وأبو روحة... أخوين - إلى قوله -: فهو لاء من سمي لنا ممن كان رسول الله (ص) آخر بينهم، فلما دون عمر بن الخطاب - الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهدا، فقال عمر لبلال: إلى من نجعل ديوانك يا بلال؟ قال مع أبي روحة لا أفارقك أبدا للاخوة التي كان رسول الله (ص) عقد بينه وبيني، فضم إليه وضم ديوان الحبشة إلى خثعم، لمكان بلال منهم، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام (١). وخبر الثالثة منها عندما تخاصم علي وزيد وجعفر في الولاية على ابنة حمزة فقال الرسول لزيد: "أنت مولاي ومولاها" وقال لعلي: "أنت أخي وصاحببي" وقال لجعفر: "أشبهت خلقي وخلقي..." (٢). وقال في غير هذا: "اللهم اشهد قد بلغت هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي..." (٣) الحديث.

وجاء خبر المؤاخاة في أحاديث كثيرة غير ما ذكرناها (٤): مثل ما رواه ابن عمر وقال: إن رسول الله (ص) آخر بين أصحابه فآخر بين أبي بكر وعمر وبين طلحة والزبير وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف فقال

(١) أخرجه ابن هشام في ج ٢ / ١٢٣ - ١٢٧ وابن كثير ج ٣ / ٢٢٦ وأخرج مختصر المؤاخاة ابن القيم في زاد المعاد ج ٢ / ٦٣.

(٢) مسند أحمد في ج ١ / ٢٣٠ والاستيعاب ص ٤٦٠ بترجمة علي (ع)، وإمتاع الأسماع ص ٣٤٠.

(٣) منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٣٢.

(٤) راجع: تاريخ الخطيب ج ١٢ / ٢٦٨ وأسد الغابة ج ٤ / ٩١ الترجمة رقم ٣٧٨٣ وابن كثير ج ٧ / ٣٣٥ والإصابة ص ٥٠١ بترجمة علي، والترمذمي في مناقب علي من كتاب المناقب ج ١٢ / ١٧٠ وتذكرة خواص الأمة ص ١٥.

علي: يا رسول الله انك قد آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال رسول الله (ص): أما ترضى يا علي أن أكون أخاك؟ قال ابن عمر: وكان علي عليه السلام جلدا شجاعا فقال علي: بل يا رسول الله! فقال رسول الله (ص): أنت أخي في الدنيا والآخرة (١).

وكان علي بياهي بهذه المؤاخاة كما ناشد أصحاب الشورى فيما روى ابن عبد البر (٢) عن أبي الطفيل قال: لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان... فقال لهم علي: أنشدكم الله هل فيكم أحد آخر رسول الله (ص) بينه وبينه إذ أخي بين المسلمين غيري؟ قالوا: اللهم لا.

وكان يقول: "أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدي إلا كذاب" (٣).

هذه الأحاديث في مؤاخاة النبي (ص) لعلي مشهورة ومنتشرة حتى أن بعضهم - كابن كثير في تاريخه - عقد بابا في هذه المؤاخاة، غير أن خصوم علي استطاعوا أن يعارضوا هذه الأحاديث بحديث أم المؤمنين عائشة في مؤاخاة النبي (ص) لأبي بكر الذي سبق ذكره، على أن الحديث المروي عن أم المؤمنين عائشة في مؤاخاة النبي (ص) أبو بكر بمكة يخالف الثابت في زمان المؤاخاة أنها كانت في المدينة، ولم يسبق ذلك من النبي في مكة في غير خبر انذاربني هاشم الآتي بيانه في بحث سيرة النبي (ص) باذنه تعالى.

(١) المستدرك ج ٣ / ١٤ وفي الترمذى ج ١٢ / ١٧٠ الحديث باختصار وليس فيه ذكر من أخي بينهم من الصحابة.

(٢) الاستيعاب ص ٤٦٠ بترجمة علي.

(٣) ابن كثير ج ٧ / ٣٣٥، كنز العمال ج ١٢ / ٢٠٧ الحديث ١١٧٩، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٣٢، سنن ابن ماجة المقدمة ج ١ / ٤٤ الحديث ١٢٠.

ثالثا - روایات و اعروساه

قال الزركشي في تعداد خصائص عائشة:

(الهادية والأربعون): إنها سمعته يقول في يوم من الأيام فقدتها:

" و اعروساه " فجمعها الله عليه (١).

و تفصيل القصة ما رواه مجاهد وقال:

قالت عائشة: خرج رسول الله (ص) فلما كنا بالسمير انصرفنا وانا على جمل، وكان آخر العهد منهم وانا أسمع صوت النبي (ص) وهو بين ظهري ذلك السمر وهو يقول: " و اعروساه " ، قالت: فوالله اني لعلى ذلك إذ نادى مناد أن القyi الخطام، فالقيته فأعقله الله بيده (٢).

أقول: إنها لعمر الحق مزية لام المؤمنين عظيمة أن يصرخ الرسول (ص) قائلًا فيها: " و اعروساه " وأن يأيتها النداء: " ألقى الخطام " فإذا ألقته أعقله الله بيده.

غير أن الرواية رويت من آخر بكيفية أخرى، كما رواها كل من ابن سعد والطبرى عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة أنها سئلت: متى بنى بك رسول الله (ص)? فقالت: لما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة خلفنا وخلف بناته، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة وبعث معه أبي رافع مولاه. وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله أمي أم رومان و أنا وأختي أسماء امرأة الزبير، فخرجننا جميعا حتى إذا كنا بالبيض من منى

(١) في الفصل الثاني من الإجابة ص ٧٥ وقال: ذكره ابن شاهين في كتاب السنة.

(٢) مسند أحمد ج ٦ / ٢٤٨ ، السمر: شجر العصا، والعصا شجر الشوك الكبير.

نفر بعيري وانا في محفظة معي فيها أمي، فجعلت أمي تقول: وا ابنته وا عروساه!
حتى أدرك بعيرنا وقد هبط من لفت فسلم الله عز وجل... الحديث (١).

وفي الاستيعاب بترجمة أم رومان عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن
عائشة قالت: لما هاجر رسول الله... الحديث (٢).

وفيه: (حتى إذا كنا بالبيداء نفر بعيري وأنا في محفظة معي فيها أمي فجعلت
تقول: وا ابنته! وا عروساه! حتى أدرك بعيرنا).

في الحديثين الأخيرين حدثت أم المؤمنين تفصيل القصة لكل من عمرة
بنت عبد الرحمن وابن عروة، وصرحت فيهما ان الصارخ وا عروساه هي أمها أم
رومأن، وليس فيهما ذكر للنداء إليها (القي الخطام) ولا (فأعقله الله بيده).

وقد حاول ابن كثير في تاريخه (٣) أن يجمع بين الحديثين المختلفين فقال: قال
الواقدي وابن حرير وغيرهما: ولما رجع عبد الله بن أريقط الدئلي إلى مكة بعث
معه رسول الله (ص) وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله (ص)

ليأتوا بأهاليهم من مكة، فذهبوا فجاءوا ببني النبي (ص) فاطمة وأم كلثوم
وزوجتيه سودة وعائشة وأمها أم رومان وأهل النبي، وقد شرد عائشة وأمها أم
رومأن الجمل في أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول: "وا عروساه وا ابنته"
قالت عائشة: فسمعت قائلا يقول: أرسلني خطامه، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله
وسلمنا الله عز وجل....

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٢ - ٦٣ وذيل المذيل لتاريخ الطبرى ص ٧٠، واللف: شق
الشئ وجانبه.

(٢) الاستيعاب ج ٢ / ٧٧٠.

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٣ / ٢٢١.

رابعا - روایات رؤیتها لجبرائیل علیه السلام اورد ابن کثیر الحدیث الثاني وأخذ من الأول النداء " و اعروساه " حسب روایات رؤیتها لجبرائیل وسلام جبرائیل علیها الآتیة: فی صحيح البخاری ومسند أحمد واللطف لأحمد: عن عائشة قالت: لما رجع رسول الله (ص) من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبریل عليه السلام وعلى رأسه الغبار، قال: قد وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعتها، أخرج إليهم، قال رسول الله (ص) فَإِنْ؟ قال: ها هنا، فأشار إلى بنی قریظة... الحديث (١).

وفي مسند أحمد عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما فرغ رسول الله (ص) من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل فجاء جبریل عليه السلام، فقال. أ وقد وضعتم السلاح؟ ما وضعنَا أسلحتنا بعد انهد إلى بنی قریظة، فقالت عائشة: كأنی انظر إلى جبریل من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار (٢).

روي عن علقة بن وقاص، عن عائشة - حدیثا طویلا - قالت فيه: فجاءه جبریل عليه السلام، وأن على ثناياه لنقع الغبار... الحديث (٣).

وعن القاسم عن عائشة: أن جبریل عليه السلام أتى النبي (ص) على برذون وعليه

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٥٦ وآخر البلاذري رؤيتها لجبرائیل في ذكره غزوة بنی قریظة من فتوح البلدان ص ٣٢ وصحيح البخاري ج ٢ / ١٤٠ كتاب الجهاد باب الغسل بعد الحرب والغبار الباب ١٨ .

(٢) مسند أحمد ج ٦ / ١٣١ و ٢٨٠ .

(٣) مسند أحمد ج ٦ / ١٤١ - ١٤٢ .

عمامنة طرفها بين كتفيه فسألت النبي (ص) عنه فقال: رأيته ذاك جبريل عليه السلام (١).

أخرج ابن سعد في طبقاته عن مسروق قال: قالت لي عائشة: لقد رأيت جبرائيل واقفا في حجرتي هذه على فرس، ورسول الله (ص) يناديها، فلما دخل قلت: يا رسول الله من هذا الذي رأيتك تناجيها؟ قال: وهل رأيته؟ قلت: نعم، قال: فبمن شبهته؟ قلت: بديحة الكلبي! قال: لقد رأيت خيراً كثيراً ذلك جبريل، قالت: فما لبست إلا يسيراً حتى قال: يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قلت: وعليه السلام جزاه الله من دخيل خيراً (٢).

غاية الدعاية من الروايات السابقة:

من الجائز أن تكون غاية الدعاية من الروايات السابقة مقابلة حديث سلام جبرائيل على خديجة كما رواه صاحب أسد الغابة والإصابة في ترجمتها: عن رسول الله (ص) قال: أتاني جبريل فقال: يا رسول الله (ص) هذه خديجة أتاك

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١٤٨.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٧ - ٦٨ ط. بيروت سنة ١٣٧٧ هـ ومسند أحمد ج ٦ / ٧٤ - ٧٥ وفي ص ١٤٦ منه روت ذلك لأبي سلمة وبعد قولها: جزاه الله خيراً من صاحب ودخيل فنعم الصاحب ونعم الدخيل، قال سفيان: الدخيل الضيف، وراجع: منتخب كنز العمال ج ٥ / ١١٩، والمستدرك ج ٤ / ٧، وتلخيصه، وأخرج رواية أم المؤمنين، بأن جبريل قد سلم عليها كل من: كنز العمال ج ١٣ / ١١٨ وأحمد في مسنده ج ٦ / ٥٥ و ٨٨ و ١١٢ و ١١٧ و ١٥٠ و ٢٢٤، والبخاري باب فضل عائشة ج ٢ / ٣٠٨ و كتاب الأدب ج ٤ / ٨١، ومسلم ج ٤ / ١٨٩٦، والترمذى ج ١٠ / ١٦٧ كتاب الاستذان، ومنتخب كنز العمال ج ٥ / ١١٧ و سنت النسائي كتاب عشرة النساء ج ٧ / ٦٩، وأسد الغابة ترجمة عائشة ج ٧ / ١٩٠.

والدخيل: من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم.

ومعها انانه فيه طعام وشراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومني....
ال الحديث (١).

وفي حديث آخر في الإصابة أنها خرجمت تلتسم رسول الله (ص) بأعلى
مكة ومعها غذاؤها فلقيها جبرائيل في صورة رجل... الخ.
نتيجة البحث:

رووا عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: "رأيت الغبار على رأس
جبرائيل" أو "عصب رأسه الغبار" كما في رواية البخاري أو "ان على ثنayah نقع
الغبار".

وقد جاء في الكتاب والسنة ان الملك يتمثل على صورة انسان، أما
أن يصبح جسما يحمل الغبار فهذا ما خص روایته بما رووا عن أم المؤمنين
عائشة!
* * *

كان ذلكم بعض ما روی عن أم المؤمنين عائشة في فضائلها ويتلو هذا
البحث ما روی عنها في ما بينها وبين الرسول (ص).

(١) الإصابة ج ٤ / ٢٧٤ وأسد الغابة ج ٧ / ٨٤، وكنز العمال ج ١٣ / ١١٥ ومسلم
ج ٤ / ١٨٨٧ كتاب فضائل الصحابة والبخاري ج ٢ / ٣١٥.

خامساً - روايتها عن معاشرة الرسول (ص) إياها مما لا يليق بمقام الرسول (ص)

مضت القرون تلو القرون وأحاديث أم المؤمنين عائشة يرويها الخلف عن السلف متسالمين على صدق جميعها، ولم يشكوا في صدق اسناد روايتها إليها، ولم يقم أحد بنقدها وتمحیصها، وكان أكثر حديثها عن سيرة رسول الله (ص) مثل الأحاديث الآتية في صحيح مسلم عن عائشة، قالت:

كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي (ص) فيضع فاه على موضع في و كنت أتعرق العرق (١) وأنا حائض ثم أناوله النبي (ص) فيضع فاه على موضع في (٢).

وفي رواية أخرى كان رسول الله يعطيني العرق فأتعرقه ثم يأخذه فيضع فاه على موضع في، ويعطيني الاناء فأشرب ثم يأخذه فيضع فاه على موضع في (٣). وفي مسنـد أـحمد، عن عائـشـة قـالتـ: كـانـ النـبـيـ (صـ) يـتوـشـحـيـ (٤ـ) وـيـنـالـ من رـأـسـيـ وـاـنـاـ حـائـضـ (٥ـ).

(١) تعرق العظم أخذ ما عليه من اللحم بأسنانه نهشاً والعرق العظم أخذ عنه معظم اللحم.

(٢) صحيح مسلم، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد من كتاب الحيض ج ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ والنسائي: باب سؤر الحائض ج ١ / ٢٣ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٤ و سنتن أبي داود ج ١ / ٣٣ و مسنـد أبي عـوـانـةـ ج ١ / ٣١١ـ، وـسـنـنـ الدـارـمـيـ ج ١ / ٢٤٦ـ، وـمـسـنـدـ أـحـمـدـ ج ٦ / ٦٢ـ وـ ١٢٧ـ، وـ ١٩٢ـ وـ ١٩٣ـ وـ ٢١٠ـ وـ مـنـتـخـبـ الـكـنـزـ ج ٣ / ٤٧٣ـ.

(٣) مسنـدـ أـحـمـدـ ج ٦ / ٦٤ـ.

(٤) توشـحـ لـبـسـ الـوـشـاحـ وـالـوـشـاحـ شـبـهـ قـلـادـةـ منـ نـسـيـجـ عـرـيـضـ يـرـصـعـ بـالـجـوـاهـرـ تـشـدـهـ المـرـأـةـ بـيـنـ عـاتـقـهـ وـ كـشـحـيـهـ وـ الـكـشـحـ ماـ بـيـنـ السـرـةـ وـ وـسـطـ الـظـهـرـ.

(٥) مـسـنـدـ أـحـمـدـ ج ٦ / ١٨٧ـ.

صلاة النبي (ص) في مرط عائشة:
وفي صحيح مسلم، عن عائشة قالت:
كان النبي (ص) يصلى من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلي مرط (١)
وعليه بعضه إلى جنبه (٢).

وفي رواية عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) يقوم ويصلى وعليه
طرف اللحاف وعلى عائشة طرفه ثم يصلى (٣).
وهذا يخالف ما ورد في مسنن أحمد ان النبي (ص) كره الصلاة في ملائف
النساء (٤).

في مسنن أحمد عن عائشة قالت: كنت أبكيت أنا ورسول الله (ص) في الشعارات
الواحد وأنا طامث حائض قالت: فان أصابه مني شيء غسله لم يعد مكانه وصلى
فيه (٥).

وفي رواية أنها طرقتها الحيضة من الليل ورسول الله (ص) يصلى فأشارت
إلى رسول الله (ص) بثوب فيه دم فأشار إليها رسول الله (ص) وهو في الصلاة
اغسليه فغسلت موضع الدم ثم اخذ رسول الله ذلك الثوب فصلى فيه (٦).

(١) المرط من أكسية النساء ويكون من صوف أو خز أو غيره تلتحف به.

(٢) صحيح مسلم ج ٢ / ٦١ باب الاعتراض بين يدي المصلبي ومسنن أحمد ج ٦ / ٦٧ و ٧٠
و ٩٩ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٤٦ و ١٩٩ و ٢٠٤ و ٢٢٠ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١.

(٣) مسنن أحمد ج ٦ / ٣٢.

(٤) مسنن أحمد ج ٦ / ١٢٩.

(٥) مسنن أحمد ج ٦ / ٤٤.

(٦) مسنن أحمد ج ٦ / ٦٦.

النبي يتکئ في حجرها وهي حائض ثم يقرأ القرآن: في البخاري عن عائشة ان النبي (ص) كان يتکئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن (١).

وفي رواية كان النبي (ص) يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض (٢).

وفي سنن أبي داود في حديث لعائشة قالت: أخبرك بما صنع رسول الله (ص)? دخل فمضى إلى مسجده - تعني مسجد البيت (٣) - فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأوجعه البرد فقال: ادني مني فقلت: اني حائض فقال: وان، اكشفي عن فخذيك فكشفت فخذني فوضع خده وصدره على فخذني وحننت عليه حتى دفئ ونام (٤).

فعلته أنا ورسول الله (ص) فاغتنلنا:

في مسنند أحمد عن القاسم، عن عائشة زوج النبي (ص) قالت: إذا جاوز الحتان الختان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله (ص)

(١) صحيح البخاري ج ١ / ٤٤ كتاب الحيض باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض وصحيح مسلم ج ١ / ١٦٩ كتاب الحيض ومسند أحمد ج ٦ / ٦٨ و ٧٢.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٠٤ كتاب التوحيد باب قول النبي الظاهر بالقرآن ومسند أحمد ج ٦ / ١١٧ و ١٣٥ و ١٩٠ و ٢٥٨، وسنن أبي داود ج ١ / ٣٣ و مسنند أبي عوانة ج ١ / ٣١٢ - ٣١٣ ومنتخب الكلزوج ٣ / ٤٧٣ و قريب منه في مسنند أحمد ج ٦ / ١٤٨ و ١٥٨ و ٢٠٤.

(٣) قاله أبو داود.

(٤) سنن أبي داود ج ١ / ٣٤.

فاغتسلنا (١).

وفيه عن عبد الله بن رباح انه سأله عما يوجب الغسل فقالت: إذا اختلف الختانان وجبت الجنابة، فعلت أنا ورسول الله (ص) فاغتسلنا (٢). وعن أم كلثوم أن عائشة أخبرتها أنها والنبي فعلا ذلك ثم اغتسلا (٣). وفي رواية قالت: فعلناه مرة فاغتسلنا في الذي يجامع ولا ينزل (٤)، وقد روت ذلك عن النبي أيضا كما في هذا الحديث عن عائشة زوج النبي (ص) قالت: إن رجلا سأله رسول الله (ص) عن الرجل يجامع أهله ثم يغسل، هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله (ص): اني لافعل ذلك انا وهذه ثم نغتسل (٥).

في صحيح البخاري عن عائشة زوج النبي (ص) أنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله (ص) ورجلاني في قبليته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي وإذا قام بسطهما قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصايف (٦).

وفي رواية قالت: كنت أمد رجلي في قبلة النبي (ص) وهو يصلني فإذا سجد

(١) مسنـد أـحمد ج ٦ / ١٦١.

(٢) مسنـد أـحمد ج ٦ / ٢٦٥.

(٣) مسنـد أـحمد ج ٦ / ٧٤.

(٤) مسنـد أـحمد ج ٦ / ١١٠ وقـرـيب من لـفـظـه في ص ٦٨ مـنـهـ.

(٥) صحيح مسلم ج ١ / ١٨٧ ومسنـد أـبي عـوـانـةـ ج ١ / ٢٨٩.

(٦) صحيح البخاري ج ١ / ٥٦ بـابـ الصـلـاةـ عـلـىـ الفـرـاشـ مـنـ كـتـابـ الصـلـاةـ وـصـ ١٤١ وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ بـابـ الـاعـتـرـاضـ بـيـنـ يـدـيـ المـصـلـيـ ج ٢ / ٦١ وـمـسـنـدـ أـبـيـ عـوـانـةـ ج ٢ / ٥٢ - ٥٦ وـمـسـنـدـ أـحـمـدـ ج ٦ / ١٤٨ وـ٢٥٥ وـ٢٢٥ قـرـيبـاـ مـنـهـ، وـكـذـلـكـ قـرـيبـ مـنـهـ صـ ٤٠، ٣٧ وـ٤١ وـ٤٤ وـ٥٠ وـ٥٤ وـ٦٤ وـ٩٤ وـ٩٥ وـ٩٨ وـ١٠٣ وـ١٣٢ وـ١٣٤ وـ١٤٨ وـ١٧٦ وـ١٨٢ وـ١٨٣ وـ١٩٢ وـ١٩٩ - ٢٠٠ وـ٢٢١ وـ٢٣٤ وـ٢٧٥.

غمزني فرفعتها فإذا قام مددتها (١).

عن عمرة عن عائشة قالت: صلى النبي (ص) في حجرتي والناس يأتمنون به من وراء الحجرة يصلون بصلاته (٢).

وفي مسند أحمد عن عروة، عن عائشة ان رسول الله (ص) قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ، قال عروة: فقلت لها من هي إلا أنت فضحكت (٣).

كانت تغسل رأس النبي وهي حائض وهو معتكف:

في البخاري، عن عائشة قالت: كان النبي (ص) يباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فاغسله وأنا حائض (٤).

وفي رواية

انها كانت ترجل (٥) رسول الله (ص) وهي حائض ورسول الله (ص) حينئذ مجاور في المسجد يدني لها رأسه وهي في حجرتها فترجله وهي حائض (٦).

(١) صحيح البخاري ج ١ / ١٤٥ باب ما يجوز العمل في الصلاة.

(٢) مسند أحمد ج ٦ / ٣٠

(٣) مسند أحمد ج ٦ / ٢١٠

(٤) صحيح البخاري ج ١ / ٢٣٩ باب الحائض ترجل المعتكف وباب غسل المعتكف و ٢٤٢

ومسند أحمد ج ٦ / ٢٠٤

(٥) رجل الشعر: سرحة أبي مشطه.

(٦) صحيح البخاري ج ١ / ٤٤ كتاب الحيض باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله،

و قريب منه في صحيح مسلم ج ١ / ١٦٧ كتاب الحيض والبخاري ج ٤ / ٢٩ والموطأ

١ / ٧٨ والنسائي ج ١ / ٣٥ باب غسل الحائض رأس زوجها ومنتخب الكنز ج ٣ / ٣٧٣

و سنن الدارمي ج ١ / ٢٤٦ - ٢٤٨ و مسند أحمد ج ٦ / ٣٢ و ٥٠ و ٥٥ و ٨٦ و ١٠٠

و ١٧٠ و ١٨١ و ١٨٩ و ٢٠٤ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٤٧ و ٢٣١ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٧٢

ومسند أبي عوانة ج ١ / ٣٠٩ والبخاري ج ١ / ٤٥.

وفي البخاري عن عائشة قالت: كنت أغتسل أنا والنبي (ص) من اماء واحد من جنابة (١).

وفي رواية أخرى فأقول له: ابق لي ابق لي (٢).

وفي رواية بياذرني وأبا دره فأقول: دع لي دع لي (٣).

وفي رواية أخرى أبادره ويadarني حتى يقول: دعى لي، وأقول أنا: دع لي (٤).

وهذا ينافي ما ورد عنها في المستدرك قالت: كان رسول الله (ص) لا يصلّي في شعرنا ولمحفنا (٥).

وفي سن أبي داود (٦) عن عائشة أنها قالت:

كنت إذا حضرت نزلت عن المثال (٧) على الحصیر فلم تقرب رسول الله (ص)

(١) صحيح البخاري ج ١ / ٤١ كتاب الغسل باب هل يدخل الجنب يده في الاناء.

مسند أحمد ج ٦ / ٩١

(٣) النسائي ج ١ / ٧١ باب اغتسال الرجل والمرأة من اناناء واحد وراجع: البخاري ج ١ / ٣٩

٤٠ وَجِيءُوا بِهِ ٣١ وَصَحِيفَ مُسْلِمَ جِ ١ / ١٧٦ كِتَابُ الْغَسْلِ وَسِنَنُ النَّسَائِيِّ جِ ١ / ٢٣٧،

ومسند أبي عوانة ج ١ / ٢٣٣ - ٢٣٤ و ٢٨٤ و سنن الدارمي ج ١ / ١٩٢، ومسند أحمد

ج ٦ / ٣٠ و ٣٧ و ٤٢ و ٤٣ و ٦٤ و ١٠٣ و ١١٨ و ١٢٣ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣١ و ١٣١ و ٧

و ٢٨١ و ٢٦٥ و ٢٣٥ و ٢٣١ و ٢١٠ و ١٧٣ و ١٧٢ و ١٧١ و ١٦٨ و ١٦١.

٤) ن. م.

(٥) مستدرک الحاکم وتلخیصه ج ١ / ٢٥٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشیخین

ولم يخر جاه.

ر.م. یونیورسٹی
۳۴ / ۱ ج داؤد ابی سنن (۶)

٧) المثال: الفراش:

ولم تدن منه حتى تطهر.

ولكن المقامين يختلفان ففي المقام الأول كان القصد من التحديث بيان حب النبي (ص) لأم المؤمنين، وفي المقام الثاني بيان واقع حال النبي (ص).

النبي يقبلها وهو صائم:

في مسند أحمد عن عائشة قالت:

أهوى إلي رسول الله ليقبلني فقلت: اني صائمة قال: وأنا صائم فأهوى إلي فقبلني (١).

وفي رواية أخرى عنها: كان يقبلها وهو صائم ويمضي لسانها (٢).

وقالت: ان رسول الله (ص) ليظل صائما ثم يقبل ما شاء من وجهي حتى يفطر (٣).

وفي رواية وهو صائم في رمضان (٤).

وفي رواية ان رسول الله كان يبادرها وهو صائم ثم يجعل بينه وبينها ثوبا يعني الفرج (٥).

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١٣٤ و ١٧٦.

(٢) ن. م، ص ١٢٣ و ٢٣٤.

(٣) ن. م، ص ١٠١ و ٢٥٤ و ٢٦٣.

(٤) ن. م، ص ٢٥٦. وراجع: مسند أحمد ج ٦ / ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ و ٩٨ و ١٠١ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٣٠ و ١٣٤ و ١٥٦ و ١٦٢ و ١٧٦ و ١٧٤ و ١٧٩ و ١٩٣ و ٢١٥ و ٢١٢ و ٢٠٧ و ٢٤٢ و ٢٤١ و ٢٣٤ و ٢٢٣ و ٢٢٠ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٨ و ٢٦٣ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و سenn الدارمي ج ١ / ١١٧ والبخاري ج ١ / ٢٢٩ باب القبلة للصائم و صحيح مسلم ج ٣ / ١٣٤ - ١٣٧.

(٥) مسند أحمد ج ٦ / ٥٩. ورواية يبادرها وهو صائم في مسند أحمد ج ٦ / ٢٣٠ و ١٢٨.

وقد روي عنها حديث التقبيل لكل من:
بكر، وعلقمة، وشريح، وعثمان ابن عبد الله، وطلحة، والقاسم، وعمرو بن
ميمون، وطلحة بن عبد الله بن عوف، ومصدع أبو يحيى، وأبو سلمة، وسعد
الثيمي، ومحمد بن الأشعث، ومسروق، والبهي مولى الزبير، وعكرمة،
والأسود، ومعاذة، وعروة.

(٦٥)

ب - روایات التحریم والتخییر
آیات التحریم والتخییر

التحریم والتخییر قصتان أخبر الله تعالى عن الأولى منهما في سورة
التحریم حيث قال عز اسمه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاه أزواجه والله غفور
رحيم * قد فرض الله لكم تحلاة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسر
النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأ به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض
عن بعض فلما نبأها به قالت من أبائك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن تتوبا إلى
الله فقد صفت قلوبكم وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاهم وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربهم إن طلقن أن يبدلهم أزواجها خيرا
منكهن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثبات وأبكارا *

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها
ملائكة غلاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون * يا أيها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون * يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى
الله توبه نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيناتكم ويدخلكم جنات تجري من

تحتها الأنهر يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك في كل شيء قادر ^{*} يا أيها النبي جهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم وأماواهم جهنم وبئس المصير ^{*} ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبادين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ^{*} وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ^{*} ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفحنا فيها من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) [الآيات: ١ - ١٢]

وأخبر عن الثانية في سورة الأحزاب حيث قال عز اسمه:
بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالى من يمتعكم وأسر حکن سراحها جميلاً ^{*} وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرًا عظيمًا) - إلى قوله تعالى :- (وادركن ما يتلى في بيتك من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً) [الآيات: ٢٨ - ٣٤]

وجاء في تفسير الآيات عن أم المؤمنين عائشة الروايات الآتية:

روايات التحرير

روايات تحرير النبي العسل على نفسه:

أ - في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأول (١) بسنده عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: إن النبي (ص) كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلا فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي (ص) فلتقل: إني أحد منك ريح مغافير (٢) أكلت مغافير. فدخل عك إحداهما فقالت له ذلك، فقال: لا، بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن أعود له، (وقد حلفت لا تخبرني بذلك أحدا) (٣) فنزلت: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك إلى إن تتوبا إلى الله) عائشة وحفصة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) بقوله: بل شربت عسلا.

(١) أخرج كل من البخاري ج ٣ / ٢٧١ كتاب الطلاق باب لم تحرم ما أحل الله لك و ج ٣ / ٢٠٥ كتاب التفسير باب تبكي مرضاة أزواجه من سورة التحرير، و ج ٤ / ١٥٨ كتاب النور والإيمان باب إذا حرم طعامه، ومسلم ج ٤ / ١٨٤، والنسائي في كتاب الطلاق ج ٦ / ١٥١ وكتاب الإيمان ج ٧ / ١٣ والنور باب تحرير ما أحل الله وكتاب عشرة النساء ج ٧ / ٧١ باب الغيرة، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٢١ وابن سعد في ج ٨ / ٧٦ ط. أوربا، والقرطبي في تفسير سورة التحرير ج ١٨ / ١٧٧ و ١٨٤ و تيسير الوصول ج ١ / ١٨٩، وأبو داود ج ٢ / ١٤٥ .

(٢) المغافير واحدة: مغفور، صمع حلو كريه الرائحة، ينضح من شجر العرفط، والعرفط شجر الطلح .

(٣) هذه الجملة في بعض طرق هذه الرواية.

ب - في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأول بسنده عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) يحب الحلواء ويحب العسل وكان إذا صلى العصر أجاز على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقال لي: أهدت امرأة من قومها عكة (١) عسل فسقت رسول الله (ص) منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة بنت زمعة وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير؟ فإنه سيقول: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك؟ وكان رسول الله (ص) يشتند عليه أن توجد منه الريح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل فقولي له: جرست نحله العرفط؟ وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة قلت: تقول سودة: والذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادره بالذى قلت لي: وانه لعلى الباب فرقا منك (٢)، فلما دنا رسول الله (ص) قلت: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: لا، قلت: فما هذه الريح؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل، قلت: جرست نحله (٣) العرفط؟ فلما دخل علي قلت له: مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت له: مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسيك منه، قال: لا حاجة لي به، قالت: تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها: (اسكتي) (٤).

(١) العكة: وعاء السمن.

(٢) فرقا منك: أي خوفا منك.

(٣) جرست النحل: أكلت الحلواء. والحلوة، والحلوى: طعام عمل بالسكر أو العسل.

(٤) صحيح البخاري ج ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ كتاب الحيل باب ما يكره من احتيال المرأة مع

الزوج والضرائر، وكتاب الطلاق باب لم تحرم ما أحل الله لك ج ٣ / ٢٧١، وصحيح مسلم ج ٢ / ١١٠١ كتاب الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوه الطلاق،

وأحمد في مسنده ج ٦ / ٥٩، وابن سعد في الطبقات ج ٨ / ٨٥ ط. أوربا، ويسير

الوصول ج ١ / ١٨٨ - ١٨٩، والقرطبي في تفسير سورة التحرير ج ١٨ / ١٧٧ - ١٧٨، وكتنز العمال في تفسير سورة التحرير ج ٢ / ٣٤٠ الحديث (١٧٨٨) ط. حيدر آباد.

ج - في طبقات ابن سعد بسنده عن أم المؤمنين عائشة قالت: كان رسول الله (ص) قل يوم إلا وهو يطوف على نسائه فيدنو من أهله فيضع يده ويقبل كل امرأة من نسائه، حتى يأتي على آخرهن، فإن كان يومها قعد عندها وإنما قام، فكان إذا دخل بيت أم سلمة يحتبس عندها، فقلت: أنا وحفصة - وكانت جميعاً يدا واحدة - ما نرى رسول الله يمكث عندها إلا أنه يخلو معها، تعنيان الجماع، قالت: واشتد ذلك علينا حتى بعثنا من يطلع لنا ما يحبسه عندها، فإذا هو إذا صار إليها أخرجت له عكة من عسل فتحت له فمها فيلعق منه لعقا (١)، وكان العسل يعجبه، فقالت: ما من شيء نكرهه إليه حتى لا يلبت في بيت أم سلمة؟ فقالت: ليس شيء أكره إليه من أن يقال له: نجد منك ريح شيء، فإذا جاءك فدنا منك فقولي: إني أجد منك ريح شيء، فإنه يقول: من عسل أصبته عند أم سلمة، فقولي له: أرى نحله جرس عرطا، فلما دخل على عائشة فدنا منها قالت: إني لأجد منك شيئاً! ما أصبت؟ فقال: عسل من بيت أم سلمة، فقالت: يا رسول الله أرى نحله جرس عرطا... الحديث (٢).

ولَا بد لنا في تفهم هذه الأحاديث من دراسة آيات سورة التحريم.
في من نزلت هذه السورة؟
أجمع المفسرون وأصحاب المسانيد والصحاح والسير على أن هذه السورة نزلت في أمي المؤمنين عائشة وحفصة (رض).

(١) لعقة: أكل شيئاً بإصبعه أو لسانه.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٧٠، في ذكر قسم رسول الله بين نسائه.

روى البخاري عن ابن عباس قال: لبشت سنة وأنا أريد أن أسألك عمر عن المرأةتين اللتين تظاهرتا على النبي (ص) فجعلت أهابه فنزل يوماً منزلاً فدخل الأرراك فلما خرج سأله فقال: عائشة وحفصة... الحديث (١).

روى مسلم عن ابن عباس قال: كنت أريد أن أسألك عمر عن المرأةتين اللتين تظاهرتا على عهد رسول الله (ص) فلبيت سنة ما أجد له موضعًا حتى صحبته إلى مكة، فلما كان بمر الظهران (٣) ذهب يقضى حاجته. فقال: أدركتني بأداوة (٤) من ماء. فأتيته بها. فلما قضى حاجته ورجع ذهبت أصب عليه. وذكرت فقلت له: يا أمير المؤمنين! من

(١) صحيح البخاري ج ٣ / ١٣٧ - ١٣٨ في تفسير سورة التحرير من كتاب التفسير باب تباغي مرضاعة أزواجك وكتاب النكاح ج ٣ / ١٧٢ باب موعضة الرجل ابنته لحال زوجها، وكتاب المظالم باب (٢٦) الغرفة والعلية ج ٣ / ١٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٢ كتاب اللباس باب (٣١) ما كان النبي يتجوز من اللباس والبسط.

المرأتان؟ فان قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة (١).

وفي مسنند أحمد عن ابن عباس قال:

أردت أن أسأل عمر فما رأيت موضعها فمكثت سنتين، فلما كنا بمر الظهران وذهب ليقضى حاجته، فجاء وقد قضى حاجته فذهبت أصب عليه من الماء قلت: يا أمير المؤمنين من المرأة تظاهرت على رسول الله (ص)؟ قال: عائشة وحفصة (٢).

وفي مسنند الطيالسي عن ابن عباس أنه قال:

... فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن أسألك عن حديث منذ سنة فمنعتنى هبتكك أن أسألك، قال: لا تفعل، إذا علمت أن عندي علمًا فسلني قال: قلت: أسألك عن حديث المرأةين قال: نعم حفصة وعائشة... الحديث (٣).

كان ذلكم خبر ما روي عن أم المؤمنين في قصة التحرير.

ما روي عن أم المؤمنين عائشة في ما هجر النبي (ص) أزواجه:

روي عنها في سبب هجر النبي (ص) لأزواجه وتخيرهن بين رضا الله

ورضا رسوله (ص) والدار الآخرة وبين متع الدنيا كالآتي بيانه:

أ - في طبقات ابن سعد عن حارثة بن أبي الرجال قال: دخلت مع القاسم

(١) صحيح مسلم ج ٢ / ١١١٠ - ١١١١ كتاب الطلاق باب (٥).

(٢) مسنند أحمد ج ١ / ٤٨ ، وبلغ آخر في ج ١ / ٣٣.

(٣) مسنند أبي داود الطيالسي ص ٦ الحديث (٢٣)، وسنن النسائي ج ٤ / ١٣٧ كتاب الصوم

باب كم الشهر، وصحيح الترمذى ج ١٢ / ٢٠٩ تفسير سورة التحرير من كتاب التفسير،

وابن سعد في طبقات ج ٨ / ١٨٢ وتفسير القرطبي ج ١٨ / ١٨٩ ، وكنز العمال ج ٢ / ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ تفسير سورة التحرير، وفي المستدرك للحاكم ج ٢ / ٤٩٣ عن أنس.

ابن محمد على عمرة بنت عبد الرحمن فقال القاسم: يا أم محمد في أي شيء هجر رسول الله (ص) نساء؟

قالت عمرة: أخبرتني عائشة أنه أهدي إلى رسول الله هدية في بيتها فأرسل إلى كل امرأة من نسائه بنصيبيها وأرسل إلى زينب بنت جحش فلم ترض ثم زادوها مرة أخرى فلم ترض فقالت عائشة: لقد أقمأت (١) وجهك أن ترد عليك المدينة.

قال رسول الله (ص): لأنهن أهون على الله من أن تقمئنني، لا أدخل عليك شرًا.

قالت: فدخل في مشربة، وكان عمر بن الخطاب آخر رجال من الأنصار لا يسمع شيئاً إلا أخبره به ولا يسمع عمر شيئاً إلا حدثه.

قال: فلقيه عمر ذلك اليوم فقال: هل كان خبر؟

قال الأنصاري: نعم عظيم.

قال عمر: لعل الحارث بن أبي شمر سار إلينا.

قال الأنصاري: أعظم من ذلك.

قال عمر: ما هو؟

قال: ما أرى رسول الله إلا قد طلق نساءه... الحديث إلى قولها: فلما مضى تسع وعشرون ليلة نزل رسول الله من مشربته... الخ.

وأخرج بعده مسندة إلى ابن مناح عن عائشة مثله وعن الزهري، عن عائشة أيضاً نحوه (٢).

(١) أقمأتك: صغرتك وأذللتك.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٨ - ١٩٠ ط. بيروت، وج ٨ / ١٣٦ - ١٣٧ ط. أوربا، ابن ماجة ج ١ / ٦٦٤ كتاب الطلاق باب (٢٤).

دراسة الروايات:

إن أحاديث أم المؤمنين عائشة في بيان سبب نزول آيات التحرير جاءت في صحاح كتب الحديث والسنن والمسانيد والتفاسير المعتمدة ومصادر السيرة الموثقة، ونجد فحاوي تلك الروايات مختلفة كل الاختلاف فيما بينها، ففي بعضها ان المتواطأ عليها حفصة، وفي أخرى أنها زينب، وفي غير ما أنها أم سلمة، وعن المتواطئات تارة ذكرت حفصة وعائشة وأخرى عائشة وسودة وصفية، فكيف يمكن التوفيق بين هذه الأحاديث؟!

ثم ما قيمة تحرير النبي (ص) العسل على نفسه ليجند الله ملائكته وصالح المؤمنين ويكون هو تبارك وتعالى معهم ظهيرا للنبي (ص) عليهم؟ أكل ذلك لأنهما سببا لهذا التحرير؟! وما ذلك السر الذي أذاعته إحداهما فأنبأ الله نبيه "فعرف بعضه وأعرض عن بعض تكرما"؟ فهو افشاء سر تحرير النبي (ص) العسل على نفسه؟ ألها ضرب الله مثلا امرأة لوط وامرأة نوح؟ وكيف فات النبي (ص) أن العسل لم يكن بذري رائحة كريهة ليحرمها على نفسه؟ وهل كان فاقدا حاسة الشم ومحفلا إلى هذا الحد لتنطلي عليه هذه الحيلة البسيطة؟ اللهم إن هذا ما لا يقبله عقل سليم!

* * *

كانت تلكم ما روی عن أم المؤمنين عائشة في سبب هجر النبي (ص) أزواجه وروى عنها في أمر تخيير النبي (ص) أزواجه ما يأتي:

روايات التخيير

في مسنند أحمد عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: فلما مضت تسعة وعشرون ليلة دخل علي رسول الله (ص) قالت: بدأ بي فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك قد دخلت من تسعة وعشرين أعدهن؟ فقال: إن الشهر تسعة وعشرون، ثم قال: يا عائشة إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلني فيه حتى تستأمرني أبويك ثم قرأ علي الآية: (يا أيها النبي قل لأزواجك - حتى بلغ - أجرًا عظيمًا).

قالت عائشة: قد علم أن أبي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: فقلت: أفي هذا أستأمر أبي؟ فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (١).

وفي رواية عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه بعد هذا: "ففرح بذلك رسول الله (ص)" (٢).

(١) مسنند أحمد ج ٦ / ١٦٣، وصحيحي البخاري ج ٣ / ٢٧٠ كتاب الطلاق باب من خير نساءه.

(٢) مسنند أحمد ج ٦ / ٧٨ وللحديث طرق كثيرة منها في مسنند أحمد ج ٦ / ١٠٣ و ٧٨ و ١٥٢ و ١٨٥ و ٢٤٨ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢١٢ - ٢١١ فقال: يا عائشة إني عارض عليك أمرا فلا تفتان فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان. قالت: أي رسول الله وما هو؟، وفي صحيح مسلم ج ٢ / ١١٠٣ كتاب الطلاق باب إن تخير أمرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية و ج ٢ / ١١٠٧ باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن، وابن ماجة ج ١ / ٦٦٢ كتاب الطلاق باب التخيير رقم (٢٠٥٣)، والنمسائي ج ٦ / ١٥٩ - ١٦٠ كتاب الطلاق، والترمذمي ج ١٢ / ٨٤ وابن سعد ج ٨ / ٦٨ - ٦٩.

وعلى هذه الأحاديث استند الزركشي في الإجابة في قوله: (كان قوله لها: لا تبادريني بالجواب خوفاً من أن تبتدره باختيار الدنيا) (١).

إن هذه المشاكل إلى غيرها تدعونا إلى الرجوع إلى غير أحاديث أم المؤمنين عائشة لعلنا نجد فيها تفسيراً يرفع غموض آيات السورتين الكريمتين.

ما روی عن الخليفة عمر في قصتي التحرير والتخيير:

روي عن الخليفة عمر بن الخطاب في ذلك كالتالي بيانه:

روى البخاري بسنده عن ابن عباس قال:

لبيث سنة وأنا أريد أن أسألك عمر عن المرأةتين اللتين تظاهرتا على

النبي (ص) فجعلت أهابه فنزل يوماً منزلاً فدخل الأرائك فلما خرج سأله فقال:

عائشة وحفصة، ثم قال: كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً، فلما جاء الإسلام

وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقاً من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا،

وكان يبني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي فقلت لما: وإنك لهناك؟

قالت: تقول هذا لي وابنتك تؤذني النبي (ص).

فأتيت حفصة فقلت لها: إني أحذرك أن تعصي الله ورسوله وتقدمت إليها

في اذاه.

فأتيت أم سلمة فقلت لها.

فقالت: أعجب منك يا عمر قد دخلت في أمورنا فلم يبق إلا أن تتدخل بين رسول الله (ص) وأزواجه؟ فرددت و كان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول

(١) الإجابة: ص ٦٦.

الله (ص) وشهادته أتيه بما يكون، وإذا غبت عن رسول الله (ص) وشهاد أتاني بما يكون من رسول الله (ص) وكان من حول رسول الله (ص) قد استقام له، فلم يق إلا ملك غسان بالشام كنا نخاف أن يأتيها، فما شعرت إلا بالأنصارى وهو يقول: إنه قد حدث أمر، قلت له: وما هو؟ أجاء الغساني؟ قال: أعظم من ذاك طلق رسول الله (ص) نساءه، فجئت فإذا البكاء من حجرهن كلها، وإذا النبي (ص) قد صعد في مشربة له وعلى باب المشربة وصيف، فأتيه فقلت: استأذن لي، فدخلت فإذا النبي (ص) على حصير قد أثر في جنبه وتحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف، وإذا أهاب (١) معلقة وقرط، فذكرت الذي قلت لحفصة وأم سلمة والذي ردت علي أم سلمة فضحك رسول الله (ص) فلبت تسعًا وعشرين ليلة ثم نزل (٢). وفي حديثه بصحيحة مسلم قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله! ما يشق عليك من شأن النساء؟ فان كنت طلقتهن فإن الله معك... ونزلت آية التخيير: (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه... * عسى ربه إن طلقك أن يدلله أزواجا خيرا منك) الحديث (٣). إن حديث عمر هذا ينافي بعضه ببعضه، ويخالف حديث أم المؤمنين عائشة، ويزيد في الأمر غموضا على غموض، فإن كان سبب نزول آيات

(١) المشربة والغرفة والعلبة: بيت منفصل عن الأرض. والوصيف: الغلام دون المراهق. ومرفقه من أدم حشوها ليف: المرفق المتكا والأدم جمع أديم: الحلد المدبوغ، والليف: قشر النخل. والأهاب: جمع الإهاب جلد لم يدبغ. وقرط: جلد مدبوغ بورق السلم.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٢ كتاب اللباس باب ما كان النبي (ص) يتجاوز من اللباس والبسط وطبقات ابن سعد / ٨ / ١٨٢.

(٣) صحيح مسلم ج ٢ / ١١٠٧ كتاب الطلاق باب في الایلاء واعتزال النساء وتخييرهن وایلاء: حلف.

التحريم ما ذكره من أن نساء النبي (ص) كن يراجعنه (١) طوال النهار ويضايقنه، وانه راجع في ذلك أم سلمة فرده، فما وجه تخصيص عائشة وحفصة من بينهن باللوم والتقرير في قوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه...) الآيات؟ كما صرخ به هو مع اشتراك غيرها معهما في تلك المراجعة والطلب الملح، وهذا يخالف ما ذكرته أم المؤمنين في أحاديثها من أن سبب نزول الآيات تحريم النبي (ص) العسل على نفسه في قصة قد ذكرتها، وال الخليفة بعد هذا لم يذكر ما حرمه الرسول (ص) على نفسه ابتعاء مرضاه أزواجه ولم يبين السر الذي اذاعته زوج الرسول (ص) وزاد غموضا في الامر ما ذكر عمر في حديثه عن التحرير: من ايلاء النبي (ص) أزواجه تسعاء وعشرين ليلة وتخيره إياهن، وهذا ما دعا مسلما أن يجعل التحريرم والإيلاء والمظاهره أمرا واحدا في صحيحه حيث قال: باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن وقوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه) (٢) وشوش على ابن سعد فذكر التخير في باب طبقاته فقال: باب ذكر المرأتين اللتين ظاهرتا على رسول الله وتخيره نساءه (٣) وقال في باب آخر: ذكر ما هجر فيه رسول الله (ص) نساءه وتخيره إياهن (٤).

هذه الأحاديث إلى عشرات من أمثلتها في قصة التحرير والتخير، الواردة في كتب الصدح والسنن والسير والمسانيد تولد للباحث دوارا شديدا في محاولته معرفة الواقع التاريخي، كما تربك المؤرخ فيما إذا أراد الرجوع إلى أصح كتب الحديث لكتابه سيرة النبي (ص) وتشوش على المفسر في محاولته تفسير آي الذكر

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٢.

(٢) صحيح مسلم ج ٢ / ١١٠٥.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٢.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٧٩.

الحكيم على ضوء الحديث النبوى الشريف، وتضييع على الفقيه جهده في استنباطه الأحكام استناداً إلى السيرة النبوية، إلا فيما إذا كان كل منهم يدرس موضوعه دراسة سطحية، ويعتمد على أول حديث يصادفه في إحدى أمهات كتب الصحاح والمسانيد، ويصدر حكمه القطعى استناداً إلى ما يصادفه من حديث دونما تتبع وتنقىب عن غيره من الأحاديث المتناقضة في هذا الباب. ولعل المستشرق الأجنبي أبعد من كل هؤلاء عن فهم الواقع من حياة النبي (ص) وماذا عساه أن يفهم من الرجوع إلى هذه الأحاديث؟!

لقد وجدنا أم المؤمنين في أحاديثها الأولى عن التحرير تذكر أن سبب نزولها مراجعة نساء النبي إياه، ونجد أم المؤمنين تذكر في أحاديثها الأخيرة أن النبي هجر نساءه شهراً لأن زينب ردت عليه ما كان قد بعثه إليها، فقالت عائشة: لقد أقمأت وجهك أن ترد عليك فغضب الرسول من ذلك وقال: "أنتن أهون على الله من أن تقمئنني لا أدخل عليك شهراً" وليت شعري ما ذنب سائر أمهات المؤمنين أن يهجرهن الرسول (ص) شهراً لما قامت به أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين زينب، وقد قال تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)؟ أضف إلى هذا أنها قالت: إن الرسول (ص) أمرها أن تراجع أبويها في التخيير، وكان التخيير في السنة الثامنة بينما أمها كانت قد توفيت في السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة من الهجرة، وبعد كل هذا هل أن قصة التخيير والمظاهره هما قصة واحدة أم إنها قضستان؟

أما القرآن الكريم فإذا رجعنا إليه وحده - دون الاستناد إلى الأحاديث المذكورة - فنجد أمر التخيير مذكوراً في الآيات الآتية من سورة الأحزاب كالأتي:

(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالى

أمتعكِن وأسر حكُن سراحًا جميلاً * وإن كُنْتَنْ ترْدَنْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ
فإن الله أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنْ أَجْرًا عَظِيمًا) [الآية: ٢٨ و ٢٩] نجد الخطاب في هذه
الآيات إلى قوله تعالى: (وَإِذْكُرْنَ مَا يَتَلَى فِي بَيْوْتَكُنْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ لطِيفًا خَبِيرًا) [الآية: ٣٤] موجهاً إلى جميع زوجات الرسول وليس فيه
تهديد ووعيد وإنما تخثير بين الحياة الدنيا في سراح حهن سراحًا جميلاً، وبين اختيار
الله ورسوله والدار الآخرة فيعد الله لهن أجراً حسناً.

بينما الخطاب في سورة التحرير موجه إلى اثنين فقط حيث قال: (إِنْ تَوَبَا
إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُمَا وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ مُوَلَّهُ وَجَرِيلُ وَصَالِحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرَ * عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنْ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا
مِنْكُنْ...) إلى آخر السورة، بما فيها من وعيد وتهديد، وأجمل ما فيها من التمثيل
بامرأتين وامرأتين، كل ذلك يدل على أن قصة التخثير غير قصة المظاهرة والتي
 جاء كل منهما في سورة على حدة.

كان كل ذلكم في ما روي عن أم المؤمنين عائشة وال الخليفة الصحابي عمر بن الخطاب في قصتي التحرير والتخثير.
وإذا رجعنا إلى ما روي عن غيرهما من الصحابة وجدنا:
أولاً - قصة التخثير:

روى ابن سعد في باب " ذكر ما هجر فيه رسول الله (ص) نساءه وتخثيره
إيابهن " : عن جارية بن أبي عمران قال: سمعت أبا سلمة الحضرمي يقول:
جلست مع أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وهما يتحدثان وقد ذهب بصر
جابر فجاء رجل فسلم ثم جلس فقال: يا أبا عبد الله أرسلني إليك عروة ابن

الزبير أَسْأَلَكَ فِيمَ هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَ) نِسَاءَهُ؟ فَقَالَ جَابِرٌ: تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَخْدَنَا مَا تَقْدِمُ وَمَا تَأْخِرُ، فَاجْتَمَعْنَا بِبَابِهِ نَتَكَلَّمُ لِيُسْمَعَ كَلَامُنَا وَيُعْلَمُ مَكَانُنَا، فَأَطْلَنَا الْوَقْفَ فَلَمْ يَأْذِنْ لَنَا وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَلَنَا: قَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَانَكُمْ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَأْذِنْ لَكُمْ لِأَذْنٍ، فَتَفَرَّقُوا لَا تَؤْذُوهُ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ غَيْرُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَتَحَنَّجُ وَيَتَكَلَّمُ وَيَسْتَأْذِنُ حَتَّى أَذْنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ عُمَرُ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ وَاضِعٌ يَدِهِ عَلَى خَدِهِ أَعْرَفُ بِهِ الْكَابَةَ، فَقَلَتْ: أَيُّ نَبِيُّ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمِيْ مَا الَّذِي رَابَكَ؟ وَمَا لَقِيَ النَّاسُ بَعْدَكَ مِنْ فَقْدَهُمْ لِرَؤْيَاكَ؟ فَقَالَ: يَا عُمَرَ يَسْأَلُنِي أُولَاءِ مَا لَيْسَ عِنْدِي، يَعْنِي نِسَاءَهُ، فَذَكَرَ الَّذِي بَلَغَ مِنْيَ مَا تَرَى. فَقَلَتْ: يَا نَبِيُّ اللَّهِ قَدْ صَكَّكْتَ (١) جَمِيلَةَ بْنَتَ ثَابَتَ صَكَّةَ الْصَّقْتِ خَدَهَا مِنْهَا بِالْأَرْضِ لِأَنَّهَا سَأَلْتَنِي مَا لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَوْعِدٍ مِّنْ رَبِّكَ وَهُوَ جَاعِلٌ بَعْدَ الْعَسْرِ يَسِّرًا.

قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَكْلَمَهُ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ تَحَلَّلَ عَنْهُ بَعْضُ ذَلِكَ. قَالَ: فَخَرَجَتْ فَلَقِيَتْ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ فَحَدَّثَتْهُ الْحَدِيثَ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرَ عَلَى عَائِشَةَ قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا يَدْخُرُ عَنْكُنَّ شَيْئًا فَلَا تَسْأَلْنَاهُ مَا لَا يَجِدُ، انْظُرِي حَاجَتَكَ فَاطْلُبِيهَا إِلَيْيَّ. وَانْطَلَقَ عَمْرٌ إِلَى حَفْصَةَ فَذَكَرَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ اتَّبَعَ أَمْهَاتَ الْمُؤْمِنِينَ فَجَعَلَهُ يَذْكُرَ لَهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَا لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهَا أُمِّ سَلَمَةَ: مَا لَكُمَا وَلَمَا هَاهُنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَ)، أَعُلَى بِأَمْرِنَا عَيْنَا وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَنْهَا لَنَهَا، فَمَنْ نَسَأَ إِذَا لَمْ نَسَأْ رَسُولَ اللَّهِ؟ هَلْ يَدْخُلُ بَيْنَكُمَا وَبَيْنَ أَهْلِكُمَا أَحَدٌ؟ فَانْكَلَفُكُمَا هَذَا. فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهَا، فَقَالَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ (صَ) لِأُمِّ سَلَمَةَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا حِينَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، مَا قَدَرْنَا أَنْ نَرَدْ عَلَيْهِمَا شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ جَابِرٌ لِأَبِي سَعِيدٍ: أَلَمْ يَكُنْ الْحَدِيثُ هَكَذَا؟ قَالَ: بَلِي وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقِيَةً. قَالَ جَابِرٌ: فَأَنَا

(١) صَكَّهُ: ضَرَبَهُ ضَرِبًا شَدِيدًا. وَصَكَّ وَجْهَهُ: لَطَمَهُ.

آتي على ذلك إن شاء الله، ثم قال: فأنزل الله في ذلك: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالىن أمتعكن وأسر حككن سراحنا جميلا) يعني متعة الطلاق، ويعني بتسرىحهن تطليقهن طلاقاً جميلاً (وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة) تخترن الله ورسوله فلا تنكحن بعده أحداً.

فانطلق رسول الله فبدأ بعائشة فقال: إن الله قد أمرني أن أخيركن بين أن تخترن الله ورسوله والدار الآخرة وبين أن تخترن الدنيا وزينتها، وقد بدأت بك فأنا أخيرك. قالت: أي نبي الله وهل بدأت بأحد منهن قبلي؟ قال: لا. قالت: فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة فاكتتم علىي ولا تخبر بذلك نساءك. قال رسول الله (ص): بل أخبرهن. فأخبرهن رسول الله (ص) جميعاً فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وكان خياره بين الدنيا والآخرة أن يخترن الآخرة أو الدنيا.

قال: (وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكـن أجراً عظيماً). فاخترنـن أن لا يتزوجنـن بعدهـنـ. ثم قال: (يا نساء النبي من يأتـنـكـنـ بفاحشة مبينـةـ - يعني الزنى - يضـاعـفـ لـهـ العـذـابـ ضـعـفـينـ - يعني في الآخرـةـ - وـكـانـ ذـلـكـ عـلـىـ اللهـ يـسـيرـاـ*) ومن يـقـنـتـ منـكـنـ لـهـ وـرـسـوـلـهـ - يعني تـطـعـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ (صـ) - وـتـعـمـلـ صـالـحـاـ نـؤـتـهـ أـجـرـهـ مـرـتـيـنـ - مـضـاعـفـاـ لـهـ فيـ الآخرـةـ وـكـذـلـكـ العـذـابـ - وـأـعـتـدـنـ لـهـ رـزـقـاـ كـرـيـماـ*) يا نـسـاءـ النـبـيـ لـسـتـنـ كـأـحـدـ منـ النـسـاءـ إـنـ اـتـقـيـنـ فـلـاـ تـخـضـعـنـ بـالـقـوـلـ فـيـ قـلـبـهـ مـرـضـ - يـقـوـلـ: فـجـورـ - وـقـلـنـ قـوـلـاـ مـعـرـوفـاـ*) وـقـرـنـ فـيـ بـيـوـتـكـنـ وـلـاـ تـبـرـجـ تـبـرـجـ الـجـاهـلـيـةـ الـأـوـلـيـةـ)، يـقـوـلـ: لـاـ تـخـرـجـنـ مـنـ بـيـوـتـكـنـ وـلـاـ تـبـرـجـنـ، يـعـنـيـ إـلـقـاءـ الـقـنـاعـ فـعـلـ أـهـلـ الـجـاهـلـيـةـ الـأـوـلـيـةـ.

فـقـالـ أـبـوـ سـعـيـدـ: هـذـاـ الـحـدـيـثـ عـلـىـ وـجـهـهـ (1ـ).

(1) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٧٩ - ١٨١.

كانت تلكم قصة التخيير، حدث عنها صحابيان ممن أدركوا الواقعه بتفصيل واف، وبينا موقف الشيختين المشرف من ابنتيهما، وليس فيه ذكر للهجر والتحرير والطلاق مما لا مبرر للقيام به في هذه الواقعه، والتي تنتهي في يومين وليس في شهر وأن ما ذكره يتناسب وسياق آيات التخيير.

ثانيا - قصة المظاهرة والتحرير:

وأما قصة المظاهرة والتحرير، فكالآتي بيانه:

أخرج ابن سعد في باب " ذكر المرأتين اللتين ظاهرتا على رسول الله (ص) وتخييره نساءه " من طبقاته بسنده إلى عروة بن الزبير قال: انطلقت حفصة إلى أبيها تحدث عنده، وأرسل رسول الله (ص) إلى مارية فضل معها في بيت حفصة وضاجعها، فرجعت حفصة من عند أبيها وأبصرتها فغارت غيرة شديدة، ثم إن رسول الله (ص) أخرج سريته فدخلت حفصة فقالت: قد رأيت ما كان عندك وقد والله سؤتني. قال النبي (ص): فإني والله لأرضينك، إني مسر إليك سرا فأخفيه لي، فقالت: ما هو؟ قال: أشهدك أن سريتي على حرام يريد بذلك رضا حفصة... الحديث (١).

وأخرج (٢) عن ابن عباس يقول:

خرجت حفصة من بيتها، وكان يوم عائشة، فدخل رسول الله (ص) بحاريته وهي مخمر وجهها فقالت حفصة لرسول الله (ص): أما إني قد رأيت ما

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٧ و ط. أوربا ج ٨ / ١٣٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٥ - ١٨٦ و ج ٨ / ١٣٤ ط. أوربا وفي مستدرك الحاكم عن انس: ان النبي (ص) كانت له امة يطأها فلم تزل به عائشة و حفصة حتى حرمتها على نفسها... الحديث.

صنعت، فقال لها رسول الله (ص): فأكتمي عني وهي حرام، فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها وبشرتها بتحرير القبطية، فقالت له عائشة: أما يومي فتعرس فيه بالقبطية، وأما سائر نسائك فتسلم لهن أيامهن! فأنزل الله: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا - لحصة - فلما نبأ به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أبائك هذا قال نبأني العليم الخبر) * إن تتو با إذ الله فقد صفت قلوبكما - يعني عائشة وحصة - وإن تظاهرا عليه - يعني حفصة وعائشة - فإن الله هو مولاه وجريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقك... الآية. فتركتهن رسول الله (ص) تسعاء وعشرين ليلة ثم نزل: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاه أزواجه والله غفور رحيم) فأمر فكفر يمينه وحبس نساءه عليه. وعن جبير بن مطعم قريبا من هذا (١). وعن القاسم بن محمد أيضا باختصار (٢).

وعن زيد بن أسلم أن النبي حرم أم إبراهيم فقال: " هي علي حرام، قال: والله لا أقربها "، قال: فنزل (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم...) الحديث (٣). وعن مسروق قال: آلى رسول الله من أمته وحرمها فأنزل الله في الآياء (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وأنزل الله: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاه أزواجه) فالحرام هنا حلال (٤). وأما، من هجرهن الرسول (ص)، وهل إنه هجر جميع نسائه تسعاء

(١) ن. م، ج ٨ / ١٨٦ - ١٨٧. وج ٨ / ١٢٥ ط. أوربا.

(٢) ن. م، ج ٨ / ١٨٧ و ٢١٣. وج ٨ / ١٢٥ و ١٥٤ ط. أوربا.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٦. وج ٨ / ١٢٤ ط. أوربا.

(٤) ن. م، ج ٨ / ١٨٦ و ٨ / ١٣٤ ط. أوربا.

وعشرين يوما؟ أو هجر بعضهن؟

ففي حديث أم سلمة بيان ذلك فيما أخرجه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه واللفظ للأول:

عن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث أن أم سلمة أخبرته أن رسول الله (ص) حلف أن لا يدخل على بعض أهله شهراً، فلما مضى تسعه وعشرون يوماً غداً عليهم (أو راح).

فقيل له: حلفت يا نبى الله أن لا تدخل علينا شهر؟

فقال: إن الشهر تسعة وعشرون يوما.. (١).

وفي سنن ابن ماجة وصحيح البخاري واللفظ للأول:

عن أم سلمة أن رسول الله (ص) آلى من بعض نسائه شهرا فلما كان تسعه وعشرون يوما راح أو غدا.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا مَضَى تِسْعَ وَعَشْرَ وَنَسْتَخْرَجُ مِنْهُ

فقال: الشهر تسع وعشرون (٢).

وهذا يتناسب وأصل الواقعة من قيام بعض أمراء المؤمنين بما سبب

التحريم فهجر الرسول (ص) تلکم البعض فحسب.

إذن فهو لاء الرواة يحدثون أن النبي (ص) كان قد وطأ سريرته ماربة في بيت حفصة، فاستاءت من ذلك فحرمتها على نفسه ابتغاء مرضاتها، وأسر ذلك إلى

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٣١٥، وصحيح مسلم ج ٢ / ٧٦٤ كتاب الصوم باب الشهر يكون تسعاً وعشرين، وصحيح البخاري ج ٣ / ١٧٤ كتاب النكاح باب هجرة النبي (ص) نساءه في غير بيتهن، وكتاب المظالم ج ٢ / ٤٨ باب الغرفة والعلية.

(٢) سنن ابن ماجة ج ١ / ٦٦٤ - ٦٦٥ كتاب الطلاق باب الايلاء، وصحيح البخاري ج ٢ / ٤٨ كتاب المظلوم باب الغرفة والعلية وكتاب النكاح ج ٣ / ١٧٤ باب هجرة النبي (ص) نساءه في غير بيتهن.

حفصة فأذاعتني إلى عائشة.

وفي بعض الروايات أن ذلك كان في يوم عائشة، وغير بعيد هذا القول لأن النبي (ص) كان قد حচص لكل واحدة من زوجاته يوماً وليلة، أما السرية فلم يكن لها يوم مخصوص ليقضي معها الرسول (ص) فلابد أنه كان يطئها في يوم بعض أزواجها، ولما صادف ذلك في بيت حفصة ويوم عائشة، وكانتا متصافيتين فيما بينهما متظاهرتين على غيرهما، راجعنا النبي (ص) بذلك بشدة فحرم النبي (ص) السرية على نفسه، كل ذلك جائز والعقل يستسيغه. ويفيد ذلك أن النبي (ص) لما هجرهن تسعًا وعشرين ليلة مكث في العلية التي كان أسكنها مارية، والتي كيت بعد ذلك بمنشربة أم إبراهيم يومين، كل ذلك جائز.

وأما أنه كيف كان تظاهرهما الذي ذكره القرآن حين قال: (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه...)؟ وما هو الأمر الذي أعرض عن ذكره الرسول (ص) تكرماً؟ فلا نطمئن إلى شئ مما حدثه الرواة في ذلك، فإن كان الرسول أعرض عن ذكره تكرماً ولم يجدهم به، وأنهما ومن كان معهما لم يحدثوا ذلك لأحد فمن أين عرفه الرواة؟

فقد وجدنا الخليفة عمر وأم المؤمنين عائشة لم يريا من الحكمة بيان ذلك في ما حدثوا عنه.

أما ما قاله الرواة في ذلك فقد رواه عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجها حديثاً...).

قال: اطلع حفصة على النبي (ص) مع أم إبراهيم فقال: "لا تخبري عائشة" وقال لها: "إن أباك وأباها سيملكان أو سيليان بعدي فلا تخبري عائشة".

قال: فانطلقت حفصة فأخبرت عائشة، فأظهره الله عليه فعرف بعضه

وأعرض عن بعض... (فلما نبأت به) أى أخبرت به عائشة لمصافحة كانت بينهما، وكانتا متظاهرتين على نساء النبي (ص) (وأظهره الله عليه) أى أطلعه الله عليه ومعنى (عرف بعضه وأعرض عن بعض، عرف حفصة بعض ما أوحى إليه وأعرض عن بعض تكرما (١)).

عن الضحاك في قوله: (يا أيها النبي لم تحرم) كانت لرسول الله (ص) فتاة فغشتها ببصرت به حفصة، وكانتا اليوم عائشة و كانتا متظاهرتين، فقال رسول الله (ص): "اكتمي على ولا تذكري لعائشة ما رأيت" فذكرت حفصة لعائشة فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله (ص) حتى حلف أن لا يقربها أبدا فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يكفر يمينه ويأتي جاريته (٢).

عن ابن عباس قوله: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى قوله: (وهو العليم الحكيم) قال: كانت عائشة وحفصة متحابتين، وكانتا زوجتي النبي (ص)، فذهبتا حفصة إلى أيها فتحدثت عنده، فأرسل النبي (ص) إلى جاريته فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة فوجدتهما في بيتهما فجعلت تنتظر خروجهما وغارت غيرة شديدة فأخرج رسول الله (ص) جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندهك، والله لقد سؤلني فقال النبي (ص): لأرضينك فإنني مسر إليك سرا فأحفظيه قال: ما هو؟ قال: إنيأشهدك أن سريتني هذه على حرام رضا لك... (٣) الحديث. عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان تظاهرتا؟

(١) راجع: تفسير القرطبي ج ١٨ / ١٨٦ - ١٨٧ في تفسير (التحريم) والسيوطى في الدر المنشور ج ٦ / ٢٤١.

(٢) تفسير الطبرى ج ٢٨ / ١٠٢، تفسير سورة التحرير.

(٣) تفسير الطبرى ج ٢٨ / ١٠١ تفسير سورة التحرير والسيوطى ج ٦ / ٢٣٩.

قال: عائشة وحفصة؟ و كان بده الحديث في شأن مارية أم إبراهيم القبطية، أصابها النبي (ص) في بيت حفصة في يومها فوجدت حفصة فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلى شيئاً ما جئته إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال: ألا ترضين أن احرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى، فحرمها وقال: لا تذكري ذلك لأحد، فذكرته لعائشة فأظهره الله عز وجل عليه فأنزل الله: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاه أزواجاك) الآيات كلها، فبلغنا أن رسول الله (ص) كفر عن يمينه وأصاب جاريته (١). وفي تفسير سورة التحريم من القرطبي (٢).

روى الدارقطني عن ابن عباس، عن عمر: دخل رسول الله (ص) بأم ولده مارية في بيت حفصة، فوجدته حفصة معها - وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها - فقالت له: تدخلها بيتي! ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك، فقال لها: "لا تذكري هذا لعائشة فهي علي حرام إن قربتها" قالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها ألا يقربها، فقال النبي (ص): "لا تذكريه لأحد" فذكرته لعائشة فآلى لا يدخل على نسائه شهراً فاعتزلهن تسعًا وعشرين ليلة، فأنزل الله عز وجل: (لم تحرم ما أحل الله لك) الآية.

وفي رواية ابن عباس بكتنز العمال: حتى إذا كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله إن لي حاجة إلى أبي فأذن لي آيتها، فأذن لها، ثم أرسل إلى مارية جاريته فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها، فقالت حفصة: فوجدت الباب مغلقاً

(١) كنز العمال ج ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٩ من تفسير سورة التحريم والحديث (١٧٨٦)، والدر المنشور للسيوطى ج ٦ / ٢٣٩ والطبرى في تفسير سورة التحريم ج ٢٨ / ١٠٢ . (٢) تفسير القرطبي ج ١٨ / ١٧٨ تفسير سورة التحريم.

فجلست عند الباب فخرج رسول الله (ص) وهو فرع ووجهه يقطر عرقاً وحصبة تبكي، فقال: "ما ييكيك؟"

قالت: إنما أذنت لي من أجل هذا؟ أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها على فراشي، ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، أما والله لا يحل لك هذا يا رسول الله!

قال: "والله ما صدقت، أليس هي جاريتي وقد أحلها الله لي؟ أشهدك أنها على حرام التمس رضاك، لا تخبرني بهذا امرأة منهن، فهي عندك أمانة" فلما خرج رسول الله (ص) قرعت حصبة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله (ص) قد حرم عليه أمته، وقد أراحتنا الله تعالى منها، فأنزل الله.... الحديث (١).

عن زيد بن أسلم (٢) أن رسول الله (ص) أصاب أم ولده إبراهيم في بيت بعض نسائه قال: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي! فجعلها عليه حراماً. فقالت: يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال؟ فحلف لما بالله لا يصيّبها فأنزل الله عز وجل: (يا أيها النبي...) الآية. قال زيد: قوله: أنت على حرام لغو (٣).

قال ابن زيد في قوله: (يا أيها النبي لم تحرم) قال: إنه وجدت امرأة من نساء رسول الله (ص) ورسول الله مع جاريته في بيتها، فقالت: يا رسول الله أني

(١) كنز العمال ج ٢ / ٥٣٥ - ٥٣٧ ط. مؤسسة الرسالة في تفسير سورة التحرير وج ٢ / ٣٤٠ - ٣٤١ ط. حيدر آباد.

(٢) الطبرى في تفسيره ج ٢٨ / ١٠٠ تفسير سورة التحرير.

(٣) وهناك ١٤ حديثاً في الباب أنها نزلت في تحرير العجارية، راجع تفسير الطبرى ج ٢٨ / ١٠١ - ١٠٠.

كان هذا الأمر، وكنت أهونهن عليك؟ فقال لها رسول الله (ص): "اسكتي لا تذكرني هذا لأحد، هي على حرام إن قربتها بعد هذا أبداً"، فقالت: يا رسول الله وكيف تحرم عليك ما أحل الله لك حين تقول: هي على حرام أبداً؟ فقال: "والله لا آتياها أبداً..." الحديث.

(٩٠)

خلاصة بحثي التحرير والتخيير و نتيجتهما
أ - قصة التحرير:

نزلت سورة التحرير في شأن أمي المؤمنين عائشة و حفصة بسبب ان رسول الله (ص) أصاب جاريته مارية في يوم عائشة و بيت حفصة فتألمت حفصة من ذلك فحرم الرسول (ص) مارية على نفسه تطيبها لخاطرها، واستكتمتها الخبر فأنبأت أم المؤمنين عائشة بذلك و ظهرت على رسول الله (ص) فأنبأه الله على ما ظهرت عليه، فأنبأ الرسول حفصة بعض ما ظهرت عليه و اعرض عن ذكر بعض ما انبأ الله لها تكرما، ثم خاطبها الله وقال: (ان تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكم و ان ظهرت عليه فان الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير) ثم تهديد بالتطليق في الدنيا وبعد ذلك تهديد بعذاب الآخرة، و دعوة ثانية لعامة المؤمنين بالتوبه النصوح اي الخالصة من التردد و بتخويف و تهديد بعذاب الآخرة، و ذكر لحال النبي (ص) و الذين آمنوا معه يومذاك، ثم ضرب مثلا بسوء عاقبة زوجتي رسولين خانتا زوجيهما في مقابل حسن عاقبة مؤمنتين.

كان ذلك خلاصة ما جاء في سورة التحرير، وأجمعت الروايات و تواترت عن غير أم المؤمنين عائشة ان المتظاهرين على رسول الله (ص) هما أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة. و اختلفت روايات أم المؤمنين عائشة في ذكر

المتظاهرة الثانية معها، وذكرت ان الذي حرمه الرسول (ص) على نفسه هو العسل، ولا يليق بعظمته الباري جل اسمه وحكمته ان يحيش لهذا الأمر ملائكته وصالح المؤمنين.

ولا يتفق محتوى الآيات والتنصيص على أن المظاهرتين كانتا اثنتين مع رواية الخليفة عمر بأن الرسول (ص) طلق جميع أزواجه بسبب مطالبتهن الرسول (ص) بأكثر مما يتيسر له من النفقة، وإنما يناسب ذلك آيات التخيير التي أمر الله جل اسمه رسوله (ص) أن يخير أزواجه بين أن يمتعهن ويسر حهن سراحًا جميلاً. إن أردن الدنيا وزينتها وبين أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة التي أعد للمحسنات منها فيها أجرًا عظيمًا.

ب - قصة التخيير:

نعرف حقيقة قصة التخيير مما ذكره الصحابي جابر في الأمر أن الرسول (ص) لم يحفر لصلاة الجمعة في مسجده يوماً وليلة وان الخليفة عمر استأذن النبي (ص) فدخل وأخبره النبي بان أزواجه يطالبه من النفقة ما ليس عنده، وانه وأبا بكر طلبا من ابنتهما أن لا تطالبا الرسول (ص) ما لا يتيسر له اتفاقه عليهما، وبعدها يخاطبان سائر أزواج الرسول (ص) بذلك فجاءتهما أم سلمة بقولها: ما لكما ولما هاهنا رسول الله (ص) أعلى بأمرنا... الحديث. فأنزل الله تعالى في هذا الشأن قوله الكريم: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالى متعكين وأسر حكن سراحًا جميلاً - يعني متعة الطلاق - وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة...) الآية. فبدأ بعائشة فقال: إن الله أمرني أن أخبارك بين أن تخترن الله ورسوله والدار الآخرة وبين أن تخترن الدنيا وزينتها وقد بدأت بك فانا أخبارك فقالت: فاني اختار الله ورسوله والدار

الآخرة أكتم علي ولا تخبر بذلك نساءك قال: " بل اخبرهن " وخبرهن واخترن جميعا الله ورسوله والدار الآخرة، ولا يمتد زمان هذه الواقعة أكثر من يوم وليلة، ولم يشتهر فيها انه طلق نساءه فيما وإنما الطلاق يناسب شأن المتظاهرتين عليه، وفيها قال الله تعالى: (عسى ربہ ان طلقکن ان ییدله ازواجا خیرا منکن...) فحلف الرسول (ص) أن لا يدخل عليهما شهرا تأدیبا لهما، ولعله كان يذهب في نوبتهما إلى مشربة مارية. ولما تم تسع وعشرون ليلة دخل في نوبتهما في بيتهما وكان غاية الدعاية في خلط القصتين في بعض الروايات الدفاع عن حرمة أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة.

(٩٣)

ج - روايات المسابقة والتيمم والإفك
قال المقرئي في غزوة المريسيع:

كان حديث الإفك، وذلك أن رسول الله (ص) نزل منزلة ليس معه ماء
وسقط عقد عائشة (رض) من عنقها، فأقام (ص) بالناس حتى أصبحوا وضاحر
الناس وقالوا: حبسنا عائشة، فضاق بذلك أبو بكر وعاتب عائشة عتابا
شديدا، ونزلت آية التيمم...

ثم ساروا ونزلوا موضعا دمثا طيبا ذا أراك فقال رسول الله (ص): " يا
عائشة! هل لك في السباق"؟

قالت: نعم، فتحزمت ثيابها وفعل ذلك رسول الله (ص)، ثم استبقا،
فسبق (ص) عائشة (رض)، فقال: (هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتني).
وكان جاء إلى منزل أبي بكر، ومع عائشة شيء فقال: "هلميه" فأبانت
وسمعت وسمعت في أثرها فسبقته.... وكان يرجل بعير عائشة أبو مويبة ورجل
آخر، وكانت تقعده في هودج... ثم ذكر قصة الإفك (١).

وقال ابن سعد بعد ايراده خبر غزوة بنى المصطلق:
وفي هذه الغزوة سقط عقد لعائشة فاحتبسوا على طلبه، فنزلت آية التيمم،
فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.

(١) إمتناع الأسماع للمقرئي ص ٦ - ٢٠٦ . ٢٠٧

وفي هذه الغزارة كان حديث عائشة وقول أهل الإفك فيها.
قال: وأنزل الله تبارك وتعالى براءتها.
وغاب رسول الله (ص) في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً وقدم المدينة
للهلال شهر رمضان (١).
وتفصيل الاخبار في كتب الحديث كالآتي بيانها باذنه تعالى:

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٦٥ ط. بيروت.

أولاً - حديث المسابقة

أخرج أحمد حديث المسابقة بأربعة أسانيد في مسنده (١).

عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: خرجمت مع النبي (ص) في بعض أسفاره وأنا حارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالى حتى أسابقك، فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجمت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا ثم قال: تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك. عن أبي سلمة مثله (٢).

وعن هشام، عن أبيه أيضاً قريباً منه (٣).

وعن القاسم بن محمد، عن عائشة باختصار (٤). ***

كانت تلكم أحاديث المسابقة في مسنده أحمد. وفي ما يأتي حديث التيمم بإذنه تعالى.

(١) مسنده ج ٦ / ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٣٩ و ١٨٢ و ١٢٩ و ٢٦١ و راجع منتخب الكتز ج ٦ / ١٧٣ وفي عيون الأخبار ج ١ / ٣١٥ بسنده إلى أبي سلمة وفي سنن ابن ماجة ص ٦٣٥ كتاب النكاح باب حسن المعاشرة عن هشام عن أبيه موجز الحديث.

(٢) تقدم آنفاً تحت رقم ٢.

(٣) تقدم آنفاً تحت رقم ٢.

(٤) تقدم آنفاً تحت رقم ٢.

ثانياً - حديث التيمم:

في صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي وسنن الدارمي وسنن ابن ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد وأبي عوانة واللفظ للأول: عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله (ص) ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي (ص) شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: حزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل للمسلمين فيه بركة (١).

وفي مسند أحمد: عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة زوج النبي (ص): أقبلنا مع رسول الله (ص) في بعض أسفاره حتى إذا كنا بتربان بلد بينه وبين المدينة بريد وأميال وهو بلد لإماء به... الحديث.
وفيه أن أباها قال لها: والله ما علمت يا بنية إنك لمباركة، ماذا جعل الله

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضل عائشة ٢ / ٣٠٨، وصحیح مسلم، كتاب الحیض، الحديث رقم ١٠٩، ج ١ / ٢٧٩، وسنن النسائي، كتاب الطهارة، باب بدء التيمم ١ / ١٦٣ - ١٦٤، وسنن الدارمي، كتاب الوضوء، باب التيمم مرة ١ / ١٩٠ - ١٩١، وموطأ مالك، كتاب الطهارة، باب في التيمم، ح: ٨٩، ج ١ / ٥٣ - ٥٤، ومسند أحمد ٦ / ١٧٦، وسنن ابن ماجة، كتاب الطهارة، ح: ٥٦٨، ج ١ / ١٨٨، ومسند أبي عوانة ١ / ٣٠٢.

للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر (١).

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٢٧٢ وفي مادة تربان من معجم البلدان.

(٩٨)

ثالثا - حديث الإفك

أ - في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد (١) واللفظ للأول: عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت:

كان رسول الله (ص) إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيدهن خرج سهمنها خرج بها رسول الله (ص) معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزها فخرج سهمني فخرجت مع رسول الله (ص) بعد ما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله (ص) من غزوه تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلم قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جزع ظفار (٢) قد انقطع فالتمست عقدي وحبسي ابتغاوه، وأقبل الرهط الذين كانوا

(١) أخرج هذه الرواية كل من البخاري ج ٦ / ١٢٧ في باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) من تفسير سورة النور ط. بيروت دار التراث العربي، وفي باب حديث الإفك من كتاب المغازي ج ٣ / ٢٦ - ٢٨. ومسلم في (باب في حديث الإفك) من كتاب التوبة ج ٨ / ١١٢ - ١١٨. وفي مسند أحمد ج ٦ / ١٩٤ - ١٩٨ والطبراني في تفسيره بسندهم إلى الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة (رض) زوج النبي (ص) حين قال لما أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا: وكل حدثي طائفة من الحديث وبعض حديثهم يصدق ببعض وإن كان بعضهم أوعى له من بعض. الحديث.

(٢) الجزع: الخزر اليماني وظفار: بلد باليمن.

يرحلون لي فاحتلوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون اني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يقللهم اللحم إنما تأكل العلقة (١) من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهدوج حين رفعوه وكانت جارية... حديثة السن فيعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأقمت في منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي، وبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنممت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الزكوانى - عرس - (٢) من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتأني فعرفني حين رأني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بحلبائي والله ما كلامني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ عل يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرین في نحر الظهيرة (٣) فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشئ من ذلك وهو يريني في وجيبي اني لا أعرف من رسول الله (ص) اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي، إنما يدخل علي رسول الله (ص) فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذاك الذي يريني ولا أشعر، حتى خرجت بعدما نفهت فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع (٤) وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا

(١) البلقة: البلقة من الطعام.

(٢) في رواية مسلم. وعرس في السفر: نزل آخر الليل لنوم أو استراحة، أدلج: سار آخر الليل.

(٣) في نحر الظهيرة: نحر الظهيرة حين تبلغ الشمس متهاها من ارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر.

(٤) المناصع: هي المواقع التي يختلي فيها لقضاء الحاجة واحدتها منصب.

إلى ليل، وذلك قبل أن تتحذن الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمّ العرب الأولى في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكتف أن نتحذنها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر حالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعشرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح.

فقلت لها: بئس ما قلت أتبين رجلاً شهد بدر؟

قلت: وما قال؟

قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازدادت مرضها على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخلت على رسول الله (ص) - تعني سلم - ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتاذن لي أن آتي أبي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله (ص) فجئت أبي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئه عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت: سبحانه الله ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهمما حين استلبث الوحي يستأنمر هما فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله (ص) بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم في نفسه من الود فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيير، تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله (ص) ببريره فقال: أي

بريرة هل رأيت شيء يرييك؟ قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق ان رأيت عليها أمراً أغمقه (١) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن (٢) فتأكله، فقام رسول الله (ص) فاستعذر يومئذ عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله وهو على المنبر: يا معاشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً. ولقد ذكروا رجالاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معنى، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعتذر منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، أنت الحيآن الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (ص) قائم على المنبر فلم يزل رسول الله (ص) يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقا لي دمع يظنن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فيبينما ما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لما فجلست تبكي معى، قالت: فيينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله (ص) فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبلها وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأنى،

(١) أغمقه: أغبيه عليها.

(٢) الداجن: هو الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم وقد يسمى به كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها.

قالت: فتشهد رسول الله (ص) حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد
 بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب
 فاستغفري الله وتوببي إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله
 عليه، قالت: فلما قضى رسول الله (ص) مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه
 قطرة فقلت لأبي: أحب رسول الله (ص) فيما قال: قال: والله ما أدرى ما أقول
 لرسول الله (ص) فقلت لأمي: أجيبي رسول الله (ص) قالت: ما أدرى ما أقول
 لرسول الله (ص) قالت: فقلت وأنا حارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن:
 اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به،
 فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني والله ما أجد لكم مثلاً إلا
 قول أبي يوسف: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) قالت: ثم تحولت
 فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم اني بريئة وان الله مبرئني
 ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيا يتلى، ولشأني في
 نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول
 الله (ص) في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فوالله ما قام رسول الله (ص) ولا
 خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البراء (١)
 حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي
 ينزل عليه قالت: فلما سري عن رسول الله (ص) وسرى عنه وهو يضحك فكانت
 أول كلمة تكلم بها: يا عائشة اما الله عز وجل فقد برأك، فقالت أمي: قومي إليه،
 قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل وأنزل الله: (إن الذين
 جاءوا بالإفك عصبة منكم) العشر الآيات كلها، فلم أنزل الله هذا في براءتي قال
 أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربابته منه وفقره - والله

(١) البراء: الشدة.

لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: (ولا يأْتِلُ
أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسُّعْدَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينُ وَالْمَهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفِحُوا إِلَّا تَحْبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) قال أبو بكر:
بلى والله اني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقه التي كان ينفق عليه
وقال: والله لا أزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله (ص) سأله زينب
بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله
أحمر سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة: وهي التي كانت
تساميني من أزواج النبي (ص) فعصمتها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة
تحارب لما فهلكت في من هلك من أصحاب الإفك.

ب - وأخرج البخاري (١) ومسلم في قصة الإفك أيضاً عن هشام بن عروة
قال: أخبرني أبي عن عائشة قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام
رسول الله (ص) في الناس خطيباً... ثم قال: فقام سعد بن معاذ فقال: أئذن لي يا
رسول الله أن نضرب أعناقهم، وقام رجل من بني الخزرج وكانت أم حسان بن
ثابت من رهط ذلك الرجل فقال: كذبت... ولما كان مساء ذلك اليوم خرجت
بعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت: تعس مسطح... ثم عثرت الثالثة
فقالت: تعس مسطح فانتهرتها فقالت: والله ما أسبه إلا فيك. قلت: في أي

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة النور، باب (إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُّونَ أَنْ تُشَيَّعَ
الْفَاحِشَةَ...)، ج ٣ / ١١٢ و ١١٣ و ج ٦ / ١٣٥ - ١٣٦ وهذا سنه: وقال أبوأسامة عن
هشام بن عروة... واللفظ له، وأخرجه مسلم في باب الإفك من صحيحه وهذا سنه: ثنا
أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء قالا: ثنا أبوأسامة... الحديث ج ٨ / ١١٨ و ط. تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢١٢٩ - ٢١٣٠، والطبرى في تفسيره ١٨ / ٧٤ - ٧٦
والترمذى ج ٢ / ٣٨٨

شأني؟... فبترت (١) لي الحديث، فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت لا أحد منه لا قليلاً ولا كثيراً وووعلت فقلت لرسول الله: أرسلني إلى بيتي أبي فأرسل معي الغلام... فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل... قال: أقسمت عليك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت... وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف (٢) أنشى فقط، قالت عائشة: فقتل شهيداً في سبيل الله، قالت: وأصبح أبوابي عندي فلم يزال حتى دخل رسول الله (ص)... فحمد ثم قال: أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءاً أو ظلمت فتوب... قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار فهي جالسة بالباب، فقلت: ألا تستحيي (٣) من هذه المرأة؟... تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد... وانزل على رسول الله (ص)... إلى قولها: وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان ابن ثابت والمنافق عبد الله بن أبي وهو الذي كان يستوشيه (٤) ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة... الحديث.

يختلف هذا الحديث عن الذي قبله من وجوه منها انه جاء في الحديث الأول قصة خروجها للتبرز وكلام أم مسطح معها بعد المرض، وفي الحديث الثاني ذكر أن مرضها كان بعد اخبار أم مسطح لها، ويظهر من هذا وغيره مما يتبه إليه القارئ فيما إذا قارن بين الحديدين من وجوه الاختلاف. ومضافاً إلى هذين الحديدين، قد جاء في مسند أحمد (٥) طرف من حديث الإفك بسند ابنه عبد الله إلى

(١) بترت لي الحديث: فتحته.

(٢) كف الإنسان: حظنه.

(٣) كلمة نابية ولا أرى أم المؤمنين كانت تجاهه الرسول (ص) بمثلها.

(٤) استوشى الحديث: بحث عنه وجمعه.

(٥) مسند أحمد ج ٦ / ١٠٣.

عمر عن أبيه عن عائشة....

ج - في صحيح البخاري بسنده عن الزهري: قال لي الوليد بن عبد الملك: أبلغك أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ قلت: لا. ولكن قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن عائشة قالت لهما: كان علي مسلماً في شأنها (١).

د - في صحيح البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه، عن أم المؤمنين عائشة قالت: فقام رسول الله (ص) فاستغذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول. قالت: فقال رسول الله (ص) وهو على المنبر: يا معاشر المسلمين من يغدرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكرروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أغدرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من أخواننا من الخزرج أمرنا ففعلنا أمرك قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتماله الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقدر على قتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتله فإنك منافق تحادل عن المنافقين، فتناولوا الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (ص) قائم على المنبر فلم يزل رسول الله (ص) يخفضهم حتى سكتوا وسكت (٢).

ه - في سنن ابن ماجة وأبي داود والترمذى ومسند أحمد واللفظ للأول: عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة قالت: لما نزل عذرى، قام رسول الله (ص) على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن. فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضرروا

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك ٣ / ٢٨.

(٢) صحيح البخاري ج ٣ / ١١١ في تفسير سورة النور، وكتاب المغازي ج ٣ / ٢٧.

حدهم (١).

وفي سنن أبي داود بسنده: فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة حسان ابن ثابت ومسطح بن أثاثة، قال التفيلي: ويقولون المرأة حمنة بنت جحش. وفي سنن الترمذى عن عروة عن عائشة مثله.

وفي صحيح البخارى: وشاور عليا وأسامة في ما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منها حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمر الله (٢).

وفي مغازي الواقدي بسنده عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة. كانت تلكم روايات أم المؤمنين عائشة في أوثق كتب الحديث والسيرة والتفسير عن قصتي التيم والإفك ونجد لرواياتها صدى في أحاديث غيرها، كما نورد أمثله منها في ما يأتي بأذنه تعالى. أصياد روايات أم المؤمنين في أحاديث غيرها:
أ - في حديث الخليفة عمر بن الخطاب.

روى السيوطي في تفسير الآيات بسنده عن الخليفة عمر أنه قال: كان رسول الله (ص) إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ثلاثة فن أصابتها القرعة خرج بها معه، فلما غزا بني المصطلق أقرع بينهن فأصابت عائشة وأم سلمة فخرج بهما معه، فلما كانوا في بعض الطريق مال رحل أم سلمة فناخوا بغيرها ليصلحوا

(١) سنن ابن ماجة، باب حد القذف، ص ٨٥٧، وسنن أبي داود، باب حد القذف، الحديث ٤٤٤٧، ٤٤٧٥، ٤٦٢ / ٤، وفي سنن الترمذى، كتاب التفسير، تفسير سورة النور ٣٥ / ٥٧، ومستند أحمد ٦ / ٢.

(٢) صحيح البخارى، كتاب المغازي، باب حديث الإفك ٣ / ٢٧ - ٢٨.

رحلها، وكانت عائشة ت يريد قضاء حاجة فلما أبركوا إبلهم قالت عائشة: فقلت في نفسي: إلى ما يصلاح رحل أم سلمة أقضى حاجتي، قالت: فنزلت من الهودج ولم يعلموا بنزولي فأتيت خربة فانقطعت قلادتي فاحتبس في جمعها ونظمها، ولجت القوم إبلهم ومضوا وطنوا اني في الهودج، فخرجت ولم أر أحدا فاتبعتهم حتى أعييت، فقلت في نفسي: إن القوم سيفقدونني ويرجعون في طلبي فقمت على بعض الطريق، فمر بي صفوان بن المغطس وكان سأله النبي (ص) أن يجعله على الساق فجعله، وكان إذا رجا الناس قام ليصلني ثم اتبعهم فما سقط منهم من شيء حمله حتى يأتي به أصحابه، قالت عائشة: فلما مر بي ظن أني رجل فقال: يا نومان قم فان الناس قد مضوا، فقلت: اني لست رجلا أنا عائشة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم أناخ بيته فعقل يديه ثم ولى عنى فقال: يا أمه قومي فاركبي فإذا ركبت فآذيني، قالت: فركبت فجاء حتى حل العقال ثم بعث جمله فأخذ بخطام الجمل، قال عمر: مما كلماها كلاما حتى أتى بها إلى رسول الله (ص) فقال عبد الله ابن أبي بن سلول للناس: فجر بها ورب الكعبة وأعانه على ذلك حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة، وشاع ذلك في العسكر فبلغ ذلك النبي (ص) فكان في قلب النبي (ص) مما قالوا حتى رجعوا إلى المدينة، وأشاع عبد الله بن أبي هذا الحديث في المدينة واشتد ذلك على رسول الله (ص) قالت عائشة: فدخلت ذات يوم أم مسطح فرأته وأنا أريد المذهب فحملت معي السطل وفيه ماء فوقع السطل منها فقالت: تعس مسطح قالت لها عائشة: سبحان الله تسبين رجلا من أهل بدر وهو ابنك، قالت لها أم مسطح: انه سال بك السيل وأنت لا تدررين وأخبرتها بالخبر، قالت: فلما أخبرتني أخذتني الحمى بنافض مما كان ولم أجد للمذهب قالت عائشة: وقد كنت أرى من النبي (ص) قبل ذلك جفوة ولم أدر من أي شيء هو، فلما حدثتني أم مسطح علمت أن جفوة رسول الله (ص) من ذاك،

فلما دخل علي قلت: أتاذن لي أن أذهب إلى أهلي؟ قال: اذهب، فخرجت عائشة حتى أتت أباها، فقال: مالك؟ قالت: أخرجنني رسول الله (ص) من بيته، قال لها أبو بكر: فأخرجك رسول الله (ص) من بيته وآويك أنا والله لا آويك حتى يأمر رسول الله (ص) فأمره رسول الله (ص) ان يؤويها، فقال لها أبو بكر: والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قط فكيف وقد أعزنا الله بالاسلام؟ فبكت عائشة وأمها أم رومان وأبو بكر وعبد الرحمن وبكى معهم أهل الدار، وبلغ ذلك النبي (ص) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: يا أيها الناس من يعذرني ممن يؤذيني؟ فقام إليه سعد بن معاذ وسل سيفه وقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، ان يكن من الأوس أتيتك برأسه وان يكن من الخزرج أمرتنا بأمرك فيه، فقام سعد بن عبادة فقال: كذبت والله ما تقدر على قتله إنما طلبنا بذحول كانت بيننا وبينكم في الجاهلية، فقال هذا: يا للأوس وقال هذا: يا للخزرج فاضطربوا بالنعال والحجارة فتلاطموا فقام أسيد بن حضير فقال: فيم الكلام هذا رسول الله (ص) يأمرنا بأمره فنفعه عن رغم أنفنا، ونزل جبريل وهو على المنبر فلما أسرى عنه تلا عليهم ما نزل به جبريل: (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، إلى آخر الآية، فصاح الناس: رضينا بما انزل الله وقام بعضهم إلى بعض وتلازموا أو تصايرعوا فنزل النبي (ص) عن المنبر، وابطا الوحي في عائشة فبعث النبي (ص) إلى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وبريدة وكان إذا أراد ان يستشير في أمر أهله لم يعد عليها وأسامة بن زيد بعد موت أبيه، فقال لعلي: ما تقول في عائشة فقد أهمني ما قال الناس؟ قال: يا رسول الله قد قال الناس وقد حل لك طلاقها، وقال لأسامة: ما تقول أنت؟ قال: سبحان الله ما يحل لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قال لبريرة: ما تقولين يا بريرة؟ قالت: والله يا رسول الله ما علمت على أهلك إلا خيرا إلا أنها امرأة نؤوم تنم حتى تجئ الداجن فتأكل عجينها

وإن كان شئ من هذا ليخبرنك الله، فخرج النبي (ص) حتى أتى منزل أبي بكر فدخل عليها فقال: يا عائشة ان كنت فعلت هذا الأمر فقولي لي حتى استغفر الله لك، فقالت: والله لا استغفر الله منه أبداً ان كنت قد فعلته فلا غفر الله لي وما أجد مثلكم إلا مثل أبي يوسف. اذهب اسم يعقوب من الأسف (١) (قال إنما أشكو بشي وحزني إلى الله واعلم من الله ما لا تعلمون) وبيننا رسول الله (ص) يكلها إذ نزل جبريل بالوحى فأخذت النبي (ص) نعسة فسرى وهو يتسم فقال: يا عائشة ان الله قد أنزل عذرك، فقالت: بحمد الله لا بحمدك، فتلا عليها سورة النور إلى الموضع الذي انتهى إليه عذرها وبراءتها، فقال رسول الله (ص): قومي إلى البيت، فقامت وخرج رسول الله (ص) إلى المسجد، فدعا أبا عبيدة بن الجراح فجمع الناس ثم تلا عليهم ما أنزل الله من البراءة لعائشة، وبعث إلى عبد الله بن أبي فجع به فقر به النبي (ص) حدين وبعث إلى حسان ومسطح وحمنة فضربوا ضرباً وجينا ووجى في رقبهم.

قال ابن عمر: إنما ضرب رسول الله (ص) عبد الله بن أبي حدين لأنه من قذف أزواج النبي (ص) فعليه حدان.

وبعث أبو بكر إلى مسطح: لا وصلتك بدرهم أبداً ولا عطفت عليك بخير أبداً ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله، ونزل القرآن: (ولا يأتل أولو الفضل منكم) إلى آخر الآية، فقال أبو بكر: أما إذ نزل القرآن يأمرني فيك لأشاعفنك لك.

وكان امرأة عبد الله بن أبي منافقة معه فنزل القرآن: (الخبيثات) يعني امرأة عبد الله (للحبيثين) مع عبد الله (والحبيثون للخبيثات) عبد الله وامرأته (والطبيات) يعني عائشة وأزواج النبي (ص) (للطبيين) يعني

(١) هكذا في الأمل.

النبي (ص) (١).

ب - أيضاً أخرج السيوطي في تفسير الآية عن ابن عباس أنه قال: إن النبي (ص) كان إذا سافر جاء بعض نسائه وسافر عائشة وكان لها هودج وكان الهودج له رجال يحملونه ويضعونه، فurus رسول الله (ص) وأصحابه وخرجت عائشة للحاجة فباعتده فلم يعلم بها فاستيقظ النبي (ص) والناس قد ارتحلوا.

وجاء الذين يحملون الهودج فحملوه فلم يعلموا إلا أنها فيه فساروا.

وأقبلت عائشة فوجدت النبي (ص) والناس قد ارتحلوا فجلست مكانها فاستيقظ رجل من الأنصار (٢) يقال له صفوان بن معطل وكان لا يقرب النساء فتقرب منها ومعه بعير له، فلما رآها وكان قد عرفها وهي صغيرة قال: أم المؤمنين؟ ولوى وجهه وحملها ثم أخذ بخطام الجمل وأقبل يقوده حتى لحق الناس والنبي (ص) قد نزل وفقد عائشة، فأكثروا القول وبلغ ذلك النبي (ص) فشق عليه حتى اعتزلها.

واستشار فيها زيد بن ثابت وغيره فقال: يا رسول الله دعها لعل الله يحدث أمره فيها.

فقال علي بن أبي طالب: النساء كثير.

وخرجت عائشة ليلة تمشي في نساء فعثرت أم مسطح فقالت: تعس مسطح، قالت عائشة: بئس ما قلت، فقالت: إنك لا تدررين ما يقول فأخبرتها فسقطت عائشة مغشياً عليها، ثم أنزل الله: (إن الذين جاءوا بالإفك)

(١) الدر المنشور ج ٥ / ٢٨ - ٢٩.

(٢) ييدو أن الراوي يخلط كثيراً فان صفوان لم يكن من الأنصار.

الآيات.

وكان أبو بكر يعطي مسطحاً ويصله وبيره فحلف أبو بكر لا يعطيه فنزل: (ولا يأتل أولو الفضل منكم) الآية، فأمره النبي (ص) أن يأتيها ويسيرها فجاء أبو بكر فأخبرها بعذرها وما أنزل الله فيها فقالت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك (١).

ج - في الدر المنشور عن أبي اليسر الأنباري:

أن النبي (ص) قال لعائشة: يا عائشة قد أنزل الله عذرك قالت: بحمد الله لا بحمدك، فخرج رسول الله (ص) من عند عائشة فبعث إلى عبد الله بن أبي ففر به حدين وبعث إلى مسطح وحمنة ففر بهم (٢).

و - في صحيح البخاري بسنده عن مسروق بن الأجدع قال: حدثني أم رومان وهي أم عائشة قالت: بينما أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث، قالت: وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا، قالت عائشة: سمع رسول الله (ص)؟ قالت: نعم، قالت: وأبو بكر؟ قالت: نعم، فخررت مغشياً عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فطرحت عليها ثيابها فغطتها، فجاء النبي (ص) فقال: ما شأن هذه؟ قلت: يا رسول الله أخذتها الحمى بنافض، قال: فعل في حدث تحدث به، قالت: نعم، فقعدت عائشة فقالت: والله لئن

(١) الدر المنشور ٥ / ٢٨ ومن هذه الرواية أخذ الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠) ما رواه بتفسير الآية من تفسيره البيان.

(٢) الدر المنشور ج ٥ / ٢٩ وأبو أنس قال بترجمته في أسد الغابة ج ٥ / ١٤٢: أبو أنس الأنباري مدني، وقال في آخر ترجمته: وأبو انس يتضمن من أبي أسيد وكذا في الدر المنشور ذكره أبو اليسر.

حلفت لا تصدقوني، ولئن قلت لا تعذروني، مثلني ومثلكم كيعقوب وبنيه، والله المستعان على ما تصفون، قالت: وانصرف ولم يقل شيئاً، فأنزل الله عذرها، قالت: بحمد الله لا بحمد أحد ولا بحمدك (١).

وإنما قلنا إن الروايات الآنفة من اصداء روايات أم المؤمنين عائشة لأن في الرواية المروية عن الخليفة عمر بعد الاسترسال في الحديث عن القصة جاء: قالت عائشة. إذا فان ما روي عن الخليفة مصدره أم المؤمنين عائشة وتفرد هذا الحديث خاصة بذكر ما يأتي:

أ - ان أباها لم يؤوها حتى اذن له رسول الله (ص).

ب - ان الأوس والخزرج تضاربوا بالنعال حتى أنزل الله فيهم: (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...) الآية.

ج - ان امرأة عبد الله بن أبي كانت - أيضاً - منافقة وأنزل الله تعالى في شأنهما: (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) وأنزل سبحانه في شأن عائشة وسائل أزواج الرسول والرسول (ص): (والطبيات للطبيين) الآية.

أما الرواية المروية عن ابن عباس فقد تفردت بذكر ما يأتي:

أ - فاستيقظ النبي (ص) والناس قد ارتحلوا.

ب - فاستيقظ رجل من الأنصار يقال له صفوان بن المعطل بينما صفوان كان من المهاجرين.

ج - استشار النبي (ص) في أمرها زيد بن ثابت بينما جاء في روايات الصحاح انه استشار في أمرها أسامة بن زيد.

وإنما قلنا إن هذه الرواية - أيضاً - من اصداء روايات أم المؤمنين لأن ابن

(١) صحيح البخاري ط. دار الكتب العربية بمصر سنة ١٣٢٧، كتاب المغازي، باب حديث الإفك ج ٣ / ٢٨.

عباس كان قد هاجر إلى المدينة مع أبيه في السنة الثامنة من الهجرة ولم يكن في المدينة قبل ذلك، وخبر الإفك كما ترويه أم المؤمنين عائشة كان قبل ذلك، ولأن روايته للحديث الذي دار بين أم المؤمنين عائشة وأم مسطح لم يحضرها ليرويها إلا أن يكون قد سمعها من أحاديث أم المؤمنين عائشة التي مرت بنا في ما سبق والتي كانت قد انتشرت منذ عصر أم المؤمنين عائشة بين المسلمين وبقيت كذلك حتى اليوم.

وكذلك الأمر في ما روي عن أبي أنيس أنه أخبر أن أم المؤمنين عائشة قالت لرسول الله بعد نزول الآيات: (بحمد الله لا بحمدك) فهل كان أبو أنيس حاضرا معهما يخبر عما دار بينهما من حديث؟ أم ان هذا الخبر - أيضا - من أصداء روايات أم المؤمنين عائشة؟

ورواية مسروق بن الأجدع سوف يأتي في الترجم بآخر البحث انه لم يلق أم رومان، وانه جاء إلى المدينة بعد وفاة أم رومان، ثم إن أم رومان - أيضا - على الأصح كانت قد توفيت قبل غزوة بنى المصطلق.

كانت تلكم روايات المسابقة والتيمم والإفك في كتب الصحاح والسنن والمسانيد وفي ما يأتي نورد أخبارها باذنه تعالى من أوثق مصادر سيرة الرسول (ص).

الحديث الإلْفَكُ فِي أَوْثَقِ مَصَادِرِ السِّيرَةِ وَالتَّارِيخِ
أَخْرَجَ حَدِيثَ الْإِلْفَكَ الْأَوَّلَ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّ مِنْ: ابْنِ هَشَامَ (١)،
وَالْطَّبَرِيَّ (٢)، وَابْنِ كَثِيرَ (٣)، وَابْنِ الْأَثِيرَ (٤)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ وَهَذَا سِيَاقُهُمْ
(٥):
(فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فَخْرَجَ سَهْمِي

(١) قَالَ ابْنُ هَشَامَ فِي جِ ٣ / ٣٤١ - ٣٤٧: خَبْرُ الْإِلْفَكَ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقَ "سَنَةُ سِتٍّ"
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثَنَا الزَّهْرِيُّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَّيرٍ، وَعَنْ عُرْوَةِ بْنِ
الْزَّبِيرِ، وَعَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ، قَالَ: كُلُّ قَدْ حَدَثَنِي بِعَضُّ هَذَا الْحَدِيثِ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ كَانَ
أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ، وَقَدْ جَمِعْتُ لَكَ مَا حَدَثَنِي الْقَوْمُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَادَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ،
وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيهِ بَكْرَ، عَنْ عُمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ نَفْسِهَا حِينَ قَالَ فِيهَا أَهْلُ
الْإِلْفَكَ مَا قَالُوا، وَكُلُّ قَدْ دَخَلَ فِي حَدِيثِهَا عَنْ هُؤُلَاءِ جَمِيعًا، يَحْدُثُ بَعْضُهُمْ مَا لَمْ يَحْدُثْ
صَاحِبُهُ، وَكُلُّ كَانَ عَنْهَا ثَقَةً، فَكُلُّهُمْ حَدَثَ عَنْهَا مَا سَمِعَ.

قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ... الْحَدِيثُ.

(٢) وَأَخْرَجَهُ الْطَّبَرِيُّ فِي ذَكْرِهِ حَوَادِثُ السَّنَةِ السَّادِسَةِ جِ ٣ / ٦٧ وَهَذَا سِيَاقُهُ: ثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ
قَالَ: ثَنَا سَلْمَةً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، ثُمَّ أَوْرَدَ سَنْدَ ابْنِ هَشَامَ الْأَوَّلَ بِلِفْظِهِ ثُمَّ
قَالَ: ثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: ثَنَا ابْنَ سَلْمَةَ، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ، ثُمَّ أَوْرَدَ سَنْدَ ابْنِ هَشَامَ
الثَّانِي بِلِفْظِهِ ثُمَّ أَوْرَدَ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ كَابِنِ هَشَامَ.

(٣) ابْنُ كَثِيرٍ جِ ٤ / ١٦٠ - ١٦١ وَهَذَا لِفْظُهُ: (قَصَّةُ الْإِلْفَكِ) وَهَذَا سِيَاقُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقِ ثُمَّ
أَوْرَدَ رَوْايَةَ ابْنِ هَشَامٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقِ - وَالَّذِي أَخْرَجَهُ الْطَّبَرِيُّ أَيْضًا - نَقْلَهَا بِالْفَاظِهَا.

(٤) قَدْ أَوْرَدَ ابْنَ الْأَثِيرِ مُخْتَصِّرًا هَذَا الْحَدِيثَ فِي جِ ٢ / ٧٣ - ٧٥ مِنْ تَأْرِيْخِهِ وَهُوَ يُوَرَّدُ مَا جَرِيَ
بَيْنَ الصَّحَابَةِ عَنْ تَأْرِيْخِ الْطَّبَرِيِّ كَمَا صَرَحَ بِذَلِكَ فِي مُقْدِمَةِ تَأْرِيْخِهِ الْكَامِلِ، اذْنَ فَكِلَّ هُؤُلَاءِ
الْمُؤْرِخِينَ يَنْتَهِي سَنَدُهُمْ فِي حَدِيثِ الْإِلْفَكِ إِلَى ابْنِ إِسْحَاقَ وَالْطَّبَرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ.

(٥) وَالْفَاظُ لِابْنِ هَشَامَ.

عليهن معه فخرج بي رسول الله... الحديث.

وروى الواقدي في القصة في مغازيه في باب (ذكر عائشة وأصحاب الإفك) (١) ما موجزه:

عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعائشة (رض): حدثينا يا أمه حدديثك في غزوة المريسيع.

قالت: يا بن أخي، إن رسول الله (ص) كان إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه، فأيتها خرج سهتما خرج بها، وكان يحب ألا أفارقها في سفر ولا حضر. فلما أراد غزوة المريسيع أقرع بيننا فخرج سهمي وسهم أم سلمة، فخرجنا معه، فغنمته الله أموالهم وأنفسهم، ثم انصرفنا راجعين.

فنزل رسول الله (ص) بتربان منزلا ليس معه ماء ولم ينزل على ماء. وقد سقط عقد لي من عنقي، فأخبرت رسول الله (ص) فأقام بالناس حتى أصبحوا وضج الناس وتكلموا وقالوا: احتبسنا عائشة. وأتى الناس أبا بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ حبست رسول الله (ص)، والناس على غير ماء وليس معهم ماء.

فضاق بذلك أبو بكر فجاءني مغيظا فقال: ألا ترين ما صنعت بالناس؟ حبست رسول الله والناس على غير ماء وليس معهم ماء.

قالت عائشة: فعاتبني عتابا شديدا وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ص)، رأسه على فخذي وهو نائم. فقال أسيد بن حضير: والله، إني لأرجو أن تنزل لنا رخصة، ونزلت آية التيم.

(١) مغازى الواقدي ٢ / ٤٢٦، وقد تابع المقرئي في كتابه إمتناع الأسماع ما جاء في مغازى الواقدي عن القصة ص ٤٢٧ - ٤٣٤.

فقال رسول الله (ص): كان من قبلكم لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم، وجعلت لي الأرض طهوراً حيثما أدركتني الصلاة. فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.

قالت: وكان أسيد رجلاً صالحاً في بيته من الأوس عظيم. ثم إنما سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا موضعًا دمثاً طيباً ذا أراك، قال: يا عائشة، هل لك في السباق؟

قلت: نعم. فتحزمت بثيابي وفعل ذلك رسول الله (ص)، ثم استبقنا فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتني. وكان جاء إلى منزل أبي ومعي شيء فقال: هل فيه؟ فأبىت فسعيت وسعى على أثري فسبقته. وكانت هذه الغزوة بعد أن ضرب الحجاب.

قالت: وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة، هن إنما يأكلن العلق (١) من الطعام، لم يهينن (٢) باللحم فيثقلن. وكان اللذان يرحلان بعييري رجلين، أحدهما مولى رسول الله (ص) يقال له أبو موهبة، وكان رجلاً صالحاً، وكان الذي يقود بي البعير.

وإنما كنت أقعد في الهودج فتتأتي فيحمل الهودج فيوضعه على البعير، ثم يشده بالحبال ويبعث بالبعير. ويأخذ بزمام البعير فيقود بي البعير. وكانت أم سلمة يقاد بها هكذا، فكنا نكون حاشية من الناس، يذب عنا من يدنو منا، فربما سار رسول الله (ص) إلى جنبي وربما سار إلى جنب أم سلمة. قالت: فلما دنونا من المدينة نزلنا منزلًا فبات به رسول الله (ص) بعض الليل، ثم أدلجه وأذن للناس

(١) العلق: جمع علقة، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء. (شرح أبي ذر، ص ٣٣٥).

(٢) التهبيج: كالورم في الجسم. (شرح أبي ذر، ص ٣٣٥).

بالرُّحْيَل فَارْتَحَلَ الْعَسْكَرُ. وَذَهَبَ لِحَاجَتِي فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاءَوْزَتِ الْعَسْكَرِ وَفِي
عَنْقِي عَقْدٌ لِي مِنْ جَزْعٍ ظَفَارٍ (١)، وَكَانَتْ أُمِّي أَدْخَلَتِي فِيهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص).
فَلَمَّا قُضِيَتِ حَاجَتِي أَنْسَلَ مِنْ عَنْقِي فَلَا أَدْرِي بِهِ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الرَّحْلِ ذَهَبَتِ
أَتَتْمِسْهُ فِي عَنْقِي فَلَمْ أَجِدْهُ، وَإِذَا الْعَسْكَرُ قَدْ نَغْضَوْا (٢) إِلَّا عِيرَاتٍ (٣)، وَكَنْتُ أَظُنْ
أَنِّي

لَوْ أَقْمَتْ شَهْرًا لَمْ يَعْثُ بِعِيرِي حَتَّى أَكُونَ فِي هُودْجِيٍّ، فَرَجَعْتُ فِي التَّمَاسِهِ فَوَجَدْتُهُ
فِي الْمَكَانِ الَّذِي ظَنَّتُ أَنَّهُ فِيهِ، فَحَبَسْنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَتَى الرَّجْلَانِ خَلَافِيٍّ، فَرَحَلُوا
بِالْبَعِيرِ وَهَمَّ حَمَلُوا الْهُودْجَ وَهُمْ يَظْنُونَ أَنِّي فِيهِ، فَوَضَعُوهُ عَلَى الْبَعِيرِ وَلَا يَشْكُونَ أَنِّي
فِيهِ - وَكَنْتُ قَبْلَ لَا أَتَكَلَّمُ إِذَا أَكُونُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْكِرُوا شَيْئًا - وَبَعْثُوا الْبَعِيرَ فَقَادُوا
بِالْزَّمَامِ وَانْطَلَقُوا، فَرَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَلَيْسَ فِيهِ دَاعٌ وَلَا مُجِيبٌ، وَلَا أَسْمَعْ صَوْتًا
وَلَا زَجْرًا.

قَالَتْ: فَالْتَّفَتْ بِشَوْبِي وَاضْطَجَعَتْ وَعْلَمَتْ أَنِّي إِنْ افْتَقَدْتُ رَجْعَ إِلَيِّي.
قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَضْطَجِعَ فِي مَنْزِلِي، قَدْ غَلَبْتِنِي عَيْنِي فَنَمَتْ. وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ
مَعْطَلَ السَّلْمِيُّ ثُمَّ الْذَّكَوَانِيُّ عَلَى سَاقَةِ النَّاسِ مِنْ وَرَائِهِمْ، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي
فِي عَمَايَةِ الصَّبَحِ، فَيَرِي سَوَادَ إِنْسَانَ فَأَتَانِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابَ
وَأَنَا مُلْتَفَةٌ، فَأَثْبَتَنِي فَاسْتِيقَظَتْ بَاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرْفِنِي. فَخَمْرَتْ وَجْهِي
بِمَلْحَفِتِي، فَوَاللَّهِ إِنْ كَلَمْنِي كَلْمَةً غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ اسْتِرْجَاعَهِ حِينَ أَنَا خَبِيرَهُ.
ثُمَّ وَطَأَ عَلَى يَدِهِ مُولِيَا عَنِّي، فَرَكِبَتْ عَلَى رَحْلِهِ، وَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي حَتَّى جَئْنَا
الْعَسْكَرَ شَدَ الصَّحْيَ، فَارْتَعَجَ الْعَسْكَرُ وَقَالَ أَصْحَابُ الْإِلْفَكَ الَّذِي قَالُوا - وَتَوَلَّى
كَبَرُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي - وَلَا أَشْعُرُ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ وَالنَّاسُ يَخْوُضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ

(١) ظَفَار: مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ قَرْبُ صَنْعَاءِ، يَنْسَبُ إِلَيْهِ الْجَزْعُ. (الْقَامُوسُ الْمُحيَطُ، ج ٢، ص ٨١).

(٢) نَغْضَوْا: تَحْرِكُوا. (الْقَامُوسُ الْمُحيَطُ، ج ٢، ص ٣٤٦).

(٣) فِي بِ: "إِلَّا غَيْرَاتٍ".

الإِلْفَكَ.

ثم قدمنا فلم أنسَبْ أَنْ اشْتَكَيْتْ شَكْوَى شَدِيدَةَ، وَلَا يَلْغَنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءَ، وَقَدْ انتَهَى ذَلِكَ إِلَى أَبْوِي، وَأَبْوَايِ لا يَذْكُرَانِ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) لَطْفَهُ بِي وَرَحْمَتِهِ، فَلَا أَعْرَفْ مِنْهُ الْلَّطْفُ الَّذِي كَتَبَ أَعْرَفْ حِينَ اشْتَكَيْتْ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فِي سُلْطَمَ فَيَقُولُ: كَيْفَ تَيَّكُمْ؟ فَكَنْتُ إِذَا اشْتَكَيْتْ لَطْفَهُ بِي وَرَحْمَنِي وَجَلْسَ عَنْدِي. وَكَنَا قَوْمًا عَرَبًا لَا نَعْرِفُ الْوَضْوَءَ فِي الْبَيْتِ، نَعْفَهَا وَنَقْدِرُهَا، وَكَنَا نَخْرُجُ إِلَى الْمَنَاصِعِ (١) بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعَشَاءِ لِحَاجَتِنَا. فَذَهَبْتُ لَيْلَةَ وَمَعِي أَمْ مَسْطَحَ مَلْتَفَعَةَ فِي مَرْطَهَا، فَتَعْلَقْتُ بِهِ فَقَالَتْ: تَعْسُ مَسْطَحَ! فَقَلَتْ: بَشَّسْ لِعَمْرِ اللَّهِ مَا قَلَتْ، تَقُولِينَ هَذَا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَتْ لِي مَجِيَّةُ: مَا تَدْرِيْنَ وَقَدْ سَالْتُ بَكَ السَّيْلَ. قَلَتْ: مَاذَا تَقُولِينَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَصْحَابِ الْإِلْفَكَ، فَقَلَصَ ذَلِكَ مِنِّي، وَمَا قَدِرْتُ عَلَى أَنْ أَذْهَبَ لِحَاجَتِي، وَزَادَنِي مَرْضًا عَلَى مَرْضِيِّ، فَمَا زَلْتُ أَبْكِي لَيْلَيْ وَيَوْمَيْ. قَالَتْ: وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَعْدَ ذَلِكَ فَقَلَتْ: أَئْذَنْ لِي أَذْهَبَ إِلَى أَبْوِي، وَأَنَا أَرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا. فَأَذَنْ لِي فَأَتَيْتُ أَبْوِي فَقَلَتْ لَأْمِي: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُ، تَحَدَّثُ النَّاسُ بِمَا تَحَدَّثُوا بِهِ وَذَكَرُوا مَا ذَكَرُوا وَلَا تَذَكَّرُنَّ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً! فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّ، خَفْضَيْ عَلَيْكَ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ جَارِيَةً حَسَنَاءً عَنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلِمَا ضَرَائِرٍ إِلَّا كَثُرَنَ عَلَيْهَا الْقَالَةُ وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَقَلَتْ: سَبَحَانَ اللَّهِ، وَقَدْ تَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا كَلْهَ؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ الْلَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمًا. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَيْهَا وَأَسَمَّةَ فَاسْتَشَارَهُمَا فِي فَرَاقِ أَهْلِهِ.

قالت: وكان أحد الرجلين ألين قوله من الآخر. قال أسمة: يا رسول الله، هذا الباطل والكذب، ولا نعلم إلا خيرا، وإن بريئة تصدقك. وقال علي: لم يضيق

(١) هي الموضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة. واحدها منصب. (النهاية، ج ٤، ص ١٤٩).

الله عليك، النساء كثير وقد أحل الله لك وأطاب، فطلقتها وانكح غيرها. قالت: فانصرفا، وخلا رسول الله (ص) ببريرة فقال: يا بريرة، أي امرأة تعلمين عائشة؟ قالت: هي أطيب من طيب الذهب، والله ما أعلم عليها إلا خيرا، والله يا رسول الله، لئن كانت على (١) غير ذلك ليخبرنك الله عز وجل بذلك، إلا أنها جارية ترقد عن العجين حتى تأتي الشاة فتأكل عجينها، وقد لمتها في ذلك غير مرة. وسأل رسول الله (ص) زينب بنت جحش ولم تكن امرأة تصاهي (٢) عائشة عند رسول الله (ص) غيرها. قالت عائشة: ولقد كنت أخاف عليها أن تهلك للغيرة علي، فقال هلا النبي (ص): يا زينب، ماذا علمت على عائشة؟ قالت: يا رسول الله، حاشا سمعي وبصري، ما علمت عليها إلا خيرا. والله، ما أكلمها وإنني لمهاجرتها، وما كنت أقول إلا الحق. قالت عائشة: أما زينب، فعصيمها الله، وأما غيرها فهلك مع من هلك. ثم سأله رسول الله (ص) أم أيمن فقالت: حاشا سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظنت بها قط إلا خيرا. ثم صعد رسول الله (ص) المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: من يعذرني ممن يؤذيني في أهلي؟ ويقولون لرجل، والله ما علمت على ذلك الرجل إلا خيرا، وما كان يدخل بيته من بيته إلا معي، ويقولون عليه غير الحق. فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله؟ إن يك من الأوس آتك برأسه، وإن يك من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك نمضي لك. فقام سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن الغضب بلغ منه، وعلى ذلك ما غمض (٣) عليه في نفاق ولا غير ذلك إلا أن الغضب يبلغ من أهله، فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله. والله ما

(١) في ب: "لئن كانت على ذلك".

(٢) في ب: "تناضي".

(٣) تقول هو مغمومص عليه، أي مطعون في دينه. (القاموس المحيط، ج ٢ ص ٣١٠).

قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنه من الخزرج، ولو كان من الأوس ما قلت ذلك، ولكنك تأخذنا بدخول (١) كانت بيننا وبينك في الجاهلية، وقد محا الله ذلك! فقال أسيد بن حضير: كذبت والله، لنقتلنـه وأنفك راغـم فإـنـك منـافق تـجـادـلـ عنـ المنـافقـينـ! واللهـ، لوـ نـعـلـمـ ماـ يـهـوـيـ رسـوـلـ اللهـ منـ ذـلـكـ فيـ رـهـطـيـ الأـدـنـينـ ماـ رـامـ رسـوـلـ اللهـ مـكـانـهـ حتـىـ آـتـيـهـ بـرـأـسـهـ؟ ولـكـنـيـ لاـ أـدـرـيـ ماـ يـهـوـيـ رسـوـلـ اللهـ! قالـ سـعـدـ ابنـ عـبـادـةـ: تـأـبـونـ ياـ آـلـ أـوـسـ إـلـاـ أـنـ تـأـخـذـوـنـاـ بـدـخـولـ كـانـتـ فـيـ جـاهـلـيـةـ وـالـلـهـ ماـ لـكـمـ بـذـكـرـهـ حـاجـةـ، وـإـنـكـمـ لـتـعـرـفـوـنـ لـمـنـ الـغـلـبـةـ فـيـهـاـ. وـقـدـ مـحـاـ اللـهـ بـالـاسـلـامـ ذـلـكـ كـلـهـ. فـقـامـ أـسـيـدـ بـنـ حـضـيـرـ فـقـالـ: قـدـ رـأـيـتـ مـوـطـنـاـ يـوـمـ بـعـاثـ! ثـمـ تـغـالـظـواـ، وـغـضـبـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ فـنـادـىـ: يـاـ آـلـ خـزـرـجـ! فـاـنـحـازـتـ خـزـرـجـ كـلـهـاـ إـلـىـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ. وـنـادـىـ سـعـدـ بـنـ مـعـاذـ: يـاـ آـلـ أـوـسـ! فـاـنـحـازـتـ أـوـسـ كـلـهـاـ إـلـىـ سـعـدـ بـنـ مـعـاذـ. وـخـرـجـ الـحـارـثـ بـنـ حـزـمـةـ مـغـيـرـاـ حتـىـ أـتـيـ بـالـسـيـفـ يـقـوـلـ: أـضـرـبـ بـهـ رـأـسـ النـفـاقـ وـكـهـفـهـ. فـلـقـيـهـ أـسـيـدـ بـنـ حـضـيـرـ وـهـوـ فـيـ رـهـطـهـ وـقـالـ: اـرـمـ بـهـ، يـحـمـلـ السـلاـحـ مـنـ غـيـرـ أـمـرـ رسـوـلـ اللهـ! لـوـ عـلـمـنـاـ أـنـ لـرـسـوـلـ اللهـ فـيـ هـذـاـ هـوـيـ أـوـ طـاعـةـ مـاـ سـبـقـتـنـاـ إـلـيـهـ. فـرـجـعـ الـحـارـثـ (٢) وـاـصـطـفـتـ أـوـسـ وـخـزـرـجـ، وـأـشـارـ رسـوـلـ اللهـ (صـ) إـلـىـ الـحـيـنـ جـمـيـعـاـ أـنـ اـسـكـتـوـاـ، وـنـزـلـ عـنـ الـمـنـبـرـ فـهـدـأـهـمـ وـخـفـضـهـمـ حتـىـ اـنـصـرـفـوـاـ. قـالـتـ عـائـشـةـ: وـجـاءـ رسـوـلـ اللهـ (صـ) فـدـخـلـ عـلـيـ فـجـلـسـ عـنـدـيـ، وـقـدـ مـكـثـ شـهـرـاـ قـبـلـ ذـلـكـ لـاـ يـوـحـيـ إـلـيـهـ فـيـ شـأـنـيـ. قـالـتـ: فـتـشـهـدـ رسـوـلـ اللهـ (صـ) حـينـ جـلـسـ، ثـمـ قـالـ: أـمـاـ بـعـدـ يـاـ عـائـشـةـ، فـإـنـهـ بـلـغـنـيـ كـذـاـ وـكـذـاـ، فـإـنـ كـنـتـ بـرـيـةـ يـبـرـئـهـ اللـهـ، وـإـنـ كـنـتـ أـلـمـمـتـ بـشـئـ مـاـ يـقـوـلـ النـاسـ فـاـسـتـغـفـرـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ، فـإـنـ العـبـدـ إـذـا

(١) في الأصل: " بدخول "، وما أثبتناه هو قراءة بـ. والدخول: العداوة. (النهاية ج ٢ / ٤٣).

(٢) في بـ: " فرجـعـ الـحـارـثـ بـسـيـفـهـ وـلـغـطـتـ أـوـسـ وـخـزـرـجـ ".

اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله (ص) كلامه ذهب دمعي حتى ما أجد منه شيئاً، وقلت لأبي: أحب رسول الله (ص). فقال: والله، ما أدرى ما أقول وما أحب به عنك، قالت: فقلت لأمي: أجيبي عن رسول الله (ص) فقالت: والله ما أدرى ما أحب عنك لرسول الله (ص)، وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيراً من القرآن: قالت: فقلت: إني والله قد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث، فوقع في أنفسكم فصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أني منه بريئة لتصدقوني. وإنني والله ما أجد لي مثلاً إلا أباً يوسف إذ يقول: (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (١) والله ما يحضرني ذكر يعقوب، وما أهتدي من الغيظ الذي أنا فيه. ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وقلت: والله يعلم أني بريئة، وأنا بالله واثقة أن يبرئني الله ببراءتي. فقال أبو بكر: فما أعلم أهل بيته من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر، والله، ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله ولا ندع له شيئاً، فيقال لنا في الإسلام! قالت: وأقبلت على أبي مغضباً، قالت: فاستعبرت فقلت في نفسي: "والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتم أبداً" ، وأيم الله لأنكنت أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل في قرآن يقرأه الناس في صلاتهم، ولكن قد كنت أرجو أن يرى رسول الله (ص) في نومه شيئاً يكذبهم (٢) الله يعني به لما يعلم من براءاتي، أو يخبر خبراً، فأما قرآن فلا والله ما ظنته! قالت: فوالله، ما برح رسول الله (ص) من مجلسه، ولا خرج أحد من أهل بيته حتى يغشاهم الله ما كان يغشاهم. قالت: فسجني بثوبه وجمعت وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت ما رأيت فوالله لقد

(١) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٢) في بـ: "يُكذب الله عنـي بـ".

فرحت به وعلمت أني بريئة، وأن الله تعالى غير ظالم لي. قالت: وأما أبواي فوالذي نفسي بيده ما سري عن النبي (ص) حتى ظنت لتخرجن أنفسهما فرقاً أن يأتي أمر من الله تحقيق ما قال الناس. ثم كشف رسول الله (ص) عن وجهه وهو يضحك، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان، وهو يمسح جبينه، فكانت أول كلمة قالها: "يا عائشة، إن الله قد أنزل براءتك". قالت: وسرى عن أبيي وقالت أمي: قومي إلى رسول الله. فقلت: والله، لا أقوم إلا بحمدك، فأنزل الله هذه الآية: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه) (١) الآية. قالت: فخرج رسول الله (ص) إلى الناس مسروراً، فصعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم تلا عليهم بما نزل عليه في براءة عائشة. قالت: فضربهم رسول الله (ص) الحد، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي، وكان مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت. قال أبو عبد الله: ويقال إن رسول الله (ص) لم يضربهم - وهو أثبت عندنا. *

كانت تلكم أخبار المسابقة والتيمم والإفك في غزوة بنى المصطلق ولا بد لنا في دراستها أن ندرس أخبار غزوة بنى المصطلق في ما يأتي بإذنه تعالى.

غزوة بنى المصطلق في مغاري الواقدي ما موجزه: كانت غزوة المرسيع، ويقال غزوة بنى المصطلق وهم بنو جذيمة بن كعب ابن حزاعة. فجذيمة هو المصطلق، والمرسيع ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو من

(١) سورة النور: ١١.

يُوْم، وَبَيْنَ الْفَرْعَ وَالْمَدِينَةِ ثَمَانِيَّةُ بَرْدَ (١). وَكَانَتْ فِي سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَوْمَ الْاثْنَيْنِ لِلْيَتَيْنِ خَلْتَانِ مِنْ شَعْبَانَ، وَسَبِبَهَا أَنَّ الْحَارَثَ بْنَ أَبِي ضَرَارَ الْخَزَاعِيَّ سَيِّدَ بَنِ الْمَصْطَلِقِ سَارَ فِي قَوْمِهِ وَمِنْ قَدْرِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، فَابْتَاعُوهُ خَيْلًا وَسَلَاحًا وَتَهْيَأُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص). وَجَعَلَتِ الرَّكَبَانِ تَقْدِمُ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ فَيُخْبِرُونَ بِمَسِيرِهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَبَعَثَ بَرِيْدَةَ بْنَ الْحَصِيبَ الْأَسْلَمِيَّ يَعْلَمُ عِلْمَ ذَلِكَ، وَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ (ص) أَنْ يَقُولَ فَأَذْنَ لَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِمْ مَاءِهِمْ، فَوُجِدَ قَوْمًا مَغْرُورِينَ قَدْ تَأْلَبُوا وَجَمَعُوهَا الْمَجْمُوعَ، فَقَالُوا: مَنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْكُمْ، قَدَمَتْ لَمَا بَلَغْنِي عَنْ جَمِيعِكُمْ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَأَسِيرُ فِي قَوْمِيِّ وَمِنْ أَطْاعَنِي فَتَكُونُ يَدُنَا وَاحِدَةٌ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ. قَالَ الْحَارَثُ بْنَ أَبِي ضَرَارٍ: فَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، فَعَجَلَ عَلَيْنَا. قَالَ بَرِيْدَةُ: أَرْكَبَ الْآنَ فَآتِيَكُمْ بِجَمْعٍ كَثِيفٍ مِنْ قَوْمِيِّ وَمِنْ أَطْاعَنِي. فَسَرُوا بِذَلِكَ مِنْهُ، وَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَأَخْبَرُوهُ خَبْرَ الْقَوْمِ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) النَّاسَ، وَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَ عَدُوِّهِمْ فَأَسْرَعُوهُمْ إِلَى الْخُروْجِ، وَقَادُوهُمْ إِلَى الْخَيْوَلِ وَهِيَ ثَلَاثُونَ فَرْسًا، فِي الْمَهَاجِرِينَ مِنْهَا عَشْرَةً وَفِي الْأَنْصَارِ عَشْرُونَ، وَلِرَسُولِ اللَّهِ (ص) فَرْسَانٌ.

وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَمْ يَخْرُجُوا فِي غَزَّةِ قَطْ مِثْلَهَا، لَيْسَ بِهِمْ رُغْبَةٌ فِي الْجَهَادِ إِلَّا أَنْ يَصِيبُوهُمْ مِنْ عَرْضِ الدِّينِ، وَقَرْبُ عَلَيْهِمُ السَّفَرِ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) حَتَّى سَلَكَ عَلَى الْحَلَائِقِ (٢) فَنَزَلَ بِهَا، فَأَصَابَ عَيْنَاهُ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فَضَرَبَ عَنْقَهِ بَعْدَ أَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَبَى. وَانْتَهَى (ص) إِلَى

(١) الْبَرْدُ جَمْعُ بَرِيدٍ: وَالْبَرِيدُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ، وَالْفَرَسِخُ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ، وَالْمِيلُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ذَرَاعٍ.

(٢) يَرَوِي أَيْضًا بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ، وَهُوَ مَكَانٌ بَيْنَ مَزَارِعِ وَآبَارِ قَرْبِ الْمَدِينَةِ. (شَرْحُ عَلَى الْمَوَاهِبِ الْلَّدِينِيَّةِ، جَ ٢، صَ ١١٦).

المريسيع [وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل] وقد بلغ القوم مسيرة رسول الله (ص) وقتله عينهم، فتفرق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أبناء (١) العرب. وضرب له (ص) قبة من أدم، فصف أصحابه وقد تهياً الحارث للحرب، ونادى عمر بن الخطاب في الناس: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم. فأبوا ورموا بالنبل، فرمى المسلمين ساعة بالنبل ثم حملوا على المشركين حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، وسيط النساء والذرية، وغنم الإبل والشاء. ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد يقال له هشام بن صبابة: أصحابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ.

فأخرج رسول الله (ص) الخمس من جميع المغمون فكان يليه محمية بن جزء، وكان يجمع إليه الأخماس. وكانت الصدقات على حدتها، أهل الفيء بمعزل عن الصدقة، [وأهل الصدقة] بمعزل عن الفيء. فكان يعطي من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف، وفرق السبي، فصار في أيدي الرجال، وقسم المتعة والنعم والشاء، وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن له - فكتابتها على تسع آوac من ذهب. فبينا النبي (ص) على الماء إذ دخلت عليه تسأله في كتابتها وقالت: يا رسول الله! إني امرأة مسلمة وتشهدت وانتسبت، وأخبرته بما جرى لها، واستعانته في كتابتها، فقال: أو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك! قالت: نعم! فطلبها من ثابت فقال: هي لك يا رسول الله. فأدى ما عليها وأعتقها وتزوجها. وخرج الخبر إلى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نسائهم، فقالوا: أصحاب النبي!

(١) يقال: قوم من أبناء القبائل: أي نزاع من هننا وهننا، فهم أخلاق لا يدرى من أي قبيلة هم.

فأعتقدوا ما بآيديهم من ذلك السبب. وكانت حويرية (رض) عظيمة البركة على قومها (١). *

كان ذلك موجز أخبار غزوة بنى المصطلق على ماء المرسيع، وبعد انتهاء القتال وانتصار الرسول (ص) عليهم وقعت منافرة على ماء المرسيع أدى بابن أبي أنس يقول ما قال، وكان بعد ذلك ما سنتله موجزا من مغازي الواقدي بإذنه تعالى.

ذكر ما كان من أمر ابن أبي:
روى الواقدي وقال:

فبينا المسلمون على ماء المرسيع قد انقطعت الحرب، وهو ماء ظنون (٢) إنما يخرج في الدلو نصفه. أقبل سنان بن وبر الجهنمي ومعه فتیان من بنی سالم يستقون وعلى الماء جمع من المهاجرين والأنصار. فأدلى سنان دلوه، وأدلى جهجاه بن مسعود ابن سعد بن حرام الغفاری - أجیر عمر بن الخطاب - دلوه، فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه وتنازعوا، فضرب جهجاه سنانا فسال الدم فنادی: يا آل خزرج! وثارت الرجال، فهرب جهجاه وجعل ينادي في العسكر: يالقریش! يالكنانة! فأقبلت قریش وأقبلت الأوس والخزرج وشهروا السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه. وكان عبد الله بن أبي جالسا في عشرة من المنافقين فغضب وقال: والله ما

(١) مغازي الواقدي ١ / ٤٠٤ - ٤١١.

(٢) الماء الظنون: أي القليل (النهاية).

رأيت كاليل يوم مذلة! والله إن كنت لكارها لوجهي هذا ولكن قومي قد غلبواني، قد فعلوها، قد نافرونا (١) وكاثرلونا في بلدنا، وأنكروا متننا (٢) والله ما صرنا وجلابيب (٣) قريش هذه إلا كما قال القائل: "ممن كلبك يأكلك". والله لقد ظننت أنني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لا يكون لذلك مني غير (٤) والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهם بلادكم، ونزلوا منازلكم، وآسيتموهם (٥) في أموالكم حتى استغنو، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلتم دونهم، فأيتمتم أولادكم وقتلتم وکثروا... الحديث.

وفي الأغاني (٦) فقال عبد الله بن أبي بن سلول: هذا ما جزونا به، آويناهم ثم هم يقاتلوننا! وبلغ حسان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفتية الأنصار،

(١) نافره: خاصمه وفاخره، فيكون أحدهما أعز نفراً من صاحبه.

(٢) المنة: الاحسان والنعم.

(٣) الجلباب: إزار يشتمل به فيعطي الجسد، وهو من خشن اللباس يلبسه الفقراء، وكان المهاجرون لما هاجروا - على ما هم عليه من الخلة والعيلة - كان ذلك أكثر لباسهم فيما يرى، فجعل المنافقون يسمونهم "الجلباب" كناءة عن فقرهم وقلتهم وغربتهم، وجعلوا ذلك نبذاً وتهزواً.

(٤) والغير: الاسم من قولك غيرت الشئ تغييراً، يريد لا يكون مني لهذا العداون دفع أو تغيير أو قصاص.

(٥) آسيتموهם: يريد سوitem بينكم وبينهم في هذه الأموال.

(٦) الأغاني ج ٤ / ١٢ - ١٣ ط. ساسي وقال ابن كثير في ج ٤ / ١٦٣: وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش من تخاصم على الماء من أصحاب جهجاه.

فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل قدموا على رسول الله (ص) في الاسلام، وهذا الشعر من رواية مصعب دون الزهري:

أمسى الجلايib قد عزوا وقد كثروا * وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
يمشون بالقول سرا في مهادنة * تهددا لي كأني لست من أحد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه * أو كان منتسبا في برشن الأسد
ما للقتيل الذي اسمو فاقتله * من دية فيه أعطيها ولا قود
ما البحر حين تهب الريح شامية * فيغطئل ويرمي العبر بالزبد
يوما بأغلب مني حين تبصرني * أفرى من الغيظ فري العارض البرد
أما قريش فإني لست تاركهم * حتى ينبيوا من الغيات بالرشد
ويترکوا اللات والعزى بمعزلة * ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم * حق ويوفوا بعهد الله في سدد
أبلغبني باني قد تركت لهم * من خير ما ترك الآباء للولد
الدار واسطة والنخل شارعة * والبيض يرفلن في القسي كالبرد
قال: فقال رسول الله (ص): "يا حسان نفست علي إسلام قومي" (١).
وقال الواقدي والمقرizi:

فقام زيد بن أرقم بهذا الحديث كله إلى رسول الله (ص)، فيجد عنده نفرا من أصحابه من المهاجرين والأنصار فأخبره الخبر. فكره رسول الله (ص) خبره وتغير وجهه، ثم قال رسول الله (ص): يا غلام، لعلك غضبت عليه! قال: لا والله، لقد سمعته منه. قال: لعله أخطأ سمعك! قال: لا يا نبی الله! قال: لعله شبه عليك! قال: لا والله، لقد سمعته منه يا رسول الله! وشاع في العسكر ما قال ابن

(١) الأغاني ج ٤ / ١٢ - ١٣ ط. ساسي.

أبي، وليس للناس حديث إلا ما قال ابن أبي، وجعل الرهط من الأنصار (١) يؤنون الغلام ويقولون: عمدت إلى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل، وقد ظلمت وقطعت الرحم! فقال زيد: والله لقد سمعت منه! قال: والله، ما كان في الخزرج رجل واحد أحب إلي من عبد الله بن أبي، والله، لو سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها إلى رسول الله (ص)، وإنني لأرجو أن ينزل الله تعالى على نبيه حتى يعلموا أنا كاذب أم غيري، أو يرى رسول الله (ص) تصدق قولي. وجعل زيد يقول: اللهم أنزل على نبيك ما يصدق حديثي! فقال قائل: يا رسول الله، من عباد بن بشر فليأتك برأسه. فكره رسول الله (ص) هذه المقالة. ويقال قال: قل لمحمد بن مسلمة يأتك برأسه. فقال النبي (ص) وأعرض عنه: لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. وقام النفر من الأنصار الذين سمعوا قول النبي (ص) ورده على الغلام، فجاءوا إلى ابن أبي فأخبروه، وقال أوس بن خولي: يا أبا الحباب، إن كنت قلته فأخبر النبي يستغفر لك، ولا تجحده فينزل ما يكذبك. وإن كنت لم تقله فأنت رسول الله (ص) فاعتذر إليه واحلف لرسول الله (ص) ما قلته. فاحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئا. ثم إن ابن أبي أتى إلى رسول الله (ص) فقال: يا بن أبي، إن كانت سلفت منك مقالة فتب. فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد، ولا تكلمت به! وكان في قومه شريفا، فكان يظن أنه قد صدق، وكان يظن به سوء الظن. ثم مشى إلى رسول الله (ص) واحلف بالله ما قال. وأسرع رسول الله (ص) عند ذلك السير، ورحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها.

ولم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله (ص) قد طلع على راحلته القصواء، وكانوا في حر شديد، وكان لا يروح حتى يبرد، إلا أنه لما جاءه خبر ابن أبي رحل في تلك الساعة، فكان أول من لقيه، أسيد بن حضير، فقال: السلام عليك

(١) في ب: " يقولون ويؤنون " .

أيها النبي ورحمة الله! فقال رسول الله (ص): وعليك السلام! فقال: يا رسول الله، قد رحلت في ساعة فنكرة ما كنت ترحل فيها! فقال رسول الله (ص): أو لم يبلغكم ما قال صاحبكم؟ قال: أي صاحب يا رسول الله؟ قال: ابن أبي، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل! قال: فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، فهو الأذل وأنت الأعز، والعزة لله ولكل وللمؤمنين. ثم قال: يا رسول الله، ارفق به فوالله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز، ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي، قد أرب (١) بهم فيها لمعرفته بحاجتهم إليها ليتواجه، فجاء الله بك على هذا الحديث، فما يرى إلا قد سلبته ملكه.

قال: فيينا رسول الله (ص) يسير من يومه ذلك، وزيد بن أرقم يعارض النبي (ص) براحته، يريه وجهه في المسير، ورسول الله يستحث راحلته فهو مغذ في السير، إذ نزل عليه الوحي. قال زيد بن أرقم: فما هو إلا أن رأيت رسول الله (ص) تأخذه البرحاء ويعرق جبينه، وتشغل يدا راحلته حتى ما كاد ينقلها، عرفت أن رسول الله (ص) يوحى إليه، ورجوت أن يكون ينزل عليه تصديق خبري. قال زيد بن أرقم: فسرى عن رسول الله (ص)، فأخذ بأذني وأنا على راحلتي حتى ارتفعت من مقعدي ويرفعها إلى السماء، وهو يقول: وفت أذنك يا غلام، وصدق الله حديثك! ونزل في ابن أبي السورة من أولها إلى آخرها وحده: (إذا جاءك المنافقون...). (٢).

قال عمر: فأقبلت حتى جئت رسول الله (ص) وهو في فئ شجرة، عنده غليم أسيود يغمز ظهره، فقلت: يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك. فقال: تقدمت بي الناقة الليلة. فقلت: يا رسول الله، إيذن لي أن أضرب عنق ابن أبي

(١) أرب بهم: اشتد (القاموس المحيط ج ١، ص ٣٦).

(٢) سورة المنافقون.

في مقالته. فقال رسول الله (ص): أو كنت فاعلا؟ قال: نعم والذى بعثك بالحق! قال رسول الله (ص): إذا لأرعدت له آنف بيشرب كثيرة، لو أمرتهم بقتله قتلوه. قلت: يا رسول الله، فمر محمد بن مسلمة يقتله. قال: لا يتحدث الناس أن محمداً قتل أصحابه. ومر عبادة بن الصامت بعد الله بن أبي عشية راح النبي (ص) من المريسيع، وقد نزل على النبي (ص) سورة المنافقون فلم يسلم عليه، ثم مر أوس بن حولي فلم يسلم عليه، فقال ابن أبي: إن هذا الأمر قد تمالأتما (١) عليه. فرجعا إليه فأنباه وبكتاه بما صنع، وبما نزل من القرآن إكذاباً لحديثه، وجعل أوس بن حولي يقول: لا أكذب عنك أبا حتى أعلم أن قد تركت ما أنت (١٢) عليه وتبت إلى الله، إنا أقبلنا على زيد بن أرقم نلومه ونقول له: "كذبت على رجل من قومك" حتى نزل القرآن بتصديق حديث زيد وإكذاب حديثك. وجعل ابن أبي يقول: لا أعود أبداً! وبلغ ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي مقالة عمر بن الخطاب لرسول الله (ص): "مر محمد بن مسلمة يأتوك برأسه" فجاء إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، إن كنت ت يريد أن تقتل أبي فيما بلغك عنه فمرني، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا. والله، لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبر بوالد مني، وما أكل طعاماً منذ كذا وكذا من الدهر، ولا يشرب شراباً إلا بيدي، وإنني لأنحشى يا رسول الله أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس، فأقتله فأدخل النار، وعفوك أفضل، ومنك أعظم. قال رسول الله (ص): يا عبد الله، ما أردت قتله وما أمرت به، ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا. فقال عبد الله: يا رسول الله، إن أبي

(١) أي تساعدوا واجتمعا عليه. (النهاية، ج ٤، ص ١٠٥).

(٢) في الأصل: "ما أنزل عليه"، وما أثبناه هو قراءة ب.

كانت هذه البحرة (١) قد اتسقوا عليه ليتوجهوا عليهم، فجاء الله بك، فوضعه الله ورفعنا بك، ومعه قوم يطيفون به ويدكرون أمورا قد غلب الله عليها. قال: فلما انصرف من عند النبي (ص) وعرف أن رسول الله (ص) قد تركه ولم يأمره بقتله، قال:

ألا إنما الدنيا حوادث تنتظر * ومن أعجب الأحداث ما قاله عمر
يشير على من عنده الوحي هكذا * ولم يستشره والتي تحلق الشعر
ولو كان للخطاب ذنب كذنبه * فقلت له ما قال في والدي كشر
غداة يقول ابعث إليه محمدا * ليقتله بئس لعمرك ما أمر
فقلت رسول الله إن كنت فاعلا * كفيتك عبد الله لمحك بالبصر
تساعدني كف ونفس سخية * وقلب على البلوى أشد من الحجر
وفي ذاك ما فيه والأخرى غضاضة * وفي العين مني نحو صاحبها عور
فقال ألا لا يقتل المرء طائعا * أباه وقد كادت تطير بها مضر
قال رافع بن خديج:

لما رحنا من المريسيع قبل الروال كان الجهد بنا يومنا وليلتنا، ما أناخ منا
رجل إلا لحاجته أو لصلة يصليها. وإن رسول الله (ص) يستحب راحته،
ويختلف بالسوط في مراقتها (٢) حتى أصبحنا، ومددنا يومنا حتى انتصف النهار أو
كرب، ولقد راح الناس وهم يتحدثون بمقالة ابن أبي وما كان منه، فما هو إلا أن
أخذهم السهر والتعب بالمسير، فان نزلوا حتى ما يسمع لقول ابن أبي في أفواههم
- يعني ذكرا - وإنما أسرع رسول الله (ص) بالناس ليدعوا حديث ابن أبي، فلما

(١) البحرة: البلدة، يعني المدينة.

(٢) أي في مراق بطنها، وهي مارق منه في أسفله. (أساس البلاغة، ص ٣٦٢).

نزلوا وجدوا مس الأرض فوقعوا نيااما. ثم راح رسول الله (ص) بالناس مبردا، فنزل من الغد ماء يقال له بقعاء فوق النقيع، وسرح الناس ظهرهم، فأخذتهم ريح شديدة حتى أشفع الناس منها، وسألوا عنها رسول الله (ص) وخافوا أن يكون عيينة بن حصن خالف إلى المدينة، وقالوا: لم تهيج هذه الريح إلا من حدث! وإنما بالمدينة الذراري والصبيان. وكانت بين النبي (ص) وبين عيينة مدة، فكان ذلك حين انقضائها فدخلهم أشد الخوف، بلغ رسول الله (ص) خوفهم، فقال رسول الله (ص): ليس عليكم بأس منها، ما بالمدينة من نقب إلا عليه ملك يحرسه، وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها، ولكن مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة، فلذلك عصفت الريح. وكان موته للمنافقين غيظا شديدا، وهو زيد بن رفاعة بن التابوت، مات ذلك اليوم.

قال جابر بن عبد الله، قال: كانت الريح يومئذ أشد ما كانت قط. إلى أن زالت الشمس، ثم سكنت آخر النهار. قال جابر: فسألت حين تدمنت قبل أن أدخل بيتي: من مات؟ فقالوا: زيد بن رفاعة بن التابوت. وذكر أهل المدينة أنهم وجدوا مثل ذلك من شدة الريح حتى دفن عدو الله فسكنت الريح.

قال عبادة بن الصامت يومئذ لابن أبي: أبا حباب، مات خليلك! قال: أي أخلاقي؟ قال: من موته فتح للإسلام وأهله. قال: من؟ قال: زيد بن رفاعة ابن التابوت. قال: يا ويلاه، كان والله وكان! فجعل يذكر، فقلت: اعتصمت بالذنب الأبتر (١). قال: من أخبرك يا أبا الوليد بموته؟ قلت: رسول الله (ص) أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة. قال: فأسقط في يديه وانصرف كثيما حزينا. قالوا: وسكنت الريح آخر النهار فجمع الناس ظهورهم. ثم تقدم عبد الله بن عبد الله بن أبي الناس حتى وقف لأبيه على الطريق

(١) أبي المقطوع. (النهاية، ج ١، ص ٥٨).

- عند مضيق المدينة - فلما رأه أناخ به وقال: لا أفارقك حتى تزعم انك الذليل ومحمد العزيز. وفي رواية فقال: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله (ص) في ذلك، فلما جاء رسول الله (ص) استأذنه في ذلك فأذن له فأرسل حتى دخل المدينة (١).

انقسمت الصحابة في هذه الواقعة إلى قسمين، قسم مالت بهم العصبية القبلية عن الحق وآخرون عصّهم المبدأ والعقيدة عن الانجراف وراءها و كان حسان بن ثابت شاعر الأنصار ممن لبى نداء العصبية.

قال ابن شهاب الزهري:

وبلغ حسان بن ثابت الذي بين جهجه وبين الفتية الأنصار فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله (ص) في الاسلام: (امسى...)
الأبيات.

وفي رواية مصعب:

(بغضب من ذلك حسان فقال هذا الشعر). مالت العصبية القبلية بحسان لما بلغه قول ابن أبي: ما صرنا وجلاليب قريش إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك. فأنشد يقول:

امسى الجلايب قد عزوا وقد كثروا * وابن الفريعة امسى بيضة البلد
قد ثكلت امه من كنت صاحبه * أو كان منتسبا في برثن الأسد
ما لقتيلي الذي اغدو فاخذه * من دية فيه يعطها ولا قود
ما البحر حين تهب الريح شامية * فيعطيه ويرمي المعبر بالربد

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٦٥

يوما بأغلب مني حين تبصرني * ملغيظ افري كفري العارض البرد (١)
ثم حدا به المبدأ ان يتلافي ما قال فقال بعد هذا:

اما قريش فاني لن أساملهم * حتى ينبيوا من الغيات للرشد
ويترکوا اللات والعزى بمعزلة * ويصعدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا ان ما قال الرسول لهم * حق ويوفوا بعهد الله والوکد
ان قول حسان: " أمسى الحالايب قد عزوا وقد کثروا..." الأبيات إلى
قوله: " كفري العارض البرد " إن هي إلا صدى لقول ابن أبي: (ما اعدنا
و الحالايب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك".

فان حسان يقول: امسى هؤلاء الحالايب قد عزوا وقد کثروا وابن
الفریعة - يقصد بها نفسه - امسى وحیدا وهو يلمح بهذا إلى أن الأنصار أصبحوا
أقلية ثم يقول: إن صاحبی ثکلته أمه قد أصبح ذليلا کمن هو عالق في برثن الأسد
ويقول: بلغت من العزة إلى حد ان قتيلي لا يعطى دية فيه وقاتلته لا يقاد به، ثم
تحمس بعد هذا وقال مهددا: ليس البحر حين تهب الريح عليه ويموج ويرمي
بالزبد جوانبه بأغلب مني حين افري اقطع من الغيظ كفري السحاب الذي به
البرد، قال كل هذا في شأن اخوانه المهاجرين ثم رجع إلى رشده وكان بلیغا في
تخلصه مما تورط فيه حين قال: اما قريش فلن أساملهم حتى يترکوا اللات

(١) (الحالايب): كان المشركون بمكة يلقبون أصحاب النبي (ص) بالحالايب و (الفریعة):
اسم أم حسان. و (منتسبا): عالقا في برثن الأسد. و (القود): قتل النفس بالنفس،
(يغطى): يموج ويتحرك. و (العبر): جانب النهر والبحر. و (ملغيظ) مخفف من الغيظ.
و (فري): اقطع. و (العارض): البرد السحاب الذي فيه البرد. و (الوکد): الموثيق
المؤکدة.

والعزى ويسجدوا لله ويشهدوا بان ما قال لهم الرسول (ص) حق. ويح حسان ألم يكن من سماهم بالجلاليب من فقراء المهاجرين بالمؤمنين؟ فما باله يستكثر عليهم ويتهدد بهم؟

بلغ فقراء المهاجرين أبيات حسان هذه فحزت في نفوسهم قال المقرizi (١): (فجاء صفوان بن المعطل إلى جعيل بن سراقة فقال: انطلق بنا نضرب حسان، فوالله ما أراد غيرك وغيري، ولنحن أقرب إلى رسول الله (ص) منهم. فأبى جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله (ص) وخرج صفوان مصلتا السيف حتى ضرب حسان بن ثابت في نادي قومه).

وقال ابن هشام (٢): فاعتربه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف ثم قال: تلق ذباب السييف عنِي فإني * غلام إذا هوجيت لست بشاعر ثم إن ثابت بن قيس بن شماس وثب على صفوان بن المعطل - حين ضرب حسان - فجمع يديه إلى عنقه بميل، ثم انطلق به إلى دار بني الحرث بن الخزرج فلقه عبد الله بن رواحة، فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسييف؟ والله ما أراه إلا قتله، قال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله (ص) بشئ مما صنعت؟ قال: لا والله، قال: لقد اجترأت، اطلق الرجل، فأطلقه ثم اتوا رسول الله (ص) فذكروا ذلك له فدعا حسان وصفوان ابن المعطل، فقال حسان: يا رسول الله شهر على السييف في نادي قومي ثم ضربني لأن أموت ولا أراني إلا ميتا من جراحاتي! فقال (ص) لصفوان: لم ضربته وحملت السلاح عليه؟ وتغفظ. فقال: يا رسول الله آذاني وهجاني وسفه علي وحسدني على

(١) إمتاع الأسماء ص ٢١١.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٣٥٢ ط. مصر، تاريخ الطبرى ج ٢ / ٦١٨.

الاسلام، فقال لحسان: "أسفهت على قوم أسلموا"؟
ثم قال: (احبسو صفوان فان مات حسان فاقتلوه به) فخرجو بصفوان،
وبلغ ذلك سعد بن عبادة، فأقبل على قومه من الخزرج، فقال: عمدتم إلى رجل
من قوم رسول الله تؤذونه وتهجونه بالشر وتشتمونه، فغضب لما قيل له، ثم
اسرتموه أقبح الأسر ورسول الله (ص) بين أظهركم.

قالوا: فإن رسول الله أمرنا بحبسه وقال: إن مات صاحبكم فاقتلوه.
قال سعد: والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله (ص) العفو، ولكن رسول
الله (ص) ليحب أن يترك صفوان، والله لا أبرح حتى يطلق.

قال حسان: ما كان لي من حق فهو لك وأبى قومه فغضب قيس بن سعد
بن عبادة، وقال: عجبا لكم ما رأيت كاليوم أن حسان قد ترك حقه وتابون
أنتم؟ ما ظنت أحدا من الخزرج يرد أبا ثابت في أمر يهواه! فاستحيا القوم
واطلقوا صفوان من الوثاق فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة، ثم خرج به إلى
المسجد ليصلّي فيه، فرأاه رسول الله (ص)، فقال: صفوان؟ قالوا: نعم يا رسول
الله، قال: من كساه؟ قالوا: سعد بن عبادة، قال: كساه الله من ثياب الجنة ثم كلم
بعد حسان حتى أقبل في قومه إلى رسول الله (ص) وقال: يا رسول الله، كل حق
لي قبل صفوان بن معطل فهو لك، قال: قد أحسنت وقبلت ذلك وأعطي حسان
أرضا براحا (١) وهي بيرحا وما حوله وسirين أخت مارية وأعطيه سعد بن
عبادة حائطا كان يجد ما لا كثيرا (٢) عوضا بما عفا عن حقه، ويروى أن حسان -
لما حبس صفوان - أرسل إليه رسول الله (ص) فقال: يا حسان أحسن فيما أصابك

(١) البراح: الأرض الظاهرة الواسعة لأنباتاتها بها.

(٢) جد من نخلة كذا وكذا وسقا أي أخذ من ثمرتها واقطع وأخرجت له ذلك على أن سيرين
لم تكن عند ذاك بالمدينة فإنها جاءت مع ماريه.

فقال: هو لك يا رسول الله فأعطاه بيرحا وسيرين عوضا (١).
* * *

كانت تلكم روایات المسابقة والتميم والإفك وظروفها في مصادر الدراسات الاسلامية وفي ما يأتي نستعين الله عز اسمه ونقوم بدراسة بذاته تعالى بدءا بدراسة تراجم المذكورين في الاخبار وأسنادها:

(١) ان سيرين قد أهدتها الرسول (ص) إلى حسان بعد هذه الواقعة بأربع سنوات أو أكثر وبعد وصولها المدينة في السنة الثامنة من الهجرة وأخطا الرواية في ذكر إهدائهما هنا.

تراجم المذكورين في الأخبار السابقة

أ - أبو مويهبة

ويقال: أبو موهبة وأبو موهوبه: مولى رسول الله (ص) كان من مولدي مزينة اشتراه رسول الله (ص) فاعتقه، يقال إنه شهد المرسيع ولا يوقف له على اسم (١).

ب - أسامة بن زيد

أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وأمه أم أيمن حاضنة النبي (ص)، وكان يسمى حب رسول الله استعمله رسول الله (ص) في مرض وفاته في السنة الثانية عشرة من الهجرة على جيش وأمره أن يسير إلى الشام وأوّل عب فيه المهاجرين الأولين ولعن المخالف عن جيشه وكان عمره يومئذ ثمانى عشرة سنة، فلما اشتد برسول الله (ص) المرض لم يسيرا.

فرض له عمر خمسة آلاف، يماعي علينا ولا شهد معه شيئاً من حروبه.

وقال له: لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله (ص) حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله.

توفي بالجرف وحمل إلى المدينة سنة ثمان أو تسع وخمسين في أيام

(١) أسد الغابة ج ٥ / ٣١٠ والكتى من الاستيعاب ص ٤ / ١٨٧ والإصابة ج ٤ / ١٨٨ الترجمة المرقمة / ١١٠٥.

معاوية (١).

ج - أَسِيدُ بْنُ حَضِيرِ الْأَنْصَارِي

أَسِيدُ بْنُ حَضِيرِ الْأَنْصَارِي الْأَوْسِي كَانَ فَارِسُ الْأَوْسِ فِي حِرْبَهُمْ مَعَ الْخَزْرَجَ - شَهَدَ الْعَقْبَةَ الثَّانِيَةَ وَمَشَاهَدَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) كُلُّهَا وَثَبَتَ فِي أَحَدٍ وَلَهُ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ بِالسَّقِيفَةِ أَثْرٌ عَظِيمٌ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَقْدِمُ أَحَدًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَيْهِ - تَوَفَّى سَنَةُ ٢٠ وَأَوْصَى إِلَى عُمُرٍ فَحَمِلَ عُمُرَ نَعْشَهُ بِنَفْسِهِ (٢).

د - أَمُّ رُومَانَ:

أَمُّ رُومَانَ بُنْتُ عَامِرَ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَزْدِيِّ حَلِيفَ أَبِي بَكْرٍ وَلَدَتْ لَهُ الطَّفِيلَ وَتَوَفَّيَتْ عَنْهَا، فَخَلَفَ عَلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَوَلَدَتْ لَهُ أَمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنَ. اخْتَلَفُوا فِي سَنَةِ وَفَاتِهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ أَوْ سَتِّ مِنَ الْهَجْرَةِ.

قَالَ أَبْنُ الْأَثِيرِ فِي تَرْجِمَتِهِ بِأَسْدِ الْغَابَةِ: (قَلْتَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا تَوَفَّتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ فَقَدْ وَهِمْ فَإِنَّهُ قَدْ صَحَّ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْإِلْفَكِ حَيَةً حِينَئِذٍ وَكَانَ الْإِلْفَكُ فِي سَنَةِ سَتِّ فِي شَعْبَانَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) (٣).

(١) تَرْجِمَتُهُ بِأَسْدِ الْغَابَةِ وَطَبَقَاتُ أَبْنِ سَعْدٍ وَتَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ ج ٢ / ١١٣ ط. بَيْرُوت. وَتَارِيخُ أَبْنِ الْأَثِيرِ ذَكَرَ سَرِيَّةَ أَسَامَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَبَأً (ج ١) ذَكَرَ بَعْثَ أَسَامَةَ هَذَا الْغَلَامَ عَلَى الْمَهَاجِرِيْنَ الْأَوَّلِيْنَ.

(٢) الْأَسْتِعَابُ ج ١ / ٣١ - ٣٣ وَأَسْدُ الْغَابَةِ ج ١ / ٩١ - ٩٢ وَالْإِصَابَةُ ١ / ٦٤.

(٣) أَسْدُ الْغَابَةِ ج ٥ / ٥٨٣.

٥ - بريدة:

بريدة بن الحصيب الأسلمي أسلم حين مر به النبي (ص) مهاجراً إلى المدينة، قدم المدينة وشهد أحداً فما بعدها وتحول منها بعد رسول الله إلى البصرة ثم خرج غازياً إلى خراسان وتوفي بمردو.

٦ - بريدة:

بريرة مولاة أم المؤمنين عائشة كانت مولاة أنس قبلها فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فأعتقتها، وكان اسم زوجها مغيثاً وكان عبداً، فخیرها رسول الله (ص) فاختارت فرافقه.

وفي ترجمة مغيث من أسد الغابة عن ابن عباس أنه قال:

إن زوج بريدة كان عبداً يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي (ص): لا تعجبون من حب مغيث بريدة ومن بغض بريدة مغيثاً؟ فقال النبي (ص): لو راجعتيه! قالت: يا رسول الله: تأمرني؟ قال: إنما أشفع، قالت: لا حاجة لي فيه (١).

٧ - جعبل بن سرقة الضمري:

وقيل الغفاري أخو عوف وقيل جعال وهو من أهل الصفة من فقراء المسلمين، أسلم قديماً وشهد أحداً أصيبت عينه يوم قريظة.

وفي رواية أن النبي (ص) استخلفه على المدينة في شعبان سنّه ستة عندما غزا بني

(١) ترجمة بريدة من أسد الغابة ج ٥ / ٤٠٩ و مغيث من أسد الغابة ج ٤ / ٤٠٥.

المصطلق (١).

ح - جهجاه بن مسعود الغفاري:
كان أجيراً للعمر - مات بعد عثمان بقليل (٢).

ط - حسان بن ثابت الخزرجي:
وأمه الفريعة بنت خالد الخزرجي يكنى أباً الوليد وأباً عبد الرحمن وأباً
الحسام لمناضلته عن رسول الله (ص) ولتضطیعه اعراض المشرکین (٣).
في صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله (ص) يقول
لحسان بن ثابت: اهجمهم أو هاجهم وجريل معك (٤).

وقد كان رسول الله (ص) ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر
عن رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يقول: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما
نافح عن رسول الله (ص).

وروي أن الذين كانوا يهجون رسول الله (ص) من مشركي قريش: أبو
سفیان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبیر وعمرو بن العاص
وضرار بن الخطاب. وقال قائل لعلي بن أبي طالب: اهج القوم الذين يهجوننا،
فقال: إن اذن رسول الله (ص) فعلت، فقال رسول الله (ص): إن علياً ليس عنده

(١) الاستیعاب ص ٣٢٤ أسد الغابة ج ١ / ٢٩٠ و ٢٨٤.

(٢) الاستیعاب ص ٣٥٧ أسد الغابة ج ١ / ٣٠٩.

(٣) بترجمة حسان من أسد الغابة.

(٤) صحيح مسلم ص ١٩٣٣، ١٩٣٣، باب مناقب حسان بن ثابت.

ما يراد من ذلك، ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ص) بأسيافهم ان ينصروه بأسيافهم؟ فقال حسان: انا لها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء، قال رسول الله (ص): كيف تهجوهم وانا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟ فقال: يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعراة من العجين (١).

فقال له الرسول (ص): أنت له، اذهب إلى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجمهم وجبriel معك فقال يرد على أبي سفيان: إلا أبلغ أبا سفيان عنِي * مغلولة فقد برح الخفاء هجوت محمدا فأجابت عنه * وعنِد الله في ذاك الجزاء أتهجوه ولست له بند * فشر كما لخير كما الفداء فن يهجو رسول الله منكم * ويطريه ويمدحه سواء لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء لسانِي صارم لا عيب فيه * وبحري لا تقدره الدلاء فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء (٢)

وفي الأغاني: جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي (ص) فقال: معي من يدعون إلى دينك وأنا له حار، فأرسل معه رجلا من الأنصار، فغدر بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاري، فقدم الحارث على رسول الله (ص) و كان عليه الصلاة والسلام لا يؤنب أحدا في وجهه، فقال: "ادعوا لي حسان، فدعني له، فلما رأى الحارث أنسده:

(١) ترجمة حسان من أسد الغابة.

(٢) العقد الفريد ج ٥ / ٢٩٤ - ٢٩٥ وفي الاستيعاب بترجمة حسان أكثر تفصيلا وأوفى.

يا حار من يغدر بذمة حاره * منكم فإن محمدا لم يغدر
إن تغدوا فالغدر منكم شيء * والغدر ينبع في أصول السخبر
فقال الحارت: أكفهه عنني يا محمد، وأؤدي إليك دية الخفاره، فأدى إلى
النبي (ص) سبعين عشرا و كذلك دية الخفاره، وقال: يا محمد، أنا عائد بك من
شهره، فلو مزج البحر بشعره مزجه (١).

وفي ترجمة مسافع بن عياض القرىشي التيمي ابن خال أبي بكر: كان
مسافع بن عياض شاعرا فتعرض لهجاء حسان بن ثابت ففيه يقول حسان:
يا آل تيم الا تنهون جاهلكم * قبل القذاف بضم كالجلاميد
منهنوه فاني غير تاركم * ان عاد ما اهتز ماء في ثرى عود
لو كنت من هاشم أو منبني أسد * أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد
أو منبني نوفل أو ولد مطلب * لله درك لم تهجم بتهديد
أو منبني زهرة الأبطال قد عرفوا * أو منبني جمع الحفر الجلاعيد
أو في الذؤابة من تيم إذا انتسبوا * أو منبني الحارت البيض الأماجيد
لولا الرسول واني لست عاصيه * حتى يغبني في الرمس ملحودي
وصاحب النار إني سوف احفظه * وطلحة بن عبيد الله ذو الجود (٢)
وفي ترجمة حسان بن ثابت من أسد الغابة: وانتدب لهجو المشركين ثلاثة
من الأنصار حسان و كعب بن مالك و عبد الله ابن رواحة فكان حسان و كعب

(١) الأغاني ج ٤ / ١١ ط. ساسي وترجمة الحارت في أسد الغابة ج ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) الاستيعاب ص ١٢٥٧ والإصابة رقم الترجمة ٧٩٢٧ أسد الغابة ج ٤ / ٢٥٢ - ٢٥٣،

وترجمة طلحة من تهذيب ابن عساكر ج ٧ / ٨٣ والكامل للمبرد ج ١ / ١٦٩ - ١٧٠.

يعارضانهم مثل قولهم في الواقع والأيام والمأثر ويدكرون مثالبهم، وكان عبد الله ابن رواحة يعيرونهم بالكفر وبعبادة ما لا يسمع ولا ينفع فكان قوله أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكتب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقيهوا كان قول عبد الله أشد القول عليهم. ونهى عمر بن الخطاب في انشاد شيء من مناقصة الأنصار ومشركي قريش وقال: في ذلك شتم الحي والميت وتتجدد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام (١).

وروي أنهم قالوا: فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي (ص) في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام (٢). وقال أيضاً: كان حسان من فحول الشعراء في الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره. وقيل لحسان: لان شعرك وهرم يا أبا الحسام، فقال للسائل: يا بن أخي إن الإسلام يمح حزناً الكذب، يعني إن الإجاده في الشعر هو الافراط في الذي يقوله وهو كذب يمنع الإسلام منه فلا يجيء الشعر جيداً (٣). وقال أيضاً: عن هشام، عن أبيه أن رسول الله (ص) جلد الذين قالوا لعائشة ما قالوا ثمانين حسان بن ثابت ومسطح بن ثابت وحمنة بنت جحش، وكان حسان ممن خاض في الإفك فجلد فيه في قول بعضهم وأنكر قوم ذلك.

وقال أيضاً: وقالوا: إن عائشة كانت في الطواف ومعها أم حكيم بن خالد ابن العاص وأم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة فذكرتا حسان بن ثابت وسبتاها فقالت عائشة: أني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي (ص) بلسانه، أليس

(١) أسد الغابة ترجمة حسان بن ثابت.

(٢) أسد الغابة ج ٢ / ٥.

(٣) أسد الغابة ج ٢ / ٥ - ٦.

هو القائل:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء؟
وبرأته من أن يكون افترى عليها، فقالت: ألم يقل فيك؟ فقالت: لم يقل شيئاً ولكنني الذي يقول:

حسان رزان ما تزن بريمة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فإن كان ما قد قيل عنى قلته فلا رفت سوطى إلى أنا ملي
وكان حسان من أجبن الناس حتى أن النبي (ص) جعله مع النساء في
الآطام يوم الخندق. إذ كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن
ثابت قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان حيث خندق
النبي (ص) قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن قالت له
صفية: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى ولا آمنه أن يدل على عورتنا من
ورائنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله (ص) وأصحابه فأنزل إليه فاقته قال:
يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا.
قالت صفية: فلما قال ذلك أخذت عموداً ونزلت من الحصن إليه فضربته
بالعمود حتى قتله ثم رجعت إلى الحصن قلت: يا حسان أنزل فاسلبه فقال:
مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب.
ولم يشهد مع النبي (ص) شيئاً من مشاهدته لجنبه، ووهد له
النبي (ص) جاريته سيرين أخت مارية فأولدها عبد الرحمن بن حسان فهو
وإبراهيم بن رسول الله (ص) أبنا حالة (١).

(١) أسد الغابة ج ٢ / ٦.

ي - حمنة بنت جحش:

أم حبيبة حمنة بنت جحش بن رياض الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب عممة النبي (ص) وأخت أم المؤمنين زينب بنت جحش، قتل زوجها مصعب بن عمير في غزوة أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمدًا وعمران ابني طلحة، وقال بعضهم: أنها جلدت مع من جلد فيه - في قصة الإفك - وقيل لم يجلد أحد (١).

ك - ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي:
وكان ثابت خطيب الأنصار وخطيب النبي (ص) كما كان حسان شاعر، وقد شهد أحداً وما بعدها وقتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر (٢).

ل - زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي:
كان يتيمًا في حجر عبد الله بن رواحه أول مشاهده غزوة المريسيع. نزل الكوفة وابتني داراً في كندة وتوفي سنة ثمان وستين (٣).

م - سعد بن عبادة بن دليم:
كان رئيس الخزرج أراد الأنصار أن يبايعوه في سقيفةبني ساعدة يوم وفاة رسول الله (ص) فغلبهم المهاجرون وبايعوا أبي بكر، فبقي في المدينة إلى عصر عمر

(١) ترجمتها في أسد الغابة ج ٥ / ٤٢٨ و ج ٢ / ٥١.

(٢) الاستيعاب ص ٢٥١ أسد الغابة ج ١ / ٢٢٩.

(٣) الاستيعاب ص ٨١٦ أسد الغابة ج ٢ / ٢١٩.

فأشار عليه بالخروج من المدينة فذهب إلى حوارين بالشام، فأرسل إليه خالد ابن الوليد فطلب منه أن يباع فأبى فرمي بسهم فقتله، ثم انشدوا على لسان الجن انهم انشدوا:

وقتلتنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورمي بسهمين فلم تخط فؤاده (١)

ن - سعد بن معاذ بن النعمان الخزرجي الأنصاري:

من بني عبد الأشهل يكنى أبا عمر، رمي يوم الخندق بسهم فعاش شهرا حتى نزلت بنو قريظة على حكمه فحكم بقتل الرجال وسبى النساء والذرية، ثم انتفض جرمه بعد ذلك فمات في سنة خمس من الهجرة (٢).

أنت - سنان بن تيم الجهنمي:

ويقال سنان بن وبره الجهنمي حليف لبني عوف بن الخزرج (٣).

ع - سيرين أخت مارية القبطية:

أهداهما المقوقس صاحب الإسكندرية ومعهما ما يبور بلغوا المدينة في السنة الثامنة هجرية فأهدي الرسول (ص) سيرين إلى حسان بن ثابت فولدت له ابنه عبد الرحمن (٤).

(١) راجع: عبد الله بن سبأ ج ٥١ بحث موقف سعد بن عبادة بعد البيعة.

(٢) الاستيعاب ص ٢٣٣٣ .

(٣) الاستيعاب ص ٢٤٤٤ ، أسد الغابة ج ٣ / ٣٥٢ و ٣٥٩ .

(٤) راجع ترجمتهم في أسد الغابة.

ف - صفوان بن المعطل بن ربيعة السلمي ثم الذكوانى: يكنى أبا عمر أسلم قبل غزوة المرىسيع وشهد المرىسيع وما بعدها، واحتلقوه في مقتله ومدفنه (١).

في جمهرة أنساب العرب: صفوان بن المعطل بن رخصة بن المؤمل من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصبة بن قيس عيلان العدناني. وفي نهاية الأدب (٢): بنو ذكوان بطن من سليم من العدنانية. وفي سنن أبي داود ومسند أحمد وطبقات ابن سعد وتاريخ خليفة بن خياط واللّفظ للأول بسنده عن أبي سعيد الخدري قال:

جاءت امرأة صفوان بن المعطل إلى النبي (ص) ونحو عدده فقالت: يا رسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت ولا يصلني صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسألته عما قالت، فقال: يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صامت فإنها تقرأ بسورتين فقد نهيتها، قال: فقال: "لو كانت سورة واحدة لكتفت الناس" وأما قولها يفطرني فإنها تصوم، وانا رجل شاب فلا أصبر، قال: فقال رسول الله (ص): يومئذ لا تصوم من امرأة إلا بإذن زوجها" ، قال: وأما قولها: إني لا أصلني حتى تطلع الشمس فانا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: "إذا استيقظت فصل" ورجاله ثقات (٣)، وبترجمته في الإصابة: (وإسناده

(١) ترجمته في الاستيعاب ص ٣١٨ الرقم ١٣٨٣، وأسد الغابة ج ٣ / ٢٦، وأسد الغابة ج ٤٠٨٩، والمستدرك ج ٣ / ٥١٨.

(٢) نهاية الأدب ص ٢٣٩.

(٣) سنن أبي داود، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها ص ٣٣٠٨، وطبقات ابن سعد ج ٤ / ٢٤٩، وتاريخ خليفة ص ٧٩، والتاريخ الكبير ج ٣ / ٢٥٤، والجرح والتعديل ج ٣ / ٤٣٩، والطبراني الكبير ج ٤ / ٢٦٥، وتاريخ ابن عساكر ج ٦ / ٢٤، وتهذيب الكمال ص ٣٩٦، وتاريخ الاسلام ج ٢ / ٢٢٢، وتهذيب التهذيب ج ٢ / ٢٠٦ - ٢٠٧، وخلاصة تذهيب الكمال ص ١١٢، وتهذيب ابن عساكر ج ٦ / ٤٤١، ومسند أحمد ج ٣ / ٨٠.

صحيح).

ص - عباد بن بشر بن وقش الأنباري الأشهلي: أسلم بالمدينة قبل هجرة النبي (ص) إليها على يد مصعب بن عمير، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله وكان عباد من قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذى النبي (ص).

قالت عائشة: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن بعد النبي (ص) من المسلمين أحد أفضل منهم: سعد بن معاذ وأسید بن حضير وعباد بن بشر قتل يوم اليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة (١).

ق - عبادة بن الصامت:

عبادة بن الصامت الخزرجي عقيبي بدرىي جمع القرآن على عهد النبي (ص) وكان يعلم أهل الصفة القرآن، أرسله عمر ليعلم الناس القرآن بالشام ويفقههم في الدين فأقام بحمص وأنكر على معاوية أشياء، ورحل إلى المدينة واعاده عمر وتولى قضاء فلسطين، توفي سنة أربع وثلاثين بالرملة (٢).

(١) أسد الغابة ج ٣ / ١٠٠ الاستيعاب ص ١٨٢٧.

(٢) ترجمته في أسد الغابة.

ر - عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي:
وأمه كبيرة بنت واقد بن عمرو وكان نقيب بني الحارت، وشهد المشاهد
كلها مع رسول الله (ص) واستشهد في ليلة العقبة في غزوة مؤتة، فقد أمر رسول
الله (ص) يومذاك على حيشه زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب فان
أصيب جعفر فبعد الله بن رواحة فاستشهدوا جميعا، وكان ذلك في جمادى سنة
ثمان من الهجرة.

وكان من الشعراء المحسنين الذين كانوا يرددون الأذى عن رسول الله (ص).
روى ابن حجر قال: دخل النبي (ص) مكة في عمرة القضاء وابن رواحة
بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبileه اليوم نضر بكم على تأويله
ضربا يزيل الهم عن مقيمه ويدهل الخليل عن خليله
فقال عمر: يا بن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله (ص) تقول هذا
الشعر؟ فقال (ص): "خل عنه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من
وقع النبل".

روى ابن عبد البر أنه مشى ليلة إلى أمة له فقال لها، وفطنت له امرأته
فلامته فجحدها وكانت قد رأت جماعة لها فقالت: إن كنت صادقا فاقرأ القرآن
فالجنب لا يقرأ القرآن فقال:

شهدت بأن وعد الله حق وإن النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء حق وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة غلاظ ملائكة الاله المؤمنينا

فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيني وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه.
ش - عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري:
من بني عوف بن الخزرج، وسلول امرأة من خزاعة ويكنى أبا الحباب
بابنه الحباب وكان رأس المنافقين ومن أشراف الخزرج، وكانت الخزرج قد
اجتمعت على أن يتوجهو ويسندوا إليه أمرهم قبل مبعث النبي (ص) فلما جاء الله
بالياس نفسم على رسول الله (ص) النبوة وأخذته العزة. مات بعد غزوة
المريسيع ودفن بالمدينة (١).
* * *

لقد فصلنا القول في بعض الترافق الآنفة لحاجتنا إليها لدراسة أخبار الإفك
في ما يأتي:

(١) الاستيعاب بترجمة ابنه عبد الله بن أبي ١ / ٣٦٦.

دراسة روایات المسابقة والتیم والإلک

جاء في ما روي عن أم المؤمنين عائشة (رض) في مسند أحمد: أقبلنا مع رسول الله (ص) في بعض أسفاره حتى إذا كنا بتربان بلد بينه وبين المدينة بريد وأميال وهو بلد لا ماء فيه... الحديث.

ما جاء في هذه الرواية عن مكان تربان ينافق ما ذكره الحموي عن تربان في معجم البلدان حيث قال:

"تربان واد بين ذات الجيش ومملل والشيانة على المحجة نفسها فيه مياه كثيرة مرتبة نزلها رسول الله (ص) في غزوة بدر".

لست أدرى كيف لم يتبه رواة أحاديث المسابقة والتیم والإلک والمحدثون الذين أخرجوا تلك الروایات في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها إلى تناقض ما فعله الرسول (ص) في عودته من غزوة المريسيع مع ما رواه؟ فان رسول الله عندما بلغه خبر مقالة ابن أبي على ماء المريسيع رحل في ساعة لم يكن ير تحل فيها، ولم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله (ص) طلع على راحلته يسوقها و كانوا في حر شديد، وكان قبل ذلك لا يروح حتى يبرد وانه سار قبل الزوال إلى آخر الليل وحتى اتصف النهار لليوم الثاني، وكان يسوق راحلته بالسوط حتى سقط على الأرض فأخذ يغمز ظهره غليم اسود ولم يكن يفعل ذلك قبل هذه الغزوة ولم يفعلها بعده وإنما أسرع رسول الله (ص) بالناس ليدعوا حديث ابن أبي، فلما نزلوا ووجدوا مس الأرض وقعوا نياما، ثم سار رسول الله (ص) في برد المساء كذلك حتى بلغوا مضيقا قريبا من المدينة وكان قد تقدم عبد الله بن عبد الله

ابن أبي ووقف حتى بلغ المكان والده عبد الله ابن أبي فأناخ براحته وقال: لن تدخلها... الحديث.

لست أدرى مع كيفية سير رسول الله (ص) في رجوعه من ماء المرسيع في أي منزل منها قال لجيشه: تقدموا فتقدموا، فقال لام المؤمنين عائشة: تعالى حتى أسبقك... الحديث؟

وفي أي منزل منها إلماه فيه وليسوا على ماء انقطع عقد أم المؤمنين فأقام جيشه هناك في سبيل التماس عقدها حتى أصبحوا فجاء أبو بكر ينخسها ولا تستطيع حراً كا لأن رأس رسول الله (ص) كان على فخذها فأنزل الله آية التيمم؟

وفي أي منزل منها ذهبت لقضاء حاجتها فإذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع فالتمسته وأقبل الرهط الذين يرحلون بعيدها واحتملوا هودجها ولم يشعروا بخفة الهدوج ورحلوه على بعيدها؟

في ضوء الروايات السابقة نرى أن هناك أربع قصص ينبغي دراسة كل منها على حدة وهي:

أ - المسابقة.

ب - المنافرة بين المهاجرين والأنصار حتى ضرب جهجاه حسان بن ثابت.

ج - شأن نزول آية التيمم.

د - شأن نزول آيات الإفك.

ونستعين الله ونقول:

أولاً - المسابقة:

جاء في رواية هشام بن عمروة عن أم المؤمنين في مسنده أَحْمَدَ أَنَّهَا قَالَ: خرجمت مع النبي (ص) في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا فتقدموا ثم قال: تعالى حتى أسبقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجمت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا، ثم قال: تعالى حتى أسبقك فسابقته فسبقني فجعل يضحك ويقول هذه بتلك.

وجاء في روايتها لعبد الله بن الزبير في مغازي الواقدي أنه قال: قلت لعائشة: حدثينا يا أمه حديثك في غزوة المريسيع، قالت: يا بن أختي إن رسول الله (ص) كان إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه فأيتها خرج سهمها خرج بها، وكان يحب ألا أفارقها في سفر ولا حضر فلما أراد غزوة المريسيع أقرع بيننا فخرج سهمي وسهم أم سلمة، فخرجننا معه فغنمه الله أموالهم وأنفسهم، ثم انصرفنا راجعين فنزل رسول الله منزل ليس معه ماء ولم ينزل على ماء، وقد سقط عقد لي من عنقي فأخبرت رسول الله (ص) فأقام بالناس حتى أصبحوا... فجاء أبو بكر فعاتبني عتاباً شديداً وجعل يطعن بيده على خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ص) رأسه على فخذدي وهو نائم.... ثم سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا دمثاً طيباً ذا أراك قال: يا عائشة هل لك في السباق؟ قلت: نعم فتحزمت بشبابي وفعل ذلك رسول الله (ص) ثم استبقنا فسبقني فقال: هذه بتلك السبقة التي كنت سبقيتي، وكان جاء إلى منزل أبي ومعي شيء فقال: هل ملئه! فأبكيت فسعيت وسعي على أثري فسبقته. وكانت هذه الغزوة بعد أن ضرب الحجاب.

قالت: وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة هن إنما يأكلن العلق من الطعام لم يهيجن باللحم فيثقلن، وكان اللذان يرجلان بعيري رجلين... إلى آخر حديث الإفك.

والسؤال هنا أن المسابقة الأولى هل كانت في بعض أسفاره كما جاء في روایة هشام بن عروة عنها أم في بيت أبيها كما جاء في روایة عباد بن عبد الله بن الزبير؟

وإذا كانت في بيت أبيها وكان يدها شئ اراده النبي (ص) كيف سبقت النبي (ص) ولم يستطع النبي (ص) تناول الشئ من يدها؟ وهل كان بيت أبيها فللاة لتسبق النبي (ص) ولا يستطيع النبي (ص) إدراكه؟ أم كان البيت محدوداً يصل إليها النبي (ص) إلى أي جهة منه اتجهت؟ وإذا كانت الأولى والثانية في فللاة وكانا يسيران ضمن جيش كيف يصح أن يقال: إن الرسول (ص) أمر جيشه بأن يتقدموا ليسابق زوجته؟

لست أدرى أي قائد جيش سليم العقل يقوم بما نسبوه إلى رسول الله بأن يأمر جيشه أن يتقدموا ليسابق زوجته؟ ثم كم ينبغي أن يتقدم الجيش ويتبعه عليهم الرسول (ص) وزوجته كي لا يروا مسابقته مع زوجته؟ وهل يتيسر ذلك؟ أضف إليه حال الرسول (ص) وجيشه في رجوعهم من ماء المريسيع، وهل يصدق ذو مسكة، وقوع المسابقة مع تلك الحالة؟

وهل كانت أم سلمة معهما كما جاء في روایة عباد عنها؟ أم لم تكن معهما كما جاء في روایة هشام بن عروة وغيره عنها؟ وإذا كانت معهما أين كانت في زمن المسابقة، بين الجيش أم معهما؟

وهل كانت في المسابقة الثانية في غزوة بني المصطلق كما جاء في روایة عباد وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة إنما يأكلن العلق من الطعام لم يهيجن باللحم فيثقلن؟

أم كانت كما جاء في رواية هشام " حملت اللحم وبدنت "؟ ثانيا - المنافرة بين المهاجرين والأنصار حتى ضرب جهجاه حسان بن ثابت :

ان حقيقة الخبر أن ابن أبي لما قال مقالته تبعه حسان بانشاد شعره في الهجاء فارتحل الرسول (ص) وأسرع السير ونزلت سورة " المنافقون "، وذل ابن أبي وضعف موقف حسان وتشجع جهجاه فضربه بالسيف في المدينة فمنحه الرسول وسعد بن عبادة وأرضوه.

ويدل على ذلك قول حسان في هجاء فقراء المهاجرين: " ان الجلابيب قد عزوا وقد كثروا..." واستنهاض صفوان لجميل، وقوله لحسان: " فإني غلام إذا ما هو جيت..." ولم يقل إذا ما قذفت، وقوله للرسول: " انه قد هجانى " مضافا إلى أنه لم يرد في كل هذه المحاورات الطويلة بين صفوان وجميل والنبي، وسعد بن عبادة، وابنه قيس، وغيرهم من قصة الإفك قليل ولا كثير فكان الإفك لم يكن أبدا وكأن أحدا لم يسمع به يومذاك، غير أن ابن هشام لم يوردها في محلها بعد ذكره الخصم على ماء المربيصع وما بدر من ابن أبي، وإنما آخر ذكرها حتى إذا انتهى من سرد قصة الإفك اقحمها بعدها فأوهم أنها كانت من اثر الإفك، وقد اقتدى به في ذلك كل من الطبرى وابن الأثير وابن كثير في تواريختهم، وقد التبس الامر على من جاء بعد ابن إسحاق كابن عبد البر في الاستيعاب حيث قال: اعترض صفوان بن المعطل حسان بن ثابت بالسيف لما قد قذفه بالإفك...، ذكره ابن إسحاق في ذلك وذكر الخبر في ذلك. ومن الغريب انا نجد ابن إسحاق عندما يذكر قصة ضرب صفوان لحسان يروي أنه قال: تلق ذباب السييف مني فإني غلام إذا هو جيت لست بشاعر

ولم يرو بعده بيتا آخر، وكذلك كل من روى عنه ابن إسحاق، كابن هشام، وابن جرير، وابن الأثير، وابن كثير. كل هؤلاء يرووا بعد هذا البيت بيتا آخر، على أن ابن إسحاق مغرم بایراد الاشعار في ذكره أخبار الحوادث حتى إذا كان القرن الخامس نجد الحاكم في المستدرك وابن الأثير في أسد الغابة يضيفان إلى هذا البيت ما يلي:

ولكنني أحمي حمای وأشتفي * من الباهت الرامي البراء الطواهر
ولست أدرى من أين جاء بهذا البيت الذي لم يعثر عليه كل من ابن إسحاق في القرن الثاني ورواته ابن هشام وابن جرير في القرن الثالث والرابع.

ثالثا - التيمم:

١ - في القرآن الكريم:

قال الله سبحانه:

أ - في سورة المائدة:

(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه...) [الآية: ٦].

ب - في سورة النساء:

(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً) [الآلية: ٤٣].

٢ - في الحديث:

جاء في تفسير الآيتين من صحيح البخاري ومسلم:

أ - عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها استعارت من أسماء قladة فهلكت فبعث رسول الله (ص) رجلاً فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معه ماء فصلوا. فشكوا ذلك إلى رسول الله (ص) فأنزل الله آية التيمم فقال: أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ لِعَائِشَةَ: جَزَّاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَوَاللَّهِ مَا نَزَّلَ بِكَ أَمْرًا تَكْرَهِينَهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرًا (١).

ولفظ الحديث في سنن النسائي:

بعث رسول الله (ص) أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ وَنَاسًا يَطْلَبُونَ قَلَادَةً كَانَتْ لِعَائِشَةَ نَسِيَّتِهَا فِي مَنْزِلِ نَزْلَتِهِ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ وَلَيْسُوا عَلَى وَضُوءٍ وَلَمْ مَجِدُوا ماءً فَصَلَوْا بِغَيْرِ وَضُوءٍ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّيَمُّمِ... الحديث (٢).

ب - في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد واللفظ للأول بسنده عن عمران بن حصين:

ان رسول الله (ص) رأى رجلاً معتزلاً لم يصل في القوم فقال: يا فلان ما

(١) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً، ١ / ٨٦، وصحيح مسلم، الحديث ١٠٩، ج ١، ٢٧٩، وسنن ابن ماجة، أبواب التيمم، باب ما جاء في سنن التيمم، الحديث ٥٦٨، ص ١٨٨، وفي لفظهما فأرسل ناساً، ومسند أحمد ٦ / ٥٧ رجالاً، وسنن الدارمي، باب التيمم، ج ١ / ١٩٠.

(٢) سنن النسائي ١ / ٦١، و ١٧٢ باب من لم يجد الماء والصعيد.

منعك أن تصلي في القوم؟ فقال: يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء قال: عليك بالصعيد فإنه يكفيك (١).

ج - في طبقات ابن سعد والاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة، والدر المنشور للسيوطى، وكتنز العمال واللطف للأول:

عن الربيع بن بدر قال: حدثني أبي عن جدي أن رجلاً منهم يقال له الأسلع قال: كنت أخدم النبي (ص) وأرحل له.

قال: فقال لي (ص) ذات ليلة: يا أسلع قم فارحل لي.

فقلت: يا نبى الله أصابتني جنابة فسكت ساعة واتاه جبريل عليه السلام بأية الصعيد.

قال فدعاني النبي (ص) فأراني كيف أمسح فمسحت ورحلت له وصلت، فلما انتهى إلى الماء قال لي: قم يا أسلع فاغسل.

وأخرج الخطيب في تاريخه قريباً من هذا وليس فيه ذكر نزول آية التيمم بسببه (٢).

د - في تفسير الآية يتفسير الطبرى بسنده في قوله تعالى: (ولا جنبا

(١) صحيح البخارى ج ١ / ٧٣ كتاب التيمم، وصحيح مسلم ج ١ / ٤٧٥، ومسند أحمد ج ٤ / ٤٣٤، وسنن النسائي ج ١ / ١٧١ باب التيمم بالصعيد.

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ٦٥، وفي الاستيعاب ١ / ٥٤، وأسد الغابة ١ / ٩١، والإصابة ١ / ٥٢، بترجمة الأسلع، وألفاظ الحديث تختلف في بعضها عما ذكرنا عن الطبقات، ورواه المتقي في الكنز، الحديث ٢٩٦١، ج ٥ / ١٤٥ عن ابن سعد وعتبة بن حميد، وابن جرير والقاضي إسماعيل في الأحكام، والطحاوى في مشكل الآثار، والدارقطنى في سننه، والطبرانى في سننه الكبير، وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في السنن، وابن مردويه في سننه، والضياء المقدسى في المختار، والطبرانى في تفسير آية التيمم من سورة النساء ٥ / ٦٨، والسيوطى في تفسير آية التيمم ٢ / ١٦٥.

إلا عابري سبيل) قال: إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا في المسجد فأنزل الله هذه الآية (١).

٥ - أيضا في تفسير الآية بتفسير السيوطي بسنده قال: أصحاب أصحاب رسول الله (ص) جراحة ففتشت فيهم ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي (ص) فنزلت (وإن كنتم مرضى...) الآية كلها (٢). و - في تفسير الآية بتفسير السيوطي بسنده عن مجاهد في قوله: (وان كنتم مرضى) قال:

نزلت في رجل من الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ولم يكن له خادم فتناوله، فاتى رسول الله (ص) فذكر ذلك له فأنزل الله هذه الآية (٣).

ز - بتفسير آية التيمم من سورة المائدة من تفسير السيوطي بسنده عن عطاء قال: احتمل رجل على عهد رسول الله (ص) وهو مخذوم فغسلوه فات فقال رسول الله (ص): قتلواه قتلهم الله ضيغوه ضيغهم الله. في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسند الطيالسي وأحمد وأبي عوانة واللّفظ للطيالسي: بسنده عن عبد الرحمن بن أبي عبيدة قال: أتى رجل عمر فذكر انه كان

(١) تفسير الطبرى ٥ / ٦٤ ، والسيوطى في الدر المنشور ٢ / ١٦٦ .

(٢) الدر المنشور للسيوطى ٢ / ١٦٦ بتفسير الآية.

(٣) تفسير السيوطي ٢ / ١٦٦ .

في سفر فأجنب ولم يجد الماء، فقال: لا تصل. فقال عمر: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ كنت أنا وأنت في سرية فاجبنا فلم نجد الماء فاما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصلت، فلما قدمنا على رسول الله (ص) ذكرنا ذلك له فقال لك: اما أنت فلم يكن ينبغي لك ان تدع الصلاة، واما أنت يا عمر فلم يكن ينبغي لك ان تمنعك كما تمنعك الدابة إنما كان يجزئك - وضرب رسول الله (ص) بيده

الأرض إلى التراب - فقال: هكذا فنفح فيها ومسح وجهه ويديه إلى المفصل وليس فيه إلى الذراعين. الحديث (١). *

كان ذلك ما جاء في الذكر الحكيم والأحاديث المروية عن رسول الله (ص) في أمر التيمم وينبغي أن ندرسها في ما يأتي بإذنه تعالى.
دراسة أخبار التيمم:

ينبغي أن ندرس في هذا المقام أربعة أمور:
أ - زمان نزول، حكم التيمم.

ب - روایات التيمم عدا روایات أم المؤمنين عائشة.

ج - زمان نزول آیتی التيمم.

(١) اخرج الحديث: الطیالسی فی مسنده، الحديث ٦٣٨، واحمد فی مسنده ٤ / ٢٦٥ و ٣١٩، ومسلم فی صحيحه، باب التیمم ج ١ / ٢٨٠، والنسائی فی ج ١ / ١٦٥ - ١٦٦ باب التیمم فی الحضر، وأبو داود السجستاني فی ج ١ / ٤٤ من سننه، وأبو عوانة فی ج ١ / ٣٠٦ من مسنده، وفي الکنز ج ٥ / ١٤٢، الحديث ٢٩٢٦ قریبا منه، ورواه البخاری فی ج ١ / ٨٧ فی باب التیمم مع اختلاف فی اللفظ.
وتمعکت الدابة: تمرغت ونقلبت فی التراب.

د - روایات أم المؤمنین عائشة الأخيرة في شأن نزول آيتها التیم.

ونستعين الله ونقول:

أ - زمان نزول حكم التیم:

نزل حكم الصلاة على رسول الله (ص) بعد ما بعث، وعلمه جبرئيل
الوضوء والصلاحة بعد ذلك.

وكان (ص) يؤديها مع علي وخدیحة ومن آمن من بعدهما من المسلمين،
ومع ذلك لم نجد ذکر الوضوء في القرآن الكريم في غير سورتي المائدة والنساء
المدنیتين.

ونحن نرى ان حكم الغسل من الجناة وحكم التیم بدلا عن الوضوء
والغسل عند عدم تیسر هما - أيضا - كان قد نزل في مکة، فإن قلة وجود الماء في
أراضي الحجاز يومذاك كانت تقتضي نزول حكم التیم بدلا عن الوضوء
والغسل بعد نزول حكم الوضوء للصلاحة.

ب - روایات التیم عدا روایات أم المؤمنین عائشة:

اختللت روایات التیم في تعيین الأمر الذي بسببه نزلت آيتها التیم، ففي
رواية: ان رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جناة
ولا ماء عندهم... فأنزل الله هذه الآية.

وفي ثانية: انها نزلت في مجرو حین ابتلوا بالجناة.

وفي ثالثة: انها نزلت في رجل من الأنصار أجنب ولم يستطع أن يتوضأ.

ج - زمان نزول آياتي التيمم:
ان شأن آياتي التيمم شأن آيات أخرى نزلت تخبر عن نزول حكم بوحي
غير قرآنی مثل قوله تعالى في سورة الأحزاب:
(وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق
الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه).
وكان الذي أخفاه الرسول (ص) في نفسه ما أوحى الله إليه قبل ذلك بوحي
غير قرآنی وأخبر عنه هنا بوحي قرآنی حيث قال تعالى:
(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين
حرج...) الآية.

و كذلك الشأن في زمان نزول آياتي التيمم فقد كان حكم التيمم قد نزل
بوحي غير قرآنی ثم نزل القرآن يخبر عن حكم الله في بدلية التيمم عن الوضوء
والغسل.

نستنتج مما سبق ان حكم التيمم كان قد نزل في أوائل بعثة
الرسول (ص) وعمل به في مكة ثم نزلت الآياتان في المدينة تخبران عن ذلك
الحكم، وبعد نزول الآيتين كان الرسول (ص) يتلو إحداهما بالمناسبة كلما اقتضى
المقام ذلك.

وبما ان الخلفاء كانوا قد نهوا عن كتابة سنة الرسول (ص) إلى عصر عمر بن
عبد العزيز وقع هذا الالتباس في الروايات وأدى ذلك إلى هذا الاختلاف
في شأن نزول الآيتين.

د - روایات أم المؤمنین عائشة الأخيرة في شأن نزول آیتي التیم: اننا نرى ان لفظ النسائي قد يكون هو الصحيح حيث يقول: إن رسول الله (ص) بعث في طلب قلادة لأم المؤمنين عائشة (نسيتها في منزل نزلته). وان المبعوث كان رجلا واحدا كما يفهم ذلك من حديث جاء في البخاري، فان طلب القلادة لا يحتاج إلى ناس يذهبون له ونرى أن ذلك الرجل كان أسيد ابن حضير، ولم يتيسر له الماء للظهور وأخبر الرسول بذلك بعد رجوعه فتلا عليه الآية كما تلاها على غيره.

* * *

كان ذلك نتیجة دراساتنا في شأن نزول آیتي التیم والروایات التي تخبر عنهما.

وفي ما يأتي ندرس باذنه تعالى قصة الإلک والآیات النازلة في أمر الإلک.

رابعا - الإلک:

أ - في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْكَ عَصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًا لَّكُمْ
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبُ مِنَ الْأَثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّ كُبُرَهُ مِنْهُمْ لَهُ
عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمَعُتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا
هَذَا إِلْكٌ مَّبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بَأْرَبْعَةِ شَهِدَاءٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ

عند الله هم الكاذبون * ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بأسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * ولو لا إذ سمعتموه فلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله علیم حكيم * إن الذين يحبون أن تشييع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم * يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سمیع علیم * ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعنة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا ولیصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم * إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) [النور: ١١ - ٢٤].

دراسة الآيات الكريمة:

في هذه الآيات الكريمة: (الذين جاءوا بالإلفك عصبة) والعصبة: جماعة متعصبة متعاضدة (١) ويعاينها تجمع اللفيف، واللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتى فيهم الشريف والدني (٢).
بناء على ذلك انا نرى ان الإلفك لابد وانه كان قد وقع في حدود ضيقه من

(١) مادة عصب من مفردات القرآن للراغب.

(٢) مادة لف من المعجم الوسيط.

بيت النبي (ص) ولم يطلع عليه إلا خاصته ممن لم يشيعوا ذكره تأدبا بقوله تعالى: (والذين يحبون ان تشيع الفاحشة).

ثم إن رميهم من قذفوا بالفاحشة لم يتعد حدود الارجاف ولم يبلغ منهم إلى درجة الشهادة ليوجب عليهم حد القذف، فلم يكن اي واحد منهم جادا في ذلك البتة، لعدم وجود الموجب له. ونرى أن المرأة والرجل اللذين رميا بالإفك لابد وانهما لم يكونا من البيوتات العربية لتأثر لهما العشيرة والأهل، وإنما كانوا من المغمورين المنقطعين عن الرهط ولم يكن لهم ناصر إلا الله ورسوله (ص)، وأما القاذفون فلا بد وانهم كانوا عصبة قوية يومذاك. ولما نزلت آيات الإفك خمدت أنفاس العصبية وسكتت على مضض وسكت الرسول عنهم وسكت المتصلون بالرسول، ولا بد ان هذه العصبة بقيت قوية بعد الرسول وصعدت قمة المجتمع الإسلامي وأصبحت مهابة ملحوظة الجانب، فأجتهد المحدثون والمؤرخون في أخفاء معالم الواقعه مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

وقد انتهى إلينا من زوايا كتب الحديث والسير ما ينير لنا الطريق بعض الشيء، وذلك ما سندرسه إن شاء الله تعالى بعد دراسة أخبار الإفك في ما يأتي:

ب - في الحديث

ما روی عن أم المؤمنين عائشة في قصة الإفك ودراستها:

جاء في ما روی عنها في صحاح الحديث أن رسول الله استشار أسماء بن زيد و كان أسماء يومذاك في السنة الخامسة أو السادسة من الهجرة غلاما لم يبلغ الحلم لأنه كان في مرض وفاة الرسول حين و لاه على الجيش في السنة الثانية عشرة من الهجرة عمره ثمانى عشرة سنة، واستنكرهوا تعينه وهو غلام على جيش

أو عب فيه المهاجرين الأولين كيف يصح أن يستشير الرسول في أمر هام مثل قصة الإلفك غلاما في أوائل العقد الثاني من عمره ولم يستشير والده زيد وكان يومذاك على قيد الحياة؟ فإنه استشهد في غزوة مؤتة وفي السنة الثامنة. وجاء في الحديث الذي أوردناه في أول البحث أن رسول الله (ص) قال عن صفوان: (وذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي) في حين أن صفوان كان قد أسلم قبل تلك الغزوة، فكيف كان يدخل مع رسول الله على أهله؟

وجاء في الحديث التالي أنها قالت عن صفوان: وبلغ الأمر ذلك الرجل فقال: (سبحان الله والله ما كشفت كنف أنشي قط).

وفي رواية ابن هشام: (وكان عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلا حصورا ما يأتي النساء) (١).

وقد مر بنا في الحديث الصحيح أن زوجة صفوان اشتكت إلى رسول الله (ص) إن صفوان يضر بها إذا صلت ويفطرها إذا صامت وانه لا يصلي صلاة الصبح... الحديث، وبناء على ذلك فان صفوان لا يقول: سبحان الله والله ما كشفت كنف أنشي قط؟

وانتبه إلى هذا التناقض الحافظ ابن حجر فقد قال في ترجمته في الإصابة: ومما انتبه العلماء إلى ما في تلكم الأحاديث من تناقض مع الواقع التاريخي ما جاء فيها: ان الرسول سأله من الجارية بريرة عنها، في حين أن بريرة كانت يومذاك جارية لبعض بني هلال، وإنما اشتترتها أم المؤمنين بعد ذاك بستين أو أكثر يوم كان العباس عم النبي في المدينة، وأن له كلاما في العباس وقصة شراء بريرة كما

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٣٥٢ - ٣٥٣، والطبرى ج ٣ / ٧١، وابن كثير ج ٤ / ١٦٣، والأغاني ج ٤ / ١٤.

جاء في ترجمتهما في الإصابة.

وجاء في ترجمة مغيث عن ابن عباس انه رأى مغيثا بعد عتقها يمشي خلفها وي يكنى، وإنما هاجر العباس قبيل فتح مكة التي كانت في السنة الثامنة من الهجرة (١) وبناء على ذلك كان شراء عائشة لبريرة وعتقها في السنة الثامنة من الهجرة، وما كانت في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة التي رویت فيها روايات الإفك في واقعة غزوة بنى المصطلق.

حيرة العلماء في رفع تناقض روايات الصحاح والمسانيد في قصة الإفك:

أ - قال الحافظ ابن حجر في ترجمة صفوان من الإصابة:

أورد على هذا أن صفوان كيف كان حصورا وقد روی عن أبي داود عن أبي سعيد أنه قال: جاءت امرأة صفوان إلى النبي (ص) فقالت: يا رسول الله إن زوجي صفوان يضربني. ثم قال ابن حجر: وإننا نهاده صحيح ولكن يشكل عليه أن عائشة قالت في حديث الإفك: إن صفوان قال: والله ما كشفت عن كنف أنشى قط... ثم ذكر أن البخاري قد انتبه إلى هذا التنافي ولذلك ضعف حديث أبي داود ليس لم حديث الإفك.

ب - اخرج البخاري والطیالسی وعبد الله بن أَحْمَدَ فِي مَسْنَدٍ (٢) أَبِيهِ جَمِيعا

(١) راجع ترجمة العباس من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ / ٢٨ باب في حديث الإفك: والطیالسی في ص ٢٣١ - ٢٣٢، ومسند أَحْمَدَ ج ٦ / ٣٦٧ وهذا سياقه واللفظ للبخاري بسنده إلى أبي وائل قال: " حديثي مسروق بن الأحدج قال: حدثني أم رومان وهي أم عائشة قالت:... " الحديث، وأخرجه البخاري في ج ٣ / ١١٢ باب قوله: (ولولا فضل الله عليكم) مختصرا وهذا سياقه: ثنا محمد بن كثير، أنا سليمان، عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، عن أم عائشة أنها قالت: لما رميت عائشة خرت مغشيا عليها.

عن مسروق (١) عن أم رومان:

إن مسروقا لم يدرك أم رومان فان أم رومان كانت قد توفيت في السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة من الهجرة في المدينة ومسروق ولد في السنة الأولى من الهجرة في اليمن وقدم من اليمن بعد وفاة رسول الله (ص).

قال الشيباني في الجمع بين رجال الصحيحين (٢):

(وأنكر على البخاري إخراج حديثه عن أم رومان، إذ كانت بلا خلاف قد توفيت في عهد النبي ولم يكن مسروق حينئذ وهو حديث واحد).

وقال ابن عبد البر (٣): (رواية مسروق عن أم رومان مرسلة ولعله سمع ذلك من عائشة).

وقال الزركشي (٤): "رون البخاري لأم رومان حديثا واحدا من حديث الإفك من رواية مسروق عنها ولم يلقها وقيل: (عن مسروق حدثني أم رومان) وهو وهم... ذكر ابن سعد وغيره أن أم رومان ماتت في حياة رسول الله (ص) في سنة ست من الهجرة ونزل رسول الله (ص) في قبرها، وهذا يقوى الأشكال في إخراج البخاري رواية مسروق عنها، لكن أنكر قوم موتها في حياة

(١) مسروق بن الأحدع من بني همدان الذين سكنا الكوفة، ولما وفد مسروق أو أبوه على الخليفة عمر غير اسم أبيه - الأحدع - وسماه عبد الرحمن (١ - ٦١ أو ٦٣) ترجمته في الطبقات ج ٦ / ٧٦ - ٨٤، والتهذيب ج ١٠ / ١٠٩ - ١١١، والخلاصة ص ٣١٩، وراجع: ترجمة أم رومان من الإصابة.

(٢) الجمع بين رجال الصحيحين لمحمد بن طاهر المقدسي ج ٢ / ٥١٦ - ٥١٧.

(٣) بترجمة أم رومان من الاستيعاب وقد أجابوا عن هذا الإيراد الذي أورد على البخاري في صحيحه بأجوبة فيها ت محلات كثيرة.

(٤) الإجابة ص ٣٨ - ٣٩.

رسول الله (ص) منهم أبو نعيم الأصفهاني، ولا عمدة لمن أنكره إلا رواية مسروق. وقال الخطيب: لم يسمع مسروق من أم رومان شيئاً والعجب كيف حفظ ذلك على البخاري وقد فطن مسلم؟".

وإنما قال: فطن مسلم لأنه لم يخرج حديث مسروق في الإفك عن أم رومان.

ج - روى الحافظ ابن حجر في ترجمة صفوان من الإصابة عن أبي داود عن أبي سعيد أنه قال: جاءت امرأة صفوان إلى النبي (ص) فقالت: يا رسول الله (ص) إن زوجي صفوان يضربني.

ثم قال ابن حجر: وإن ساده صحيح، ولكن يشكل عليه أن عائشة قالت في حديث الإفك أن صفوان قال: والله ما كشفت عن كف أثني قط....

ثم ذكر أن البخاري قد انتبه إلى هذا التنافي، ولذلك ضعف حديث أبي داود ليس لم حديث الإفك.

د - أشكل على حديث الإفك في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث أن ما جاء نجبه من محاورة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يتنافي ووفاة سعد بن معاذ قبل ذاك بعام أو أكثر فإنه كان قد توفي بعد غزوة بنى قريطة، وقد أجاب بعضهم عن هذا الاليراد بان المحاورة في سيرة ابن هشام ومن تبعه من المؤرخين قد وقعت بين أسيد بن حضير وسعد بن عبادة وان ما في رواية ابن هشام أسيد بن حضير بدل سعد بن معاذ هو الصحيح وما في صحيح البخاري ومسلم خطأ في الاسم ووهم.

أقول: وهذا الجواب غير واف فان اسم أسيد قد جاء في رواية الصحيحين بعد اسم سعد بن معاذ ونسب إلى كل منهما دور خاص في ذلك الموقف وهذا لفظ

الصحيحين (١):

فقام سعد أخوبني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإنك كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك... فقام سعد بن عبادة... فقال لسعد: كذبت لعم الله لا تقتلها... فقام أسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعم الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين... الحديث.

ففي رواية الصحيحين نسب إلى سعد بن معاذ الاقتراح بقتل القاذفين وإلى ابن عمه أسيد بن حضير مهاجمة سعد بن عبادة دفاعاً عن سعد بن معاذ مع التصرير باسمه أسيد ونسبته من سعد. ويفيد ما نرى من أن رواة الصحاح لم يوهموا ولم يخطئوا في ذكر الاسم، وأنهم كانوا قد لحظوا التنافي بين موت سعد بن معاذ قبل غزوة بني المصطلق وحضوره في ذلك الموقف، انهم لم يصرحوا باسم الغزوة في صدر هذا الحديث الذي ذكر فيه اسم سعد بن معاذ وإنما قالوا في غزوة غزاهما بينما في سيرة ابن هشام لما لم يرد اسم سعد بن معاذ في روايتم صرح باسم الغزوة وقالوا: (فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع أقرع بين نسائه...) الحديث.

ولعل الزهري قبل كل هؤلاء قد لاحظ بعض التباين والتنافي في أحاديث الإفك المروية عن أم المؤمنين حين لم يأت بها على وجهها، بل أدمج بعضها في بعض ثم قال (٢): إن بعض القوم كان أدعى لحديثها من بعض. وفي هذا القول إشارة واضحة باختلاف الأحاديث التي أدمج بعضها ببعض، ولو لا هذا التصرف منه لاستطعنا اليوم مقارنة تلك الأحاديث وفهم الواقع التاريخي أكثر من هذا.

(١) اللفظ للبخاري في ج ٣ / ٢٧.

(٢) هذا القول موجود في سند الصحيحين إلى الزهري في قصة الإفك وكذلك في سند ابن هشام ومن تبعه من المؤرخين، راجع قبله حديث الإفك.

٥ - خبر حد القذف:

جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيضاً في ذيول هذه القصة أنها قالت: "لما نزل عذري قام النبي (ص) على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدتهم" (١).

وفي رواية ابن هشام عنها: "ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش - و كانوا من أفحص بالفاحشة - فضربوا حدتهم" (٢).

هكذا جاء في ما روي عن أم المؤمنين غير أنه لم يثبت إجراء حد القذف على واحد من هؤلاء، فقد مر بنا قول الواقدي: (قالت - أم المؤمنين عائشة: فضربهم رسول الله (ص) الحد... ويقال: إن رسول الله (ص) لم يضربهم وهو ثبت عندنا).

وفي تراجم:

أ - حسان بن ثابت:

في أسد الغابة: عن هشام، عن أبيه - عروة بن الزبير - إن رسول الله جلد

(١) أخرجه أبو داود السجستاني في باب حد القذف من سننه ج ٢ / ٢٣٧ وابن ماجة في باب حد القذف من كتاب الحدود ص ٨٥٧ الحديث ٢٥٦٧ وفي مسند أحمد ج ٦ / ٢٥ والترمذى ج ٢ / ٣٨٩ في تفسير سورة النور "عن عمرة عن عائشة قالت": واللفظ للأول.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٣٤٢ وأخرجه الطبرى في ج ٣ / ٧٠ وابن كثير ج ٣ / ١٦٢ وابن الأثير ج ٢ / ٧٥ وإلى هذا الحديث يستند من يروي جلد حسان ومسطح وحمنة كالبخارى في ج ٤ / ١٨١.

الذين قالوا لعائشة ما قالوا ثمانين، حسان بن ثابت ومسطح بن أئذة وحمنة بنت جحش، وكان حسان ممن خاض في الإفك فجلد فيه في قول بعضهم وأنكر قوم ذلك.

ب - حمنة بنت جحش:

في ترجمتها في أسد الغابة: وقال بعضهم أنها جلدت مع من جلد فيه - في الإفك - وقيل لم يجلد أحد.

وإنما قال العلماء لم يضر بهم الحد وأنكروا ذلك مع التصریح بذلك في ما رروا عن أم المؤمنین عائشة في الصحاح والسن والمسانید، لأن حد القذف إنما يثبت عندما يشهد الشهود امام المحاكم وفي وجه من يرمونه بالفاحشة، كما وقع ذلك لأبي بكرة ونافع ابْنِ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ الْقَفْيِ وشبل ابن معبد البحدلي امام الخليفة عمر بْنِ الْمُغِيْرَةِ زَنِي بَأْمِ جَمِيلِ بَنْتِ الْأَفْقَمِ وفي وجه المغيرة ونكل زياد بن أبيه عن الشهادة فأمر الخليفة بضربهم ثمانين جلد، وعلى اثر ذلك سقطت شهادتهم عن الاعتبار حتى أعلن نافع وشبل توبتهما فقبلت بعد ذلك شهادتهما، ولم يتبع أبو بكرة فكان لا يستطيع ان يدلي الشهادة في أمر إلى آخر عمره (١).

وما جاء في الروايات المروية عن أم المؤمنين عائشة في قصة الإفك ان كلام عبد الله بن أبي ومسطح بن أئذة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش أرجفوا بخبر الإفك، ولم يأت في تلکم الروايات أكثر من ذلك. وبناء على ذلك لا يثبت عليهم حد القذف ليجريه عليهم رسول الله (ص).

هذا ما وجدناه عند العلماء من مناقشات حول ما روی عن أم المؤمنين في

(١) راجع: (قصة المغيرة بن شعبة) من المجلد الأول من عبد الله بن سباء.

خبر الإفك ونضيف إلى ذلك ما يأتي بيانه بإذنه تعالى..
عود على بدء في خبر المسابقة والتيمم والإفك:

جاء في روايات الصحاح والسنن والمسانيد في خبر نزول آية التيمم عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: إن الرسول (ص) أنزل جيشه في عراء لا ماء فيه وليس معهم ماء في التماس عقد لأم المؤمنين عائشة كانت فقدته، حتى إذا أصبح الجيش على تلك الحالة جاء أبوها أبو بكر يعنفها ويضرب في خاصرتها ويقول لها في كل سفر لل المسلمين منك بلاء وعناء، ورسول الله واسع رأسه على فخذ أم المؤمنين عائشة مستسلم للنوم ولم تستطع حراها لمكان رسول الله منها. بينما جاء في روايات الإفك عنها أنها بقيت منفردة في منزلها ليس معها الرسول ولا أحد من حواريها أو من ذوي قرباها، يرحل لها الأغراب وتركب وحدها. بينما القستان في غزوة واحدة، ولأجل ضياع عقد واحد من الجزع. ثم يأخذنا العجب في هذا الحديث من حركة الجيش السريعة، فكم من الوقت كان يستغرق ذهاب أم المؤمنين في طلب العقد كي يتحرك الجيش برمته ولا يبقى منهم هناك داع أو مجيب؟ في حين ان الجيش لا بد له من مقدمة وساقه، ولم يكن مكان ظعينة الرسول في الساقه (١)!

ولو فرضنا ان الجيش هذا كان في عصرنا الحاضر يستقل أسرابا من الطائرات النفاثة لما صدق عليه هذا الوصف، فإنه لابد لتحقيق الطائرات واحدة بعد أخرى وسرابا بعد آخر من وقت يستطيع الإنسان معه أن يذهب لمبرزه

(١) مصادر البحث: ابن هشام ج ٣ / ٣٥١ - ٣٥٢ والطبرى ج ٣ / ٧٠ وابن الأثير وابن كثير في ذيل غزوة المريسيع وإمتناع الأسماع ص ٢١٠ والأغاني ج ٤ / ١٣.

ويعد ويدرك الطائرات الأخيرة، وكيف يكون الحال مع ركوب الجمال أو غيرها من الدواب؟ ثم كم بعدت أم المؤمنين من الجيش للتبرز بحيث لم تسمع رغاء البعير ولا هممة الرجال حين ظعنوا؟ وشئ آخر في هذا الحديث لا أكاد أفهمه وهو ان الهودج كيف يحمله الحاملون ولا يشعرون خلوه من راكب مهما كان ذاك الراكب خفيفا؟ ثم ما بال عقيلة تيم تركت عرضاً لألسنة القاذفين أكثر من شهر ولا من رادع؟ وأين كان عنها س يوسف سروات تيم؟ وما بال أبيها أبو بكر وأخويها عبد الله وعبد الرحمن وأبناء عمها طلحة الجود وأخيه عبد الرحمن وأبن أخيه عبد الرحمن بن عثمان؟ وكيف خبتو لها الصغار ولم ينسبوا بنت شفة طوال هذا الشهر (١)؟ أكان هؤلاء أجيون من صفوان حين عمم حسان بالسيف لما استشعر انه كان ممن عناه في هجائه بقوله: (ان الحلايب قد عزوا وقد كثروا...)؟ وما بال سائر اباه قريش ترضى بهذا الذل؟ فان قريشا وإن كان قد أسلم من أنها إلا أنها لم تنس خيالها وعصبيتها في يوم من الأيام. وقد روى أبو عمر (٢): أن أبي سفيان مر على سلمان وصهيب وبلال (٣) فقالوا: ما أخذت س يوسف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش؟!.... الحديث.

ما بال أبي بكر لا يسكت عن ذكر جمع من إخوانه المسلمين رئيس المشركين بسوء وهو لا تصدر منه كلمة في من ثلب شرف بيته؟! ثم من القاذفون؟ أحسان شاعر الرسول يقذف حرم ممدوحه الرسول

(١) ترجمتهم في الاستيعاب والإصابة وأسد الغابة.

(٢) أخرجه ابن عبد البر بترجمة صهيب ص ٣١٦ الرقم ١٣٧٨.

(٣) ترجمته في الاستيعاب والإصابة وأسد الغابة.

بالإفك؟ أحسان الذي هجاه مسافع بن عياض (١) التيمي؟ فقال فيه حسان:
يا آل تيم ألا تنهون جاھلکم قبل القداف بصم كالجلاميد
إلى قوله:

لولا الرسول واني لست عاصيه حتى يغبني في الرمس ملحودي
وصاحب الغار اني سوف أحفظه وطلعة بن عبيد الله ذي الجود
أحسان هذا الذي يسكت عن هجاء رجل من تيم حفظا لكرامة أبي بكر
يقذف أعظم امرأة في بيت أبي بكر؟ ثم ما الذي كان يدعو حسان لهذا القذف؟
وماذا كان يجني من ورائه؟

وما بال حمنة تهلك فيما هلك بقذف عائشة؟ أعلى حساب أختها زينب
التي قالت: "أحمرت سمعي وبصري"؟ إذن فان بال زينب هذه لم تردع أختها حمنة
عن غيها؟ وما بال زوج حمنة طلحة بن عبد الله ابن عم عائشة يسكت عن زوجه
في قذفها ابنة عمه؟

ومسطح بن أثاثة ربيب نعمة أبي بكر ماذا دهاه ليخوض مع الخائضين
وعطاء أبي بكر كان يجري عليه غدق؟
ثم من هم القاذفون؟ أبن أبي الذي نزل في ذمه وتقریعه "سورة
المنافقون" في قصة التخاصم على ماء المريسيع فيوصم بوصمة "النفاق" الذي
لا يرضه ماء أبد الدهر؟! أبن أبي هذا الذي بلغ من الذل في تلك الآونة أنه لما
انتشر خبر قوله وارتاح رسول الله (ص) في غير ساعة رحيل، وفي حر شديد
فجاء أسيد بن حضير وقال له: يا رسول الله (ص) قد رحلت في ساعة منكرة ما
كنت ترحل فيها، قال: أو لم يبلغكم ما قال صاحبكم؟ لئن رجعنا إلى المدينة

(١) على ما ذكرته أم المؤمنين في ذيل الرواية.

ليخرجن الأعز منها الأذل؟ فقال: أنت يا رسول الله تخرجه إن شئت فهو الأذل وأنت الأعز، والعزة لله ولوك وللمؤمنين. ولما نزلت (سورة المنافقون) على رسول الله (ص) عشية راح النبي (ص) من المريسيع مر عليه عبادة بن الصامت فلم يسلم عليه، ثم مر عليه أوس بن حولي فلم يسلم عليه، فقال ابن أبي: إن هذا الأمر تم الأتما عليه فرجعا إليه فأنباه وبكتاه.

ابن أبي الذي يقولون لرسول الله (ص) مر محمد بن مسلمة يأتيك برأسه فجاء ابنه عبد الله إلى النبي (ص) فقال: إن كنت ت يريد أن تقتل أبي فمرني فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا، فاني لأخشى يا رسول الله إن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فادخل النار. ابن أبي الذي بلغه في تلك الآونة خبر موت خليله زيد بن رفاعة بن التابوت المنافق فقال: يا ويلاه كان والله وكان، وأسقط في يديه وسار كعبيا حزينا. ابن أبي الذي بلغ من الذل أن يتقدم الناس ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي ويقف له على الطريق عند مضيق المدينة فينيخ راحلته ويقول له: لا أفارقك حتى ترمعم انك الذليل ومحمد (ص) العزيز، فوالله لن تدخلها حتى يأذن رسول الله (ص) في ذلك.

اذن مع من اجتمع ابن أبي هذا وقدف زوج الرسول (ص) بالإفك. ثم ما الرابط بين حمنة وحسان وابن أبي ومسطح؟ وما الذي كان يجمع بين هؤلاء الثلاثة؟ أكانوا جمیعا من قريش؟ أم كانوا جمیعا من الأنصار؟ أم كانوا جمیعا من المنافقین؟ وفي أي ناد كانوا يجتمعون؟ ومن أية عصابة كانوا؟ ليصدق عليهم قوله تعالى: (ان الذين جاءوا بالإفك عصبة).

ثم أين أجري الحد عليهم؟ ومن أجراه؟ وكيف جلدوا (1)؟ وكيف خفي كل

(1) يراجع في الجلد تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودودي.

ذلك على كل الصحابة ولم يتكلم أحد منهم عن ذلك؟ ثم ما بال سعد بن عبادة يدافع عن رئيس المناقفين وصاحبه بالإفك حسان أمم النبي (ص) الذي قد قذف زوجه؟ أليس ابن عبادة هو الذي لم يرض باعتقال صفوان في ضرب حسان الذي كان أوشك أن يموت من جرحه بل أطلقه وخلع عليه لأنه من فقراء المهاجرين الذين ينتمون إلى الرسول (ص)؟ ثم ما بال هذه القصص الطويلة في قذف أم المؤمنين بالإفك وشجار الأوس والخزرج في ذلك، واستشارة النبي (ص) أسامي بن زيد وعلي بن أبي طالب في الأمر واستفساره من جاريتها ببريرة، وبقاء الناس أكثر من شهر يفيضون في هذا الحديث، ثم نزول آيات الإفك في شأنها وتنفيذ حد القذف على قاذفيها (١)؟ كل هذه القصص الطويلة كيف اقتصرت روایتها على أم المؤمنين عائشة؟ أكان الله قد ختم أفواهآلاف الصحابة فلم يستطع أحد غيرها أن يحدثنا بشيء منها؟!!

ونختم هذا البحث بما قاله المقرئي في إمتاع الأسماع حيث قال: تنبية: قد اختلف في غزوة المريسيع فذهب الواقدي - كما تقدم - إلى (٢) أنها كانت في شعبان سنة خمس، وقال ابن إسحاق في شعبان من السنة السادسة وصححه جماعة. وفيه إشكال، فإنه وقع في الصحيحين وغيرهما أن المقاول لسعد ابن عبادة سعد بن معاذ، كما تقدم عند خطبة رسول الله (ص) بسبب أهل الإفك. ولا يختلف أحد في أن سعد بن معاذ مات إثر قريظة، وقد كانت عقب الخندق، وهي في سنة خمس على الصحيح. ثم حديث الإفك لا يشك أحد من علماء الآثار

(١) كل ما ذكرنا هنا قد ورد في الحديث المروي عن أم المؤمنين في كتب الصحاح والسير والمسانيد، راجع أحاديث الإفك قبله.
 (٢) في الأصل: "إلا".

أنه في غزوة بني المصطلق هذه، وهي غزوة المرسيع.

وقد اختلف الناس في الجواب عن هذا، فقال موسى بن عقبة - فيما حكاه البخاري عنه - : إن غزوة المرسيع كانت في سنة أربع، وهذا خلاف الجمهور.

ثم في الحديث ما ينفي ما قال لأنها قالت: " وذلك بعد ما نزل الحجاب "،
ولا خلاف أن الحجاب نزل صبيحة دخول رسول الله (ص) بزینب بنت جحش،
وقال: سأله (ص) زینب عن شأن عائشة في ذلك فقالت: " أحمي سمعي وبصري " . قالت عائشة: " وهي التي كانت تسامي من أزواج النبي (ص) " .
وقد ذكر علماء الأخبار أن تزویجه (ص) بزینب كان في ذي القعدة سنة خمس،
فيبطل ما قال موسى بن عقبة، ولم ينحل الاشكال. وقال ابن إسحاق: إن
المرسيع كانت في سنة ست، وذكر فيها حديث الإفك، إلا أنه قال: عن الزهري،
عن عبید الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، فذكر الحديث - قال: فقام أَسِيد
بن الحضير فقال: " أنا أُعذرك منه " ، ولم يذكر سعد ابن معاذ.

قال الحافظ أبو محمد علي بن أَحْمَدَ بن سعِيدَ بن حَرْزَمَ: وفي مرجع الناس من
غزوة بني المصطلق قال أَهْلُ الْإِفْكَ ما قَالُوا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ بِرَاءَةَ
عائشةَ (رض) مَا أَنْزَلَ، وَقَدْ رَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ صَحَاحٍ أَنْ سَعْدَ بْنَ مَعَاذَ كَانَتْ لَهُ فِي
شَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ مَرَاجِعَةً مَعَ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ . وَهَذَا عِنْدَنَا وَهُمْ، لَأَنَّ سَعْدَ بْنَ مَعَاذَ
مَاتَ إِثْرَ فَتْحِ بَنِي قَرِيظَةَ بِلَا شَكَ، وَفَتْحِ بَنِي قَرِيظَةَ فِي آخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ
الرَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَغَزْوَةَ بَنِي المصطلق فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ - بَعْدَ سَنَةِ
وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِّنْ مَوْتِهِ، وَكَانَ الْمَقَاوِلَةُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ بَعْدَ الرَّجُوعِ مِنْ
غَزْوَةِ بَنِي المصطلق بِأَزْيَادٍ مِّنْ خَمْسِينَ لَيْلَةً.

وَذَكَرَابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنِ عَبِيدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَغَيْرِهِ، أَنَّ
الْمَقَاوِلَ لِسَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ إِنَّمَا كَانَ أَسِيدَ بْنَ الحضيرَ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ . وَالوَهْمُ لَمْ

يعر منه أحد منبني آدم. والله أعلم (١).
* * *

هذا ما وجدناه عند العلماء من مناقشات حول ما روی عن أم المؤمنين عائشة في خبر الإفك.

وبناء على ما تبين من نتيجة الدراسات المستفيضة الآنفة ان تلكم الروايات ينافق بعضها بعضاً الآخر ويناقض الواقع التاريخي، فما هو الخبر الذي كان فيه شأن نزول آيات الإفك؟ ذلك ما يتضح لنا من الروايات الآتية:

في تبرءة من نزلت آيات الإفك

فقد أخرج مسلم في صحيحه (٢) عن أنس: ان رجلاً كان يتهم بأم ولد (٣) رسول الله (ص) فقال رسول الله لعلي: اذهب فاضرب عنقه، فاتاه علي فإذا هو في ركي (٤) يتبرد فيها، فقال علي: اخرج فناوله يده فآخر جه فإذا هو محبوب ليس له ذكر، فكف علي عنه ثم اتى النبي فقال: يا رسول الله انه لمحبوب ماله ذكر. وأخرج ابن سعد في طبقاته عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: كانت أم إبراهيم سرية للنبي (ص) في مشربتها وكان قبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء

(١) إمتاع الأسماء ص ١٠٦ - ١٠٧. هذا ما وجدناه عند العلماء من مناقشات حول ما روی عن أم المؤمنين عائشة في خبر الإفك.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ / ٢١٣٩ باب براءة حرم النبي (ص) من الريبة كتاب التوبية، وهذا سند: ثني زهير ابن حرب، ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت عن أنس ... الحديث. والمستدرك ج ٤ / ٣٩ وقال: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم وفي

تلخيصه، وراجع: ترجمة مابور في الإصابة وغيرها.

(٣) وفي المستدرك بأم إبراهيم ولد رسول الله (ص).

(٤) الركي: البئر ذات الماء.

والخطب فقال الناس في ذلك: علچ يدخل على علچة، فبلغ ذلك رسول الله فأرسل علي بن أبي طالب فوجده على نخلة فلما رأى السيف وقع في نفسه فألقى الكسأ الذي كان عليه وتكشف فإذا هو مجبوب، فرجع على إلى النبي فأخبره فقال: يا رسول الله أرأيت إذ أمرت أحذنا بالأمر ثم رأى غير ذلك أيراجعك؟ قال: نعم، فأخبره بما رأى من القبطي، قال: وولدت مارية إبراهيم فجا، جبرائيل عليه السلام إلى النبي (ص) فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فاطمأن رسول الله (ص) إلى ذلك (١).

وأخرج أيضاً عن محمد بن عمر: حدثني عبد الله بن محمد بن عمر، عن أبيه، عن علي مثل ذلك غير أنه قال: خرج علي فلقه وعلي رأسه قدرة مستعدباً لها من الماء، فلما رأه علي شهر السيف وعمد له فلما رأه القبطي طرح القربة ورقى في نخلة وتعرى فإذا هو مجبوب، فأغمد علي سيفه، ثم رجع إلى النبي (ص) فأخبره الخبر فقال رسول الله (ص): أصبت أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب (٢) فمن هي مارية التي مر علينا قصتها مع أم المؤمنين في حديث التحرير؟ ومن القبطي الذي كان يأوي إليها؟ عن عائشة قالت: أهديت مارية إلى رسول الله (ص) ومعها ابن عم لها، قالت: فوقع عليها وقعة فاستمرت حاماً، قالت: فعزلها عند ابن عمها، قالت: فقال أهل الإفك (٣) والزور من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره وكانت أمة قليلة اللب فابتاعت له ضائقة لبون فكان يغذى بلبنها

(١) طبقات ابن سعد بترجمة مارية ج ٨ / ٢١٤ وهذا سند: أخبرنا محمد بن عمر، ثنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن انس بن مالك... الحديث.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٢١٤ وهذا سند: أنا محمد بن عمر، ثني عبد الله بن محمد بن عمر، عن أبيه، عن علي... الحديث.

(٣) نجد هنا ذكر الإفك في حديث أم المؤمنين عن مارية.

فحسن عليه لحمه، قالت عائشة: فدخل به على النبي (ص) ذات يوم فقال: كيف ترين؟

فقلت: من غذى لbin الضأن يحسن لحمه.

قال: ولا أشبه.

قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة ان قلت: ما أرى شبهها.

قالت: وبلغ رسول الله (ص) ما يقول الناس فقال لعلي: خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته.

قالت: فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخترف (١) رطبا، قالت: فلما نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة، قالت: فسقطت الخرقة فإذا هو لم يخلق الله عز وجل له ما للرجل شيء ممسوح (٢).

تزوج رسول الله (ص) مارية بنت سمعون وهي التي أهداها إلى رسول الله (ص) المقوقس صاحب الإسكندرية واهدى معها أختها سيرين وخصبها يقال له مابور، فوهب رسول الله (ص) سيرين لسان بن ثابت - والمقوقس من القبط وهم نصارى - وولدت مارية لرسول الله (ص) إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ومات إبراهيم بالمدينة وهو ابن ثمانية عشر شهرا (٣).
* * *

كانت تلكم أخبار مارية وما رميت به من افلك في ولدها من رسول الله (ص) إبراهيم في كتب الحديث والسيرة بمدرسة الخلفاء ولست أدرى ألم

(١) يخترف الشمر: مجنية.

(٢) المستدرك ج ٤ / ٣٩ وهي تلخيصه مختصرا بترجمة مارية.

(٣) المستدرك ج ٤ / ٣٨، اعطاء مارية يقتضي أن تكون قصة المهاجاة بين حسان وجهجاه بعد وصول مارية إلى النبي (ص).

يُكَلِّنُ يَنْبَغِي فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ أَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا آيَاتٍ يَبْرُئُ فِيهَا مَارِيَةً وَيَصْحِحُ نَسْبَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّبِيِّ (صَ) فَإِنَّهُ كَانَ أَهْمَّ لِلنَّبِيِّ (صَ) الَّذِي كَانَ يَنْحَصِرُ وَلَدُهُ يَوْمَذَاكَ إِبْرَاهِيمَ؟ إِلَّا فِيمَا إِذَا قَلَنَا إِنَّ الْمَقْدُونِينَ كَانُوا عَلَجًا وَعَلْجَةً وَلَا يَهُمْ أَمْرُهُمَا وَأَمْرُ ابْنِ عَلْجَةَ بِقَدْرِ مَا يَهُمْ الْأَمْرُ لَوْ كَانُوا مِنْ أَرْوَمَةَ سَادَةِ قَرِيشٍ وَبَيْتِ الْخَلَافَةِ.

وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى كِتَابِ الْحَدِيثِ وَالْتَّفْسِيرِ بِمَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَجَدْنَا فِي رَوَايَاتِ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَئمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ وَالْإِمَامِ الصَّادِقِ وَالْإِمَامِ الرَّضَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا مُوجَزُهُ:

أَنَّ مَلِكَ الْقَبْطَ أَهْدَى إِلَى الرَّسُولِ (صَ) غَلَامًا يَدْعُ جَرِيجًا وَجَارِيَةً تَدْعُ مَارِيَةَ الْقَبْطِيَّةَ، فَأَسْلَمَاهَا وَحَسِنَ اسْلَامَهُمَا. فَضَمَ الرَّسُولُ (صَ) الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ فَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ فَكَانَ بِحَبْهُمَا حَبَا شَدِيدًا وَأَصْبَحَ سَبِيلًا لِحَسْدِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ حَتَّى قَالَتَا مَعَ أَبْوَيْهِمَا لِلرَّسُولِ (صَ): أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ بِابْنِكَ؟!

بَلْ هُوَ وَلَدُ الْغَلَامِ جَرِيجٍ وَنَحْنُ نَشَهِدُ عَلَى ذَلِكَ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ عِلْمِ الرَّسُولِ (صَ) بِكَذْبِ الشَّهَادَةِ وَالْتَّهَمَةِ لِمَا كَانَ يَلْهُمُهُ مِنْ أُثْرٍ فِي النُّفُوسِ أَرَادَ أَنْ يَظْهُرَ الْأَمْرُ وَيَبْيَسَ الْحَقِيقَةَ لِأَصْحَابِهِ فَأَمْرَ عَلَيْهَا - وَهُوَ غَاضِبٌ - أَنْ يَذْهَبَ وَيُقْتَلَ الْغَلَامُ جَرِيجًا، وَقَالَ لَهُ: إِذَا بَانَ لَكَ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى غَيْرِ مَا قِيلَ فَلَا تَتَعَرَّضْ لَهُ بِسُوءِ.

فَذَهَبَ الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع) إِلَى جَرِيجٍ شَاهِرًا سِيفِهِ، فَفَرَّ جَرِيجٌ مِنْ خَوْفِهِ وَتَسَلَّقَ شَجَرَةً فَتَبَعَهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ فَأَهْوَى جَرِيجٌ بِنَفْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَانْحَسَرَ ثُوَبُهُ عَنْ رَجْلِيهِ فَبَأْنَ لَعْلَى أَنَّهُ مَمْسُوحٌ، فَاتَّى بِهِ الرَّسُولُ (صَ) وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ مَا رَأَى مِنْهُ. فَأَحْضَرَ الرَّسُولُ (صَ) أَصْحَابَهُ فَشَاهَدُوا الْغَلَامَ وَانْكَشَفَ أَمْرُهُمْ وَبَطَّلَتْ تَهْمَتَهُمْ. فَجَاءُوا إِلَى الرَّسُولِ (صَ) يَطْلَبُونَ الْمَغْفِرَةَ... الْحَدِيثُ فَنَزَّلَتِ الْآيَاتُ بِتَبْرِءَةِ الْجَارِيَةِ مَارِيَةً وَجَرِيجَ عَنِ التَّهَمَةِ الَّتِي اتَّهَمُاهُ بِهَا (١)

(١) راجع تفسير الآيات بتفسير آية الإفك في سورة النور من تفسير البرهان ط. قم سنة ١٤١٧ هـ وأطيب البيان والدرر والغرر للشريف المرتضى.

نتيجة بحوث التيمم والمسابقة والإفك
أولاً - قصة المسابقة:

أ - ان ما روي عن مسابقة الرسول (ص) مع أم المؤمنين عائشة لا يفعله أي قائد جيش مع جيشه، فكيف يفعله الرسول الحكيم (ص)؟

ب - لا يتيسر تقدم الجيش بحيث لا يرون المسابقة بحال من الأحوال.

ج - كيف تروي المسابقة في حال سير الرسول (ص) وجيشه ليلاً ونهاراً بعد الشجار على ماء المربيسيع كما مر بنا.

ثانياً - قصة نزول آية التيمم:

رويت في سبب نزول حكم التيمم في الذكر الحكيم روايات متعددة كل واحدة تخبر عن نزول آية التيمم في واقعة خاصة، إحداها رواية أم المؤمنين عائشة انها قالت:

بعث رسول الله (ص) أسيد بن حضير في طلب قلادة لام المؤمنين كانت قد نسيتها في منزل نزلته، فحضرت الصلاة ولم يكن هناك ماء للوضوء فصلى بغير وضوء، فذكر ذلك لرسول الله (ص) فنزلت آية التيمم.

ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث بأن الرسول (ص) كان يقرأ آية التيم على كل واحد يخبره وقع الخطأ في النقل لأن كتابة الحديث كانت ممنوعة إلى سنة ١٤٣ هـ حين أمر أبو جعفر المنصور بكتابة الحديث (١) عدا سنتين مدة خلافة عمر بن عبد العزيز.

وأما ما روي عن أم المؤمنين عائشة بان الرسول (ص) في رجوعه من غزوة بني المصطلق أنزل جيشه ليلاً - في صحراء لإماء فيها وليس معهم ماء - في التماس عقدها، ولما أصبحوا كذلك ورسول الله واسع رأسه على فخذها مستسلماً للنوم، ولما استيقض أنزل الله عليه آية التيم فهي تناقض الواقع التاريخي كما ذكرناه، وتناقض روايتها في الصحاح من أنها كانت قد نسيت قلادتها في منزل وأرسل الرسول (ص) أسيد بن حضير في طلبها.

ثالثاً - شأن نزول آيات الإفك:

لقد ذكرنا جملة من التناقضات في ما روي عن أم المؤمنين عائشة في شأن نزول آيات الإفك ومخالفتها مع الواقع التاريخي وتناقض بعضها مع بعض، ونحن نرى كما ذكرنا انه لما وقع الشجار على ماء المرسيع وقال ابن أبي ما قال: وقال حسان: (ان الحلايب قد عزوا وقد كثروا) الأبيات، بادر الرسول (ص) بالرحيل واصمد بذلك النائرة. وفي سيره إلى المدينة نزلت سورة "المنافقون" فتقوى بذلك جهجهاه وعندما رجعوا إلى المدينة ضرب جهجهاه حسان بن ثابت، وارضاه الرسول (ص) وسعد بن عبادة بما أعطياه وعفا عن جهجهاه.

(١) راجع: تاريخ الاسلام للذهبي ج ٦ - ٥ في ذكره حوادث سنة ١٤٣ هـ وترجمة المنصور في تاريخ الخلفاء للسيوطى.

وفي السنة السابعة من الهجرة ارسل المقوقس صاحب الإسكندرية مارية وأختها سيرين ومعهما مابور شيخ كبير هدية، واتخذ مارية لنفسه يطأها بملك اليمين فولدت له إبراهيم في السنة الثامنة من الهجرة، ووهب سيرين لحسان فولدت له عبد الرحمن بن حسان. وكان رسول الله (ص) معجباً بأم إبراهيم فتقللت على نساء النبي (ص) وغرن عليها ولا مثل أم المؤمنين عائشة، فقال أهل الإفك: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره (١).

و - أيضاً - نرى أن آيات الإفك نزلت بمناسبة ما قاله أهل الإفك في شأن مارية وابن الرسول (ص) إبراهيم منها كما أوضحتناه سابقاً وبعد السنة الثامنة. وبناء على ما ذكرنا فإن اهداء الرسول (ص) سيرين إلى حسان - أيضاً - كان في السنة الثامنة، وليس كما جاء في ما روي عن أم المؤمنين عائشة، وإن تناقضات تلكم الروايات لا تنحصر بما ذكرناه وبحاجة إلى بحث مستفيض (٢).

وفي ما ذكرنا كفاية لمعرفة غاية الدعاية في إثبات حب النبي (ص) لام المؤمنين عائشة وإن كان في ذلك حط لكرامة النبي العظيم، ويا ليت تلكم الروايات لم ترو عن أم المؤمنين عائشة، وإن لله وإن إليه راجعون!!!

(١) راجع: قصة مارية في المجلد الأول من هذا الكتاب وما نقلناه هنا قبل نتيجة بحوث التيم والمسابقة والإفك.

(٢) مدر بحث مستفيض في تلكم الأحاديث بقلم الباحثة السيد جعفر مرتضى العاملي بعنوان (حديث الإفك) جدير بأهل العلم قراءته ويا ليته كبع جماع قلمه في مواطن كان إلا لم يعسر فيها قلبه.

د - ما روي عن أم المؤمنين عائشة في خبر وفاة الرسول (ص)

روايات أخبار ما كان قبل وفاة الرسول (ص)

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أن رسول الله (ص) كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: "أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟" حرصا على بيت عائشة (١).

وفي صحيح مسلم عن عائشة: كان رسول الله ليتفقد يقول: "أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟" استبطاء ليوم عائشة (٢).

وفي حديث آخر قالت: أول ما اشتكي رسول الله (ص) في بيت ميمونة

(١) صحيح - البخاري، كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي (ص)، ١ / ١٦٨، وكتاب النكاح، باب إذا استأذن الرجل نساه في أن يمرض في بيت بعضهن ٣ / ١٧٥، وكتاب الفضائل، باب فضل عائشة ٢ / ٢٠٥، وكتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣ - ٦٤، وكتاب الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي (ص) ٢ / ١٢٦

(٢) صحيح مسلم، باب فضائل عائشة، الحديث، ٨٤، ص ١٨٩٣، وكتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام ١ / ٣١٢، ومسند أحمد ٦ / ٢٢٨ - ٢٢٩ و ١١٧، ومسند أبو عوانة ٢ / ١١٤ - ١١٥.

فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها فاذن له.
وفي صحيح البخاري عنها قالت:

لما ثقل رسول الله (ص) واشتد به وجعه استأذن أزواجه فاذن له، فخرج وهو بين الرجلين تخطي رجلاه في الأرض عباس ابن عبد المطلب وبين رجل آخر.

وفي حديث آخر: وهو يخطي رجليه في الأرض، قال عبيد الله - وهو الراوي -: فحدثت به ابن عباس فقال: أتدرون من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ هو علي ولكن عائشة لاتطيب له نفسها (١).

وفي مسند أحمد (٢) قالت:

اشتكي فجعل ينفث فجعلنا نشبه نفثه نفث آكل الزبيب " و كان يدور على نسائه، فلما اشتكي شكواه استأذنها أن يكون في بيته عائشة ويدرن عليه، فاذن له فدخل رسول الله بين رجلين... الحديث.

وفي صحيح البخاري (٣) ان عائشة كانت تقول: من نعم الله علي ان رسول الله (ص) توفي في بيته وفي يومي وبين سحري ونحري (٤) وأن الله جمع بين ريقني

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ٢٢ (لم يسم الباب)، ٤ / ٩، ومسند أحمد ٦ / ٢٢٨.

(٢) مسند أحمد ٦ / ٣٨ و ٤٨ و ١٢١ و ٢٠٠ و ٢٧٤ روایات بين سحري ونحري، ومسند أبي عوانة ٢ / ١١٣.

(٣) صحيح البخاري لا كتاب المغازي، باب مرض النبي ٣ / ٦٤، وقرب منه في كتاب الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ٢ / ١٢٦، وصحيح مسلم، باب فضائل عائشة ٤ / ١٨٩٣، والمستدرك ٤ / ٧، ومنتخبه ٥ / ١١٩، ومسند أحمد ٦ / ٤٨ و ٢٠٠ وطبقات ابن سعد ٢ / ٢٦٢.

(٤) سحري وسحري: رئي والنحر: أعلى الكدر أو موضع القلادة.

وريقه عند موته، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله (ص) إلى صدره فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته فاشتد عليه وقلت: ألينه لك فأشار برأسه: أن نعم، فلبيته.... الحديث.

وفي حديث آخر (١) قالت: فاستن به استناناً فما رأيت رسول الله (ص) استن استناناً قط أحسن مما عدا أن فرغ رسول الله (ص) رفع يده وإصبعه ثم قال: الرفيق الأعلى ثلاثة، ثم قضى، وكانت تقول: مات ورأسه بين حاكتي وذاقني (٢)

وفي حديث آخر (٣) قالت: مات رسول الله (ص) بين سحري ونحري، وفي دولتي لم أظلم فيه أحداً، فمن سفهى وحداثة سني أن رسول الله (ص) قبض وهو في حجري ثم وضع رأسه على وسادة وقامت التدم (٤) مع النساء واضرب وجهي.

وقالت في حديث آخر (٥): مات رسول الله (ص) وانه لبين حاكتي وذاقني، فلا أكره شدة الموت لأحد ابداً بعد ما رأيت من رسول الله (ص).

وقالت (٦): بينما رسول الله (ص) ذات يوم على صدره وقد وضع رأسه على عاتقى إذ مال رأسه فظننت أنه يريد شيئاً من رأسي، وخرجت من فيه نطفة باردة فوقعت على ثغرة نحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه قد غشى عليه

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣.

(٢) الحاكنة: المعدة وما بين الترقوتين. الذاقنة: طرف الحلقوم الناتئ.

(٣) مسند أحمد ج ٦ / ٢٧٤ وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٢ و ٢٦١ قريراً منه.

(٤) التدمت المرأة: ضربت صدرها أو وجهها في النياحة.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣.

(٦) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٠.

فسجيته بثوب (١).

وقالت (٢): سمعت رسول الله (ص) قبل أن يتوفى وأنا مسندته إلى صدره ... الحديث.

وقالت (٣): قبض رسول الله (ص) ورأسه بين سحري ونحري، فلما خرجت نفسه لم أجد ريحًا قط أطيب منه.

وفي حديث آخر (٤) قالت: حضره القبض ورأسه على فخذ عائشة. وأخرج البخاري ومسلم وابن سعد والنسائي وأحمد عن الأسود قال: ذكر عند عائشة أن النبي (ص) أوصى إلى عليٍ فقالت: من قاله؟ وفي رواية: متى أوصى إليه؟ لقد رأيت النبي (ص) وأنا مسندته إلى صدره، أو قالت: حجري "فدعوا بالطست ليبول فيها فانحنث فات فما شعرت به، فكيف أوصى إلى علي؟ أو فمتى أوصى إلى علي؟ وما مات إلا بين سحري ونحري (٥) توفي وليس أحد عنده غيري (٦).

(١) الثغرة: نقرة النحر (بين الترقوتين) والترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعنق.
والنطفة: الماء الصافي.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ / ١٨٩٣ بسندٍ عن أبي أسامة وعروة.

(٣) مسند أحمد ج ٦ / ١٢٠ - ١٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣، وباب آخر ما تكلم به النبي (ص)، وكتاب الدعوات، باب دعاء النبي (ص) اللهم الرفيق الأعلى ٤ / ٧١، وباب من أحب لقاء الله من كتاب الرقاق ٤ / ٨٧، ومسند أحمد ٦ / ٨٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول النبي (ص) وصية الرجل مكتوبة عنده ٢ / ٨٤، وكتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٥، وصحيح مسلم، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء، ٣ / ١٢٥٧، وطبقات ابن سعد ٢ / ٦١ و ٦٢، ومسند أحمد ٦ / ٣٢.

(٦) سنن النسائي ج ٦ / ٢٤١.

وعنها قالت: لما قبض رسول الله (ص) اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله (ص) شيئاً ما نسيته قال: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه ادفوته في موضع فراشه (١). دراسة الروايات:

تناقض الروايات الآنفة رواية عباد عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: "إن من نعمة الله على أن نبي الله مات بين سحري ونحري، وفي بيتي وفي دولتي لم أظلم فيه أحداً" يدل على أن وفاة الرسول كانت قد صادفت يوم عائشة وعندما كان النبي (ص) في بيتها ونوبتها (٢).

وكذلك ما روی عروة عنها أنها قالت: "توفي رسول الله بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم فيه أحداً" (٣) بان معزى قولها في الحديثين: "لم أظلم فيه أحداً" ان ذلك لم يكن في يوم غيرها من أيام المؤمنين لتكون أم المؤمنين عائشة قد ظلمت صاحبة اليوم بأخذ نصيتها من رسول الله (ص)، ويفك ذلك رواية أبي ملیکة عنها أنها قالت: "توفي النبي (ص) في بيتي وفي ليلتي" (٤).

(١) كنز العمال ج ٧ / ١٦٣ - ١٦٤. مرآة الجنان لليافعي ج ١ / ٥٨ ط. بيروت الثانية.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٢.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٢.

(٤) مسند أحمد ج ٦ / ١٦٠ وقريب منه في المستدرك ج ٤ / ٦ و ٧.

روايات صلاة أبي بكر في مرض النبي (ص)
في صحيح مسلم (١) قالت: لما دخل رسول الله (ص) بيته قال: " مروا أبي بكر فليصل بالناس " قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبي بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر... فراجعته مرتين أو ثلاثة فقال: " ليصل بالناس أبو بكر فإنك صواحب يوسف ".
وفي حديث آخر (٢) قالت: وأنه إن قام في مصلاك بكى فمر عمر بن الخطاب فليصل للناس... الحديث.

وفي حديث آخر (٣) قالت: قال النبي (ص) في مرضه الذي مات: " مروا أبي بكر يصل بالناس " قلت: إن أبي بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، قال: " مروا أبي بكر يصل بالناس " فقلت لحفصة: قولي إن أبي بكر لا يسمع

(١) صحيح مسلم ج ١ / ٣١٣، كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام لعذر. وصحيح البخاري ج ١ / ٨٧ كتاب الأذان ج ١ / ٨٧، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٢٩ ومسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٤.

(٢) صحيح البخاري ج ١ / ٨٧ وج ٢ / ١٦١ باب أهل العلم والفضل أحق بالإمام من كتاب الصلاة باب لقد كان في يوسف وآخوه آيات للسائلين بتغيير يسير في الفاظه ومسند أحمد ج ٦ / ٢٧٠.

(٣) صحيح البخاري ج ١ / ٨٧ وباب إذا بكى الإمام ص ٩٣ منه وباب ما يكره من التعمق والتنازع من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ج ٤ / ١٧٣، وصحيح الترمذى في مناقب أبي بكر ج ٢ / ٤٥٥ ومسند أحمد ج ٦ / ٢٠٢ ومسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٧ وقريبا منه في ص ١١٥، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ق ١ / ١٢٧ ط أوربا باب ذكر الصلاة.

الناس من البكاء فلو أمرت عمر، فقال: " صواحب يوسف مروا أبي بكر يصلّي بالناس " فالتفت إلى حفصة، فقالت: لم أكن لأصيّب منك خيراً.
وقالت: لقد راجعت رسول الله (ص) في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، و كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبي بكر (١).

وفي مسنّد أحمد: فقال النبي (ص) - وهو في بيت ميمونة - لعبد الله: بن زمعة " مر الناس فليصلوا " فلقي عمر بن الخطاب، فقال: يا عمر صل بالناس، فصلّى بهم فسمع رسول الله (ص) صوته فعرفه وكان جهير الصوت، فقال رسول الله (ص): " أليس هذا صوت عمر " ، قالوا: بلى، قال: " يأبى الله عز وجل ذلك والمؤمنون، مروا أبي بكر فليصل " إلى قوله: انه رجل رقيق، وقول الرسول (ص): " إنك صواحب يوسف " (٢).

وفي حديث آخر عن عائشة قالت: لما مرض رسول الله (ص) مرضه الذي مات فيه جاء بلال يؤذنه بالصلوة فقال: مروا أبي بكر فليصل بالناس، إلى قوله: فإنك صواحب يوسف، فأرسلنا إلى أبي بكر فصلّى بالناس فوجد النبي (ص) من نفسه خفة فخرج يهادي بين رجلين... فلما أحس به أبو بكر ذهب يتأخر فرأوا مأة إليه النبي (ص) أن مكانك، فجاء النبي حتى جلس إلى جنب أبي بكر

(١) البخاري ٥ كتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣، وقريب منه في حديثها بصحيحة مسلم ١ / ٣١٣، ومسنّد أحمد ٦ / ٣٤ و ٢٢٩، ومسنّد أبي عوانة ١ / ١١٤، وطبعات ابن سعد ج ٢ / ٢١٧.
(٢) مسنّد أحمد ج ٦ / ٣٤.

وكان أبو بكر يأتى بالنبي (ص) والناس يأتون بأبي بكر (١). وفي حديث آخر قالت: إن رسول الله (ص) لما ثقل فقال: "أصلى الناس؟" فقلنا: لا، هم يتظرونك.... فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال:، (أصلى الناس؟" فقلنا: لا وهم يتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله (ص) إلى أبي بكر أن يصلى بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمر صل بالناس، فقال عمر: أنت أحق بذلك، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إن رسول الله وجد خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رأه أبو بكر ذهب ليتأخر فأوْمأَ إليه أن لا تتأخر وأمرهما فأجلساه إلى جنبه، فقال ابن عباس: سمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي (٢). وفي حديث آخر قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه فذهب ليتأخر فأوْمأَ إليه رسول الله (ص): ان قم كما أنت، فجاء رسول الله (ص) حتى قام عن يسار أبي بكر جالساً، فكان رسول الله (ص) يصلى بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر برسول الله (ص) والناس يقتدون بصلوة أبي بكر (٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حد المريض ان يشهد الجمعة ١ / ٨٥ و ٩٢، صحيح مسلم، باب استخلاف الامام ١ / ٩٢ و ٨٥، ومسند أحمد ج ٦ / ٢١٠ وقريب منه ما في ص ٢٢٤ منه، وسنن النسائي. باب الإمامة باب الامام يصلى قاعداً ٣ / ٩٩ - ١٠٠.

(٢) صحيح البخاري ج ١ / ٨٨ باب إنما جعل الامام ليؤتى به، وصحيح مسلم ج ٢ / ٢٠ باب استخلاف الامام، وسنن النسائي ج ١ / ١٣٤ باب الاتمام بالامام يصلى قاعداً، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٥١، والكتنر ج ٤ / ٥٩، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢١٨.

(٣) سنن النسائي ج ٢ / ١٠٠ كتاب الإمامة، باب الامام يصلى قاعداً، وقريب منه في مسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٥.

وفي حديث آخر قالت: فكان رسول الله (ص) بين يدي أبي بكر يصلي بالناس قاعداً وأبو بكر يصلي خلفه (١).

وفي حديث آخر قالت: فصلى أبو بكر وصلي النبي (ص) خلفه قاعداً (٢).

وفي آخر قالت: صلى رسول الله (ص) خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه (٣).

وفي حديث آخر قالت: إن أبي بكر صلى بالناس ورسول الله (ص) في الصف خلفه (٤).

دراسة الروايات:

نجد في أحاديث أم المؤمنين هذه بشأن صلاة أبي بكر اختلافاً شديداً في من كان الواسطة في أمر الصلاة، هل هي أم المؤمنين عائشة أو حفصة أو عبد الله بن زمعة أو بلال؟ ومن راجعت الرسول في عدم تعيين أبي بكر، أم المؤمنين عائشة أو حفصة؟ ومن المخاطب منهما بقوله: "إنك صويحبات يوسف"؟ وأنه هل ندب عبد الله بن زمعة عمر بن الخطاب للصلاحة فقال النبي (ص): "يأبي الله ذلك والمؤمنون" كما عرف صوته؟ أو ندبه أبو بكر فلم يقبل عمر أن يتقدم على أبي بكر؟ أو أنه لم ينده أحد للصلاحة أبداً؟ وإن النبي (ص) لما وجد خفة وذهب للصلاحة، هل جلس إلى جنب أبي بكر قاعداً واقتدى به أبو بكر قائماً وإن الناس

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٢٤٩ ومسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٢ - ١١٣.

(٢) مسند أحمد ٦ / ١٥٩ وسنن النسائي ج ٢ / ٧٩ كتاب الإمامة باب صلاة الإمام خلف رجل من رعيته.

(٣) مسند أحمد ٦ / ١٥٩ وسنن النسائي ج ٢ / ٧٩ كتاب الإمامة باب صلاة الإمام خلف رجل من رعيته.

(٤) مسند أحمد ٦ / ١٥٩ وسنن النسائي ج ٢ / ٧٩ كتاب الإمامة باب صلاة الإمام خلف رجل من رعيته.

اقتدوا بأبي بكر وأن النبي (ص) جلس خلف أبي بكر أو جلس في الصف وائتم
بأبي بكر؟!

كل هذا الاختلاف في أحاديث أم المؤمنين، أما غير أم المؤمنين فقد ذكر ابن أبي الحميد عن شيخه أن علياً كان يتهم أم المؤمنين عائشة أنها هي التي أمرت بلا مولى أبيهما أن يأمر أباً بكر بالصلوة، وأن الرسول (ص) لم يعين أحداً للصلوة وإن تلك الصلاة كانت صلاة الصبح، ولما أفاق الرسول (ص) وانتبه إلى ذلك خرج في آخر رمق يتهادى بين علي وفضيل بن العباس حتى قام في المحراب وصلى ثم رجع إلى بيته ومات في ارتفاع الضحى. وإن علياً كان يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ويقول: إن النبي (ص) لم يقل: "إنك صويحبات يوسف" إلا انكاراً لهذه الحال وغضباً منها، لأنها وحصة تبادرتا إلى تعين أبويهما، واستدركه النبي (ص) بخروجه وصرف أبي بكر عن المحراب.

روايات أراد النبي (ص) أن يكتب لأبي بكر
في صحيح مسلم عن عائشة قالت: قال لي رسول الله (ص) في مرضه:
"ادع لي أبا بكر وأحاجك حتى أكتب كتابا، فإني أحاف أن يتمنى متمن ويقول
قائل: أنا أولى، وأي أبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر" (١).

وفي مسنند أحمد عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله (ص) قال لعبد الرحمن
ابن أبي بكر: ائتنى بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر لا يختلف عليه، فلما ذهب
عبد الرحمن ليقوم قال: "أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك أبا بكر" (٢).
دراسة الروايات:

أرى غاية الدعاية في هذا الحديث إنما هي معالجة حديث القرطاس الذي
رواه عمر بن الخطاب (٣) حيث قال: كنا عند النبي (ص) وبيننا وبين النساء
حجاب، فقال رسول الله (ص): اغسلوني بسبع قرب وائتوني بصحيفة ودواء
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فقالت النسوة (٤): ائتوا رسول الله (ص)

(١) صحيح مسلم ج ٤ / ١٨٥٧ باب فضائل أبي بكر، ومسند أحمد ج ٦ / ١٤٤ و ٤٧
و ١٠٦، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٦ و ٣١٧ الحديث ٥٢٨٣ واللفظ لمسلم.

(٢) مسنند أحمد ج ٦ / ٤٧. قريب منه في صحيح البخاري.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤، ونهاية الإرب للنويري ج ١٨ / ٣٧٤ - ٣٧٥
ط. القاهرة ١٣٧٤ .٥

(٤) في إمتاع الأسماع ص ٥٤٦ بدل فقالت النسوة، وقالت زينب بنت جحش وصواتها.

بحاجته، قال عمر: فقلت: اسكنن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن عنقه، فقال رسول الله (ص): هن خير منكم!

وحدث ابن عباس (١) الذي قال: لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال النبي (ص): هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واحتضروا منهم من يقول: قدموا يكتب لكم رسول الله كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر، فكثر اللغو والاختلاف. فقال رسول الله: قوموا عنِّي، فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

فأرادت الدعاية أن تعين بحدث أم المؤمنين عائشة حديث القرطاس ومنعهم من كتابة حديث الرسول (ص).

في مسند أحمد بسنده عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي (ص) قالت: لما أرادوا غسل رسول الله (ص) اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما نرى كيف نصنع، أنجرد رسول الله (ص) كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا أرسل الله عليهم السنة حتى والله ما من القوم من رجل إلا ذقنه في صدره نائما، قالت: ثم كلامهم من ناحية البيت لا يدرؤن من هو فقال: اغسلوا النبي (ص) وعليه ثيابه، قالت: فشاروا إليه فغسلوا رسول الله (ص) وهو في قميصه يفاض

(١) راجع: أسناد الحديثين في عبد الله بن سبأ ج ١ / ٩٧ - ٩٩. ونستدرك عليه ما يأتي: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم ج ١ / ٢٢ - ٢٣، وكتاب الجهاد، باب يستشفع أهل الذمة ج ٢ / ١٢٠، وكتاب الخمس، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ج ٢ / ١٣٦، وباب مرض النبي من كتاب المغازي ج ٣ / ٦٢، ونهاية الإرب ج ١٨ / ٣٧٣، ومسند أحمد ج ١ / ٢٢٢ و ٢٢٤ - ٣٢٥ و ٣٣٦.

عليه الماء والسرير ويدللها الرجال بالقميص. وكانت تقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت ما غسل رسول الله (ص) إلا نساؤه (١).

وفي كنز العمال بسنده عن أم المؤمنين عائشة قالت: لما توفي رسول الله (ص) اشرأب النفاق وارتدت العرب وانحازت الأنصار، فلو نزل بالجبار الراسيات ما نزل بأبي لهاضها فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بفنائها وفصلها قالوا: أين يدفن رسول الله (ص)? فان وجدنا عند أحد علماء، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (ص) يقول: ما مننبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه. قالت: وانختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد من ذلك علماء، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة (٢).

* * *

كان ذلك ما روی عن أم المؤمنين عائشة في خبر وفاة الرسول (ص) وما يتبعه، وانكارها وصية الرسول (ص) للإمام علي.

وفي ما يأتي نقل بأذنه تعالى روایات غيرها في تلك الاخبار للمقارنة بين روایاتها وروایات غيرها.

مقارنة ما روی عن أم المؤمنين عائشة بروایات غيرها
أولاً - إخبار الرسول (ص) كيف يغسلونه ويدفونه:
في طبقات ابن سعد بسنده عن ابن مسعود أنه قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا
نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي ونفسه له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في

(١) مسنـدـ أـحـمـدـ جـ ٦ـ /ـ ٢٦٧ـ وـ طـ بـ قـاتـابـ ابنـ سـعـدـ جـ ٢ـ /ـ ٢٧٦ـ .

(٢) كـنـزـ العـمـالـ جـ ١٤ـ /ـ ١٣٠ـ طـ ٢ـ بـ حـيـدـرـ آـبـادـ .

بيت أمنا عائشة وتشدد لنا فقال: مرحبا بكم حياكم الله بالسلام رحمةكم الله حفظكم الله جبركم الله رزقكم الله رفعكم الله نفعكم الله أداكم الله وقاكم الله! أو صيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم أستخلفه عليكم وأحذركم الله، إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاه فإنه قال لي ولكم: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوها في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين).

وقال: (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) قلنا: يا رسول الله متى أجلك؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى وإلى سدرة المنتهى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المهني، قلنا: يا رسول الله من يغسلك؟ فقال: رجال من أهلي الأدنى فالأدنى. قلنا: يا رسول الله ففيكم نكفنا؟ فقال: في ثيابي هذه إن شئتم أو ثياب مصر أو في حلة يمانية. قال: قلنا: يا رسول الله من يصلني عليك؟ وبكينا وبكى فقال: مهلاً رحمةكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا أنتم غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري هذا على شفة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلني علي حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثم ادخلوا فوجاً فوجاً فصلوا علي وسلموا تسلیماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة، ولبيتدي بالصلة على رجال أهلي ثم نساوهم ثم أنتم بعد، واقرأوا السلام على من غاب من أصحابي واقرأوا السلام على من تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيمة! قلنا: يا رسول الله فمن يدخلك قبرك؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم (١).

(١) طبقات ابن سعد ط. بيروت ج ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧ باب ذكر ما أوصى به الرسول (ص) عند مرضه الذي مات فيه.

ثانياً - روايات وفاة الرسول (ص) في حجر الإمام علي ووصيته إياه:
 أ - في تاريخ ابن كثير بسنده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله قال في مرضه: "ادعوا لي أخي" فدعوا له أبا بكر فأعرض، عنه ثم قال: "ادعوا لي أخي" فدعوا له عمر فأعرض عنه، ثم قال: "ادعوا لي أخي" فدعوا له عثمان فأعرض عنه، ثم قال: "ادعوا لي أخي" فدعى له علي بن أبي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له: ما قال؟ قال: علمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب (١).

وفي رواية قال رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة: "ادعوا لي حبيبي" فدعوا له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه فقال: "ادعوا لي حبيبي" فدعوا له عمر فلما نظر إليه وضع رأسه ثم قال: "ادعوا لي حبيبي" فدعوا له عليا، فلما رأه أدخله معه في الثوب الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض (ص) (٢).
 ب - في مسنده أحمد والمستدرك عن أم سلمة قالت: والذي أحلف به، إن كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهدا برسول الله (ص) عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول: (جاء علي، جاء علي) مرارا فقلت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة قالت: فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول الله (ص) وجعل يسأله ويناجيه، ثم قبض رسول الله (ص) من يومه ذلك فكان علي أقرب الناس عهدا (٣).

 (١) تاريخ ابن كثير ج ٧ / ٣٥٩.

(٢) ذخائر العقبى ص ٧٢، وكفاية الطالب للكنجي ص ١٣٣ ومسنده أحمد ج ٦ / ٣٠.

(٣) مسنده أحمد ج ٦ / ٣٠٠ آخر جه الحاكم في المستدرك ج ٣ / ١٣٨ - ١٣٩ وقال: هذا

حديث صحيح الاستناد ولم يخرجاه، واعترف بصحته الذهبي في تلخيص المستدرك،

وآخر جه ابن عساكر في بابه أنه كان أقرب الناس عهدا برسول الله (ص) من ترجمة الإمام علي

ج ٣ / ١٦ - ١٧ بطرق متعددة، ومجمع الروايد لأبي بكر الهيثمي ١١٢ / ٩

ط. دار الكتاب بيروت، وكنز العمال ج ١٥ / ١٢٨ ط. الثانية بحيدر آباد، كتاب الفضائل،

باب فضائل علي بن أبي طالب، وتذكرة خواص الأمة لابن الجوزي بباب حديث النجوى،

والوصية عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل وخصائص النسائي.

ج - في طبقات ابن سعد في " ذكر من قال توفي رسول الله (ص) في حجر علي بن أبي طالب " بسنده عن حابر بن عبد الله الأنصاري ان كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (ص)? فقال عمر: سل عليا، قال: أين هو؟ قال: هو هنا، فسألة فقال علي: أسننته إلى صدر يفوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا عليه يبعثون، قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل عليا، قال: كنت أنا أغسله وكان عباس جالسا، وكان أسامة وشقران يختلفان إلى بالماء (١).

د - وبسنده عن الإمام علي قال: قال رسول الله (ص) في مرضه: " ادعوا لي أخي " ، قال: فدعني له علي فقال: ادن مني، فدنوت منه فاستند إلى، فلم يزل مستندا إلى وانه ليكلمني حتى إن بعض ريق النبي (ص) ليصيبني ثم نزل برسول الله (ص) وشقق في حجري، فصحت: يا عباس أدركتني فإني هالك! فجاء العباس فكان جهد هما جميرا ان أضجعاه (٢).

٥ - وفي كنز العمال عن علي قال: دخلت على النبي الله (ص) وهو مريض فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق والنبي (ص) نائم، فلما دخلت عليه قلت: أدنوا؟ فقال الرجل: ادن إلى ابن عمك فأنت أحق مني،

(١) طبقات ابن سعد وكنز العمال ج ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٣ وكنز العمال ج ٧ / ١٧٨ - ١٧٩ .

فدنوت منها، فقام الرجل وجلست مكانه ووضعت رأس النبي (ص) في حجري كما كان في حجر الرجل، فمكثت ساعة ثم إن النبي (ص) استيقظ فقال: أين الرجل الذي كان رأسه في حجره؟ فقلت: لما دخلت عليك دعاني ثم قال: ادن إلى ابن عمك فأنت أحق به مني ثم قام فجلست مكانه، قال: فهل تدرى من الرجل؟ قلت: لا بأبي وأمي قال: ذاك جبريل كان يحدثني حتى خف عني وجيء ونمته ورأسه في حجره (١).

و - وفي طبقات ابن سعد بسنده عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس: أرأيت رسول الله (ص) توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو مستند إلى صدر علي، قلت: فان عروة حدثني عن عائشة انها قالت: توفي رسول الله (ص) بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله (ص) وانه لمستند إلى صدر علي، وهو الذي غسله وأخي الفضل ابن عباس وأبي أبي ان يحضر وقال: ان رسول الله (ص) كان يأمرنا ان نستتر فكان عند الستر (٢). ز - في خطبة علي: وقد علمتم أنني لم أخالف رسول الله (ص) ولم أعصه في أمر قط، أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال وترعد فيها الفرائص، نحدة أكرمني الله بها فله الحمد.

ولقد قبض رسول الله (ص) وإن رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقبلاه الملائكة المقربون معى، وأيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على حقها إلا ما شاء الله (٣).

(١) كنز العمال ج ٧ / ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٣ في ذكر من قال توفي رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي والكتز ج ٧ / ١٧٩.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ط. الثانية، المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة.

وفي خطبة أخرى للامام: ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (ص) أنني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسه في المواطن التي تنكس فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها.

ولقد قبض رسول الله (ص) وإن رأسه لعلى صدره، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله (ص) والملائكة أعناني فضحت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حيا وميتا؟ فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق، وانهم لعلى مزلة الباطل، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولهم (١). *

بعد أن قارنا بين ما روي عن أم المؤمنين عائشة وما روي عن غيرها في مرض الرسول (ص) ووفاته، ندرس في ما يأتي باذنه تعالى ما روي عنها في انكارها تعين الرسول (ص) عليا وصيا من بعده: دراسة ما روي عن أم المؤمنين عائشة حول تعين الرسول (ص) عليا وصيا من بعده

اتفقت مضامين روایات غیر أم المؤمنین عائشة ان الرسول (ص) قبض ورأسه في حجر ابن عمه علي، أما ما روي عنها من أنها أنكرت وصية الرسول (ص) لابن عمه فإنه على فرض صحة وفاة الرسول (ص) بين حقيقة أم المؤمنين وذاقتها أو سحرها أو صدرها أو فخذها فان ذلك لا يلزم عدم

(١) نهج البلاغة ص ٢٢٤ الخطبة رقم ١٩٧ في طبعة صبحي الصالح.

وصيته إلى علي، بعد أن ورد باثباتها نصوص متعددة عنه، منها قول النبي (ص) في حديثه يوم الانذار، قال النبي (ص) لعلي: "هذا أخي ووصيي وخليفتني فيكم فاسمعوا له وأطعوا...". الحديث (١).

ومنها ما رواه سلمان قال: قلت: يا رسول الله إن لكلنبي وصيما فمن وصيك؟ فسكت عنى، فلما كان بعد رأني فقال: يا سلمان، فأسرعت إليه قلت: لبيك، قال: تعلم من وصي موسى؟ قلت: نعم يوشع بن نون، قال: لم؟ قلت: لأنك كان أعلمهم يومئذ، قال: فان وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب (٢).

* * *

(١) راجع: كنز العمال ج ١٢ / ٢٠٩ ومنتخبه ج ٥ / ٣٢ بمسند أحمد عن الطبراني.

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ / ١١٣ والطبراني في المعجم الكبير ج ٦ / ٢٢١.

الباب الثالث
ما روی من الحديث
عن أم المؤمنین عائشة وغيرها من الصحابة
في سیرة الرسول (ص)
أ - روایات استماع النبی (ص) للغناه و...!
ب - روایات الناس اعلم بأمور، دنیاهم و...!
ج - روایات نسیان النبی (ص) آی من
القرآن الکریم!
د - روایات من لعنه النبی (ص) و سبّه!

أولاً - روايات استماع النبي (ص) للغناء "معاذ الله" في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة: أن أبا بكر دخل عليها والنبي عندها يوم فطر أو أضحى، وعندما قيتنان تعنيان بما تقادفت الأنصار يوم بعاث، فقال أبو بكر: مزمار الشيطان، مرتين. فقال النبي (ص) دعهما يا أبا بكر. إن لكل قوم عيدا وإن عيدنا هذا اليوم (١).

ب - في صحيح البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة: أن أبا بكر دخل عليها وعندما جاريتان في أيام مني تدفكان وتضربان والنبي متغش بشوبه فانتهرا أبو بكر، فكشف النبي عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وتلك الأيام أيام مني (٢).

ج - في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة قالت: دخل علي رسول الله (ص) وعندما جاريتان تعنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهري وقال؟ مزمارة الشيطان عند النبي (ص)، فأقبل

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ص)، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة ٢ / ٢٢٥، وفي لفظ آخر في مسندي أحمد ج ٦ / ٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة الحبس وقول النبي (ص): يا بني أرفة ٢ / ١٧٩، وكتاب العيددين، باب إذا فاته العيد يصلى ركعتين ١ / ١٢٣، وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيددين، باب الرخصة في اللعب ٢ / ٦٠٨، ومسند أحمد ٦ / ٨٤.

عليه رسول الله (ص) فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا (١). وفي مسنـد أـحمد عن عـائـشـة قـالت: دـخـلـ عـلـيـنـاـ أـبـوـ بـكـرـ فـيـ يـوـمـ عـيـدـ وـعـنـدـنـاـ جـارـيـتـانـ تـذـكـرـانـ يـوـمـ بـعـاثـ يـوـمـ قـتـلـ فـيـهـ صـنـادـيـدـ الـأـوـسـ وـالـخـرـجـ، فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ: عـبـادـ اللـهـ أـمـزـمـورـ الشـيـطـانـ؟ عـبـادـ اللـهـ أـمـزـمـورـ الشـيـطـانـ؟ قـالـهـاـ ثـلـاثـاـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ): يـاـ أـبـاـ بـكـرـ اـنـ لـاـكـلـ قـوـمـ عـيـدـاـ وـانـ الـيـوـمـ عـيـدـنـاـ (٢).

المفردات:

تقاذـفـ الـأـنـصـارـ: تـشـاتـمـوـ بـهـ.

قيـيـتـانـ: الـقـيـنـةـ: غالـبـاـ تـسـعـمـلـ فـيـ الـمـغـنـيـةـ، وـفـيـ لـفـظـ بـعـضـ الـرـوـاـيـاتـ جـارـيـتـانـ.

تـدـفـقـانـ: تـضـرـبـانـ بـالـدـفـ، وـالـدـفـ آـلـةـ طـرـبـ يـنـقـرـ عـلـيـهـاـ.

المـزـمـارـ وـالـمـزـمـورـ: آـلـةـ منـ خـشـبـ أوـ مـعـدـنـ تـتـنـهـيـ قـصـبـتـهـاـ بـبـوقـ صـغـيرـ.

وـغـمـزـتـهـماـ: غـمـزـهـ بـالـعـيـنـ أوـ الـجـفـنـ أوـ الـحـاجـبـ: أـشـارـ إـلـيـهـ بـمـاـ يـرـيدـ.

بـعـاثـ: اـسـمـ حـصـنـ لـأـوـسـ، وـيـوـمـ بـعـاثـ يـوـمـ جـرـتـ فـيـهـ مـعـرـكـةـ بـيـنـ الـأـوـسـ وـالـخـرـجـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ اـنـتـصـرـ فـيـهـ الـأـوـسـ عـلـىـ الـخـرـجـ.

دـ -ـ فـيـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ إـنـ عـائـشـةـ قـالـتـ: وـالـلـهـ! لـقـدـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدراق يوم العيد ج ١ / ١١٨ - ١١٩، صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب ج ٢ / ٦٠٩، والسيرة الحلبية ج ١ / ٦٢ - ٦٢، وهامش ارشاد الساري ج ٤ / ١٩٥ - ١٩٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ / ٢٢٤.

(٢) مسنـد أـحمدـ جـ ٦ـ /ـ ١٣٤ـ وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ جـ ٢ـ /ـ ٦٠٩ـ كـتـابـ صـلـاـةـ الـعـيـدـيـنـ بـابـ الرـخـصـةـ فـيـ الـلـعـبـ، وـسـنـنـ اـبـنـ مـاجـةـ جـ ١ـ /ـ ٦١٢ـ كـتـابـ النـكـاـحـ بـابـ الـغـنـاءـ وـالـدـفـ.

الله (ص) يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله (ص)، ورسول الله (ص) يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي انصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حرية على اللهو (١).

٥ - في صحيح البخاري ومسلم: "ورأيت النبي (ص) يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فز جرهم عمر فقال النبي: دعهم! أما بني أرفة - يعني من الأمان - فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو (٢).

و - في صحيح البخاري ومسلم، وفي رواية أخرى: فإذا سألت النبي (ص) وإنما قال: أتشتهين تنظرین؟ قلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفة، حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي.

وفي رواية ثانية قالت: جاء حبش يزفون (٣). وفي رواية للعابين أود أني

(١) صحيح مسلم ج ٢ / ٦٠٩ كتاب صلاة العيدin باب الرخصة في اللعب، وهامش إرشاد الساري ج ٩ / ١٩٤، وصحيح البخاري ج ١ / ٦٣ كتاب الصلاة باب أصحاب الحراب في المسجد، ومستند أحمد ج ٦ / ٢٧٠ و ٢٤٧ و ٢٤٧ و ١٦٦. و (فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن): قال التووي: معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حباً بليغاً.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة الحبس وقول النبي (ص): يا بني أرفة ج ٢ / ١٧٩، وكتاب العيدin، باب إذا فاته العيد يصلى ركعتين ج ١ / ٢٣، وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدin، باب الرخصة في اللعب ج ٢ / ٦٠٨، حيث قال في نهاية الحديث: "... فاقدروا قدر الجارية العربية الحديثة السن" والعربية معناها المشتهية اللعب المحبة له.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العيدin، باب الحراب والدرق يوم العيد ج ١ / ١١٨، وبني أرفة لقب للحبشة. دونكم من ألفاظ الاغراء و معناه: عليكم بهذا اللعب الذي أنتم فيه. ويزفون: أي يرقصون.

أراهم...

ز - وفي رواية ثالثة أنها قالت: (مر رسول الله (ص) بالذين يدوكون بالمدية فقام عليهم و كنت انظر فيما بين اذنيه وهو يقول: خذوا يا بني أرفة! حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة، فجعلوا يقولون: أبو القاسم الطيب، فجاء عمر فاردعوا (١).

ح - في رواية رابعة: فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله (ص) فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه فقال لي: أما شبعت؟ أما شبعت؟ قالت: فجعلت أقول لا لأنظر منزلي عنده، إذ طلع عمر قال: فارفض الناس عنها، قالت: فقال رسول الله: إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر (٢).

ط - جاء عن أم المؤمنين عائشة في ذلك روايات أخرى غير ما ذكرناه.

ي - في صحيح البخاري عن أبي هريرة: إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال رسول الله (ص): دعهم يا عمر (٣).

ك - في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة قالت: كنت العب بالبنات في عهد النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١١٦ و ٢٣٣ و كنز العمال ج ١٩ / ١٦٢ - ١٦٣ و ١٥٣ الكتاب الثالث من حرف اللام ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج ٦ / ١٧٣ ويدوكون: داك القوم ونحوهم ماجوا واختلطوا.

(٢) صحيح الترمذى ج ١٣ / ١٤٨ كتاب المناقب باب مناقب عمر.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اللهو بالحراب ج ٢ / ١٠٣، وصحيح مسلم ج ٦١٠ .٢

رسول الله (ص) إذا دخل يتقمعن فيسرهن (١) إلى فيلعن معي (٢). وفي طبقات ابن سعد عن عائشة انه كن لها بنات تعني اللعب... الحديث. وفي رواية (٣) سأله منها الرسول: " ما هذا؟ " فقالت: خيل سليمان، فضحك.

وفي سنن الترمذى بسنده عن بريدة أنه قال: خرج رسول الله (ص) في بعض مغازيه، فلهم انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن رددك الله صالحًا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها (ص): إن كنت نذرت فاضرب وإلا فلا، فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله (ص): إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسا وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف (٤).

وفي مسند أحمد بسنده عن أم المؤمنين عائشة (٥) قالت: لعبت الحبشه عند النبي (ص) في المسجد فجئت انظر فجعل يطأطئ لي منكبيه لأنظر إليهم. وفي رواية أخرى انها قالت (٦): ان الحبشه كانوا يلعبون عند رسول (ص)

(١) يتقمعن: يتغشين في البيت، يسر بهن: يردهن في مجراهن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط ج ٤ / ٤٧، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ج ٤ / ٩١.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٤٢ و ٤٤ ط. أوربا، ومسند أحمد ج ٦ / ١٦٦ و ٢٣٣ - ٢٣٤ و سن أبي دارد ج ٤ / ٢٨٣ - ٢٨٤ كتاب الأدب.

(٤) سنن الترمذى، أبواب المناقب، باب مناقب عمر ١٤٧ / ١٣.

(٥) مسند أحمد ج ٦ / ٨٣.

(٦) مسند أحمد ج ٦ / ٥٦ - ٥٧.

في يوم عيد، قالت: فاطلعت من فوق عاتقه فطأطاً لي رسول (ص) منكبيه فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شعبت ثم انصرفت. وفي ثالثة إنها قالت: إن الحبشة لعبوا لرسول (ص) فدعاني فنظرت من فوق منكبيه حتى شعبت (١).

وفي رابعة إنها قالت: كان رسول الله (ص) في حجرتي يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة كيف يلعبون حتى أكون أنا أسم وأقدر والجارية الحديثة السن الحرية على الله (٢).

* * *

(١) مسنـد أـحمد ج ٦ / ٢٣٣

(٢) مسنـد أـحمد ج ٦ / ٨٥

روايات اشتراك الرسول (ص) في حفلة عرس تسقي العروس فيها الرجال والنساء

١ - في صحيح البخاري، قالت الربيع بنت معوذ بن عفراه: جاء النبي (ص) فدخل حين بنى علي فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جوبيات لنا يضربن بالدف ويندب من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفيما نبي يعلم ما في غد، فقال (ص): دعى هذه وقولي بالذى كنت تقولين (١).

٢ - في صحيح البخاري بسنده قال: دعا أبوأسيد الساعدي رسول الله (ص) في عرسه، وكانت امرأته يومئذ خادمهن وهي العروس، قال سهل: تدرون ما سقت رسول الله (ص)? أنقعت له تمرات من الليل فلما أكل سقته

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ضرب الدف ج ٣ / ١٦٧، وكتاب المغازى ج ٣ / ٨، وفي ترجمة الربيع بنت عفراه من طبقات ابن سعد ج ٨ / ٣٢٨ ط. أوربا، والإصابة ج ٤ / ٢٩٣، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الغناء والدف قريب منه ج ١ / ٦١١، وسنن أبي داود ج ٤ / ٢٨١ كتاب الأدب. قال ابن حجر: ثبت جواز خلوة رسول الله (ص) بالأجنبيه والنظر إليها فتح الباري ج ١١ / ١٠٨.

إياته (١).

٣ - في صحيح البخاري بسنده عن سهل قال: لما عرس أبوأسيد الساعدي دعا النبي (ص) وأصحابه، فما صنع لها طعاما ولاقربه إليهم إلا أمرأته أمأسيد، بلت تمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي (ص) من الطعام أماشه له فسقته، تتحفه بذلك (٢).

٤ - في صحيح البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة إنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي الله: يا عائشة ما كان معكم من لهو؟ فان الأنصار يعجبهم الله (٣).

وفي رواية بسنن ابن ماجة بسنده عن ابن عباس قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله (ص) فقال: أهديتم الفتاة؟ قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها من يعني؟ قالت: لا. فقال رسول الله (ص): إن الأنصار قوم فيهم غزل. فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم (٤).

٥ - في سنن ابن ماجة بسنده عن انس بن مالك: ان النبي (ص) مر ببعض

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة ج ٣ / ١٧٠، وباب النقيع والشراب الذي لا يسكر ٣ / ١٧١، وكتاب الأشربة، باب الاتباد في الأوعية والتور ج ٣ / ٢١٥، وباب نقيع التمر ما لم يسكر ج ٣ / ٢١٥، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إباحة النبيذ الذي لم يشتتد ج ٣ / ١٥٩٠. والتور: اناه يشرب فيه.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس ج ٣ / ١٧١، وسنن ابن ماجة، باب الوليمة، ج ١ / ٦١٦ قريب منه. واماشه، ماث الشئ: مرسه بيده حتى انحلت اجزاؤه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب النسوة اللاتي يهدبن المرأة إلى زوجها ٣ / ١٦٩.

(٤) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الغناء والدف ج ١ / ٦١٢. وغزل بالمرأة غزلا: حادثها وتؤدد إليها فهو غزل.

المدينة فإذا هو بجوار يضر بن بدفهن يتغنين ويقلن:
نحن جوار منبني النجار يا حبذا محمد من جار
فقال النبي (ص): الله يعلم إني لأحبكن (١).

خلاصة الروايات

أ - موجز الروايات:

ان رسول الله (ص) كان في يوم عيد أضحى في بيت أم المؤمنين عائشة وبمحضره تغنى جاريتان بما تقاولت الأوس والخزرج من اشعار في حرب بعاث، فدخل الصحابي أبو بكر وتأثم من انتشار صوت الغناء وزجر الجاريتين فغمز تهما أم المؤمنين عائشة فحرجتا.

ب - موجز روايات الرقص:

تعددت تعاير روايات اشتراك النبي (ص) وعائشة في مشاهدة رقص الحبشة في مسجد الرسول (ص).

منها ما فيها ان الرسول (ص) كان يسترها بردائه كي تنظر إلى لعب الحبشة، وان عمر تحرج من عملهم وزجرهم، ولكن الرسول (ص) لا يتأثم وقال لهم: دونكم بنى أرفة حتى تعلم اليهود والنصارى ان في ديننا فسحة.

وفي رواية: فجاء عمر فارتدعوا، وفي أخرى فطلع فتفرق الناس

والصبيان فقال رسول الله: رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر.

وفي رواية ان الرسول (ص) كان يسترها بردائه، وفي أخرى فقام عليهم و كنت انظر فيما بين اذنيه، وفي ثالثة كنت انظر بين اذنيه، وفي رابعة: فأقامني وراءه

(١) سنن ابن ماجة ج ١ / ٦١٢ كتاب النكاح باب الغناء والدف. وقريب منه في صحيح البخاري ج ٣ / ١٧١ كتاب النكاح باب (٧٦) ذهاب النساء والصبيان إلى العرس.

خدي على خده، وفي خامسة: انظر ما بين المنكبين إلى رأسه فجعل يقول: يا عائشة ما شبت؟ فأقول: لا! لأنظر منزلي عنده فلقد رأيته يراوح بين قدميه. ج - موجز روایات اشتراك النبي في حفلة عرس تسقى العروس فيها الرجال والنساء. في رواية ان الرسول جلس على فراش العروس وكانت جوبيات لهم يضربن بالدف ويندبن قتلى بدر، وفي ثانية ان العروس كانت تخدمهم وسقت رسول الله مع من سقت ماء التمر.

وان النبي (ص) قال لعائشة في زفة عرس للأنصار: ما كان معكم من لهو فان الأنصار يعجبهم اللهو. وفي أخرى قال لها: أرسلتم معها - العروس - من يغني؟ فان الأنصار قوم فيهم غزل.

وفي رواية: ان النبي مر بجوار من الأنصار يضربن بدهن يتغنين، فقال النبي (ص): الله يعلم اني لأحبكن.

دراسة روایات اشتراك النبي (ص) في اللهو:

لست أدرى هل أسس الرسول (ص) مسجده لإقامة الصلاة وأقراء القرآن ونشر تعاليم الاسلام وإدارة شؤون المسلمين أم أسسه ملهمي للرقص واللهو؟ ولست أدرى هل كانت أم المؤمنين عائشة أطول قامة من الرسول (ص) ليتيسر لها أن تضع خدها على خده أم ان الرسول (ص) طأطا هلا من قامته كل تلكم المدة وهو يراوح بين قدميه؟!

وكيف قالت: إنها كانت جارية حديثة السن؟ وفي ارشاد الساري (٨ / ١١٨): (ان ذلك كان بعد قدوم وفد الحبشة وان قدومهم كان سنة سبع ولعائشة يومئذ ست عشرة سنة فكانت بالغة).

وكيف يضع الرسول (ص) خده تحت خد عائشة بمرأى من المشاهدين

وهو يسّرها بردائه؟

وكيف تفرّ شياطين الإنس والجن من عمر ولا تفرّ من رسول الله (ص)؟.
وكيف خفّيت كل هذه المتناقضات على أصحاب الصلاح ودونوها في
كتب الصلاح والسنن؟!

وكيف خفي عليهم أنها تناقض قوله تعالى:

أ - في سورة لقمان: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله بغير علم ويتحذّها هزوا أولئك لهم عذاب مهين)؟ [الآية: ٦].
وقد سُئل ابن مسعود عن قوله: (لهو الحديث)، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو أنه الغناء، ثلث مرات. وبهذا فسر الآية ابن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار المفسّرين القدماء (١).

ب - في سورة الإسراء في خطاب الله جل جلاله لإبليس: (واستفرز من استطعت منهم بصوتك) [الآية: ١٦٤]. عن ابن عباس وغيره: الغناء والمزامير (٢).
وأيضاً تناقض ما روي:

أ - عن عائشة: عن رسول الله (ص) قال: إن الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعلّيمها والاستماع إليها.

ب - ما روي عن مجاهد قال: كنت مع ابن عمر، فسمع صوت طبل فأدخل إصبعيه في أذنيه، ثم تحنّى، حتى فعل ذلك ثلث مرات. ثم قال: هكذا

(١) راجع: تفسير الطبرى ج ٢١ / ٣٩ - ٤٠ ، وتفسير القرطبي ج ١٤ / ٥١ و ٥٢ و ٥٣ ، وتفسير ابن كثير ج ٣ / ٤٤١ - ٤٤٢ ، وتفسير الدر المنشور ج ٥ / ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١٥ / ٨١ ، وتفسير القرطبي ج ١٠ / ٢٨٨ ، وتفسير ابن كثير ج ٣ / ٤٩ ، وتفسير الألوسي ج ١٥ / ١١١ .

فعل رسول الله (ص) (١).

ج - عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين، فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: قراء أهل الجنة (٢).

د - عن علي مرفوعا: تمسخ طائفة من أمتي قردة، وطائفة خنازير، ويخسف بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم بأنهم شربوا الخمر ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، وضربوا الدفوف (٣).

٥ - عن أنس مرفوعا: بعثني الله رحمة وهدى للعالمين، وبعثني بمحق المعاذف والمزامير وأمر الجاهلية (٤).

* * *

(١) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الغناء والدف، ح ١٩٠١، ج ٦١٣، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كراهيّة الغناء والزمر ج ٤ / ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٤ / ٥٤.

(٣) الدر المنشور ج ٢ / ٣٢٤.

(٤) ن. م، ج ٢ / ٣٢٣.

ثانياً - روایات الناس اعلم بأمور دنیاهم من النبي (ص)
في صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ومسند أحمد واللطف للأول بسندهم عن
أنس بن مالك وأم المؤمنين عائشة: ان النبي (ص) مر بقوم يلقوهن فقال: لو لم
تفعلوا لصلاح، قال: فخرج شيئاً، فمر بهم فقال: ما نخلكم؟ قالوا: كذا وكذا،
قال: أنتم اعلم بأمر دنیاكم (١).

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن ابن ماجة واللطف للأول بسنده عن
طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله (ص) بقوم على رؤوس النخل. فقال: ما
يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلقوهن. يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح. فقال رسول
الله (ص): ما أظن يغنى ذلك شيئاً. قال فأخبروا بذلك فتركتوه. فأخبر رسول
الله (ص) بذلك فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فاني إنما ظنت ظناً، فلا
تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به. فإني لن أكذب على

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امثال ما قاله شرعاً، ح ١٣٩ - ١٤١،
ج ٤ / ١٨٣٦، دون ما ذكره (ص) من معايش الدنيا على سبيل الرأي ومسند أحمد
ج ١ / ١٦٢ وسنن ابن ماجة ج ٢ / ٨٢٥ ح ٢٤٧٠ - ٢٤٧١، كتاب الرهون، باب تلقيح
النخل.

ولقح: ادخل من طلع ذكر النخل في طلع الأنثى منه فتعلق والشيش: البسر الرديء الذي
إذا يبس صار حشفاً.

الله عز وجل (١)
دراسة الرواية:

كل من يسكن بلادا يزرع فيها النخل يعلم أن للنخل ذكراأثنى ويلقح طلع نخل الأثنى بطلع النخل الذكر لشمر، والا يصبح تمره شيئا لا يشتت نواه، وإذا جف تمره أصبح حشفا لا يصلح للطعام، فكيف خفي هذا الأمر على رسول الله (ص) وهو من سكان الجزيرة العربية، وأشهر أشجارها النخيل؟ وإذا كان الرسول (ص) لم يعلم ذلك كيف لم يخبره الأنصار في المدينة بذلك؟ والصحيح في الأمر ان الغاية من اسناد هذا الخبر إلى الرسول (ص) ليسند إليه أنه قال: (أنتم اعلم بأمر دنياكم) ويروى عنه ان غيره من البشر اعلم بأمور الدنيا من رسول الله (ص). ومغزى هذه الرواية والروايات الأخرى معها فصل أمور الدنيا عن أمور الدين، وفقا للمقوله المشهورة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله). وان يبطل جميع سنة الرسول (ص) في ما عدا العبادات!!

(١) صحيح مسلم / ٤ ، ١٨٣٥ ، ومسند أحمد / ١ ، ١٦٢ ، وسنن ابن ماجة / ٢ / ٨٢٥ .

ثالثا - روایات نسیان النبی (ص) آی من القرآن الکریم
فی صحیح البخاری و مسلم بسند ما عن ام المؤمنین عائشة قالت: کان
النبی (ص) یستمع قراءة رجل فی المسجد فقال: رحمة الله لقد أذکرني آیة کنت
نسیتها.

و فی لفظ آخر: یرحمة الله لقد أذکرني کذا و کذا آیة کنت قد أسقطتها من
سورة کذ و کذا. و فی لفظ البخاری: أنسیتها من سورة کذا و کذا (۱).
دراسة الروایة:

لست أدری کیف یقول الرسول (ص) ذلك؟ و قد جاء فی صحیح
البخاری و مسلم بسندھما عن ابن مسعود أنه قال: بئسما لأحدھم یقول: نسیت
آیة کیت و کیت، بل هو نسی، استذکروا القرآن فلھو أشد تفصیا من صدور
الرجال من النعم بعقولها (۲).

(۱) صحیح البخاری ج ۳ / ۱۵۵ باب نسیان القرآن من کتاب فضائل القرآن و صحیح مسلم
ج ۱ / ۵۴۳ من باب فضائل القرآن من کتاب صلاة المسافرین و قصرھا و مسند احمد
ج ۶ / ۱۲.

(۲) صحیح البخاری، کتاب فضائل القرآن، باب استذکار القرآن ج ۳ / ۱۵۵، و قریب منه
لفظ أبي موسى الأشعري و صحیح مسلم، کتاب صلاة المسافرین و قصرھا، باب فضائل
القرآن ج ۱ / ۴۵ و اللفظ له
و أشد تفصیا: أشد انفصالا و أشد تفلتا، و النعم: الإبل والبقر والغنم، و المراد هنا الإبل
خاصة لأنها التي تعقل.

وكيف نسي الرسول (ص) آيات من القرآن؟ وقد قال سبحانه:
أ - في سورة الاعلى: (سنقرئك فلا تنسى) [الآية: ٧].

ب - في سورة القيامة: (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه
وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه) [الآيات: ١٦ - ١٩].

ج - في سورة طه: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك
وحيه) [الآية: ١١٤].

وجاء في تفسير الآيات: كان النبي (ص) إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام
بالوحى يقرأه مخافة ان ينساه، فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى
يتكلم هو بأوله، فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً (١).

وكيف ينسى الرسول (ص) آيات من القرآن الكريم؟ وقد جاء في صحيح
البخاري وسنن ابن ماجة ومسند ابن حنبل عن فاطمة عليه السلام انها قالت: أسر إلي
النبي (ص) ان جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وانه عارضني العام مرتين ولا
أراه إلا حضور أجلبي (٢).

كيف ينسى الرسول (ص) آيات من القرآن الكريم وجبرائيل يعارضه
القرآن في كل سنة مرة؟؟

وكيف ينسى الرسول (ص) آيات القرآن الكريم وكان إذا نزل عليه شيء

(١) مجمع البيان ج ١٠ / ٤٧٥ وال Kashaf J ٤ / ٢٤٣ و تفسير الميزان ج ٢٠ / ٣٩٠ و راجع:
تفسير السيوطي ج ٤ / ٣٣٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن. باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي (ص)
ج ٣ / ١٥١ - ١٥٢، وسنن ابن ماجة، كتاب الصيام، باب ما جاء في الاعتكاف
ج ١ / ٥٦٢، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٨٢ وج ١ / ٤٠٥.

من القرآن يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا؟ وكان ذلك القرآن في بيته وأوصى ابن عمه علياً أن يجمعه بعد وفاته ففعل.

وكيف يسقط الرسول (ص) آيات من القرآن وكان كل صحابي يمارس الكتابة يكتب ما نزل من القرآن؟ فقد كان خباب بن الأرت يقرئ بمكة أخت عمر بن الخطاب وختنه القرآن (١) وكان عند أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وعبد الله بن مسعود وأبي وغيرهم مصاحف مكتوبة (٢).

(١) راجع: فصل من تاريخ القرآن في المجلد الأول من القرآن الكريم وروایات المدرستين.

(٢) راجع: فصل اختلاف المصاحف من المجلد الثاني من القرآن الكريم وروایات المدرستين.

رابعا - روایات من لعنه النبي (ص) و سببه
کان له رحمة و ظهورا

نورد روایات هذا الباب حسب سیاق مسلم في صحيحه (١) قال:
باب من لعنه النبي (ص) أو سببه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، کان له
زکاة وأجرا ورحمة.

وروی بسنده:

١ - عن عائشة قالت: دخل على رسول الله (ص) رجلان فكلماه بشيء
لا أدرى ما هو فأغضباها، فلعنهمما وسبهما. فلما خرجا قلت: يا رسول الله! من
أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان. قال: وما ذاك؟ قالت: قلت: لعنتهمما
وسببتهما. قال: أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر فأي
ال المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا.

وفي لفظ آخر: (فخلوا به، فسبهما ولعنهمما وأخر جهema...) الحديث.

٢ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): اللهم إنما أنا بشر، فأيما

(١) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٤ / ٢٠٠٧ - ٢٠١٠ كتاب البر والصلة باب من لعنه
النبي (ص) الحديث ٨٨ إلى ٩٧ من الباب. وفي مسند أحمد ٦ / ٤٥ وكنز العمال ٢ / ١٢٣.

رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة.

٣ - عن جابر، عن النبي (ص) مثله. إلا أن فيه: زكاة وأجرا.

قال المؤلف: مثله. أي مثل حديث أبي هريرة السابق.

٤ - عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول: اللهم فأيما عبد مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيمة.

٥ - عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم! إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفني، فأيما مؤمن سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له يوم القيمة.

٦ - عن جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: إنما أنا بشر وإنني اشترطت على ربِّي عز وجل، أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته، أن يكون ذلك له زكاة وأجرا.

٧ - عن أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم يتيمة وهي أم أنس (١). فرأى رسول الله (ص) اليتيمة. فقال: أنت هي (٢)؟ لقد كبرت لا كبر سنك، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنيّة؟ قالت الجارية: دعا عليّينبي الله (ص) أن لا يكبر سني، فالآن لا يكبر سني أبداً. أو قالت قرني (٣). فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها (٤) حتى لقيت رسول الله (ص)، فقال لها رسول الله (ص): ما لك يا أم سليم؟ فقالت: يانبي الله

(١) يعني أم سليم هي أم أنس.

(٢) (هي): بإسكان الهاء، وهي هاء السكت.

(٣) (قرني) قال القاضي: السن والقرن واحد. يقال سنه وقرنه، مماثله في العمر. فكأنه قال

لها: لا طال عمرك، لأنه إذا طال عمرها طال عمر أصل قرنها.

(٤) (تلوث خمارها): أي تدیره على رأسها.

أدعوت على يتيمني؟ قال: وما ذاك يا أم سليم؟ قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنه ولا يكبر قرنها. قال: فضحك رسول الله (ص) ثم قال: يا أم سليم! أما تعلمين أن شرطي على ربي أنني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشر، أرضي كما يرضي البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربها بها منه يوم القيمة.

٨ - عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله (ص) فتواترت خلف باب، قال: فجاء فحطاني حطأة (١) وقال: اذهب وادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل لا فقال: لا أشبع الله بطنه. وفي لفظ آخر: فجاء رسول الله (ص) فاختبأ منه. بالإضافة إلى ما رواه مسلم في هذا الباب في مسنده أ Ahmad.

٩ - عن عائشة قالت: إن امداد العرب كثروا على رسول الله (ص) حتى غموه، وقام إليه المهاجرون يفرجون عنه، حتى قام على عتبة عائشة فرهاقوه، فأسلم رداءه في أيديهم ووثب على العتبة فدخل وقال: اللهم عنهم، فقالت عائشة: يا رسول الله هلك القوم! فقال: كلا والله يا بنت أبي بكر، لقد اشترطت على ربي عز وجل شرطا لا خلف له، فقلت: إنما أنا بشر أضيق كما يضيق به البشر، فأي المؤمنين بدرت إليه مني بادرة فاجعلها له كفارة (٢).

وفي لفظ آخر: لقد اشترطت على ربي شرطا لا خلف له، فقلت: اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضبون، وأجد كما يجدون، فأي المسلمين ضربت أو سببت

(١) (فحطاني حطأة): فسر الراوي حطاني: أي قدمي، هو الضرب باليد مبسوطة، بين الكتفين.

(٢) مسنده أ Ahmad ج ٦ / ١٠٧ بسنده إلى عروة. وغمه: غطاه. أحزنه.

أو لعنت أو آذيت فاجعلها له مغفرة ورحمة وقربة تقربه بها يوم القيمة (١). وفي رواية أخرى: يا عائشة أما شعرت ما عاهدت عليه ربِّي فيما بيني وبينه؟ قلت: يا ربِّي بشر اغضب كما يغضب البشر، فأي المسلمين دعوت عليه فاجعله عليه صلاة (٢).

وفي رواية أخرى: أما علمت يا عائشة اني قلت لربِّي فيما بيني وبينه إنما أنا بشر اغضب فأي دعوة دعوت بها على غضب على أحد من أمتي أو أحد من أهل بيتي أو أحد من أزواجي فاجعلها له بركة ومغفرة ورحمة وظهورا (٣)؟

١٠ - عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) يرفع يديه يدعو حتى اسمع: اللهم إنما أنا بشر فلا تعاقبني بشتم رجل من المسلمين ان آذيته (٤).

١١ - عن عائشة (٥) قالت: دخل علي رسول الله (ص) في بيتي في أزار ورداء فاستقبل القبلة وبسط يديه وقال: اللهم إنما أنا بشر فأي عبد من عبادك ضربت أو آذيت فلا تعاقبني فيه.

وفي رواية (٦) أيمما رجل من المؤمنين آذيته وشتمته فلا تعاقبني فيه. وفي رواية يرفع يديه يدعو حتى لاسم له مما يرفعهما يدعو: اللهم فإنما أنا بشر فلا تعذبني بشتم رجل شتمته أو آذيته (٧).

١٢ - عن عائشة قالت: دخل علي النبي (ص) بأسير فلهوت عنه فذهب

(١) كنز العمال، الحديث ٣٤٨ / ٣، ٣٠٣٩ حم وابن عساكر عن عائشة.

(٢) كنز العمال، الباب الثاني في الأخلاق والأفعال المذمومة، ح ٣٤٩ / ٣، ٣٠٤١ .

(٣) كنز العمال، الباب الثاني في الأخلاق والأفعال المذمومة، ح ٣٤٧ / ٣، ٣٠٢٧ .

(٤) مسنند أحمد ٦ / ١٦٠ عن عكرمة.

(٥) مسنند أحمد ج ٦ / ١٣٣ و ١٨٠ .

(٦) مسنند أحمد ج ٦ / ٢٥٨ وراجع ٢٥١ .

(٧) مسنند أحمد ج ٦ / ٢٢٥ ، عن عكرمة، عن عائشة.

فجاء النبي (ص) فقال: ما فعل الأسير. قالت: لهوت عنه مع النسوة فخرج. فقال: ما لك قطع الله يدك أو يديك. فخرج فآذن به الناس فطلبوه فجاؤوا به فدخل على وأنا أقلب يدي فقل: ما لك أجنت؟ قلت: دعوت على فأنا أقلب يدي أنظر أيهما يقطعان فحمد الله وأثنى عليه ورفع يديه مدا وقال: اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فاجعله له زكاة وظهور (١).

دراسة الروايات:

لست أدرى كيف تصح هذه الروايات وقد قال الله سبحانه في نعمت رسوله (ص):

أ - في سورة القلم: (ن؟ * والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وان لك لأجرا غير ممنون * وانك لعلى خلق عظيم) [الآية: ١ - ٤].

ب - في سورة آل عمران: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفروا من حولك... [الآية: ١٥٩].

ج - في سورة التوبة: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [الآية: ١٢٨].

كيف تصح تلکم الروايات وقد قال رسول الله (ص): بعثت لأنتم حسن الأخلاق (٢).

وقال أنس: كان النبي (ص) أحسن الناس خلقا (٣).

(١) مسنند أحمد ج ٦ / ٥٢.

(٢) موطأ مالك، كتاب حسن الخلق ج ٢ / ٩٠٤، ومسند أحمد ج ٢ / ٣٨١، ومستدرك الحاكم ج ٢ / ٦١٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي ٤ / ٥٥، وصحیح مسلم، كتاب المساجد، باب جواز النافلة في الجماعة الحديث ١ / ٤٥٧، ٢٦٧، وباب استحباب تحنيك المولود الحديث ٣٠، وسن أبي داود، كتاب الأدب ٤ / ٢٤٦.

وَكَيْفَ تَصْحُّ تَلْكُمُ الرِّوَايَاتِ؟ وَجَاءَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ عِيَاضَ بْنَ حَمَادَ سَأَلَ النَّبِيَّ (ص) بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ فَقَالَ:

يَا نَبِيَّ اللَّهِ الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِيِّ مِنْ أَسْفَلِ مِنِّي يَشْتَمِنِي، أَفَأَنْتَصِرُ مِنْهُ؟
فَقَالَ (ص): الْمُسْتَبَانُ شَيْطَانٌ يَتَكَاذِبُ (١).

وَعَنْهُ أَيْضًا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ: إِنَّمَا الْمُسْتَبَينَ مَا قَالُوا عَلَى الْبَادِئِ
حَتَّى يَعْتَدِي الْمُظْلُومُ (٢).

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الْضَّحَّاكِ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ - أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ (ص) قَالَ: ... وَمَنْ لَعِنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَفِيلُهُ وَمَنْ قَدِفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ
كَفِيلُهُ (٣).

وَفِي حَدِيثِ أَبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا نَازَعَهُ الرِّيحُ رَدَأَهُ فَلَعِنَاهَا فَقَالَ
النَّبِيُّ (ص): لَا تَلْعُنُهَا... مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ (٤).
وَفِي حَدِيثِ أَبْنِ مُسْعُودٍ - وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ دَارِ لَعْنَوَةِ جَارِيَةٍ لَهُمْ تَأْخِرَتْ
فِي حَاجَتِهِمْ - أَنَّ النَّبِيَّ (ص) قَالَ: إِنَّ اللَّعْنَةَ إِلَى مَنْ وَجَهَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ أَصَابَتْ إِلَيْهِ

(١) مُسْنَدُ أَحْمَدَ ج٤ / ١٦٢ وَطَبِّقَاتُ أَبْنِ سَعْدٍ ج٧ / ٣٦ تَرْجِمَةُ عِيَاضٍ بْنِ مَعَادَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلِيمَانَ، وَكِتَابُ الْعَمَالِ ج٣ / ٣٤١ ط. حِيدَرُ آبَادُ الدَّكَنُ.

(٢) مُسْنَدُ أَحْمَدَ ج٢ / ٢٣٥ وَ٤٨٨ وَج٤ / ٤٥١ وَ٤٨٨ وَج٤ / ٢٦٢ وَ٢٦٦، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْبَرِّ، الْحَدِيثُ ٦٨، ج٤ / ٢٠٠٠، وَسَنَنُ أَبْنِ أَبِي دَاوُدَ ج٤ / ٢٧٤ كِتَابُ الْأَدْبَرِ بَابُ ٤٦، وَصَحِيحُ التَّرْمِذِيِّ، كِتَابُ الْبَرِّ بَابُ ٥١، ج٨ / ١٥١.

(٣) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، كِتَابُ الْأَدْبَرِ، بَابُ مَا يَنْهَا مِنَ السَّبَابِ وَاللَّعْنِ ٤ / ٣٩، وَمُسْنَدُ أَبِي عَوَانَةَ ج١ / ٤٤ - ٤٥ وَاللَّفْظُ لِلْبَخَارِيِّ.

(٤) أَنْجَرَهُ أَبُو دَاوُدُ فِي سَنَنِهِ، كِتَابُ الْأَدْبَرِ، بَابُ فِي الْلَّعْنِ ج٤ / ٢٧٨، وَكِتَابُ الْعَمَالِ ٢ / ٣٤٣.

سبيلا... وإلا... فيقال لها: ارجعني من حيث أتيت... الحديث (١).
وعن ابن مسعود أيضا قال رسول الله (ص): ليس المؤمن بطعن ولا بلعان
ولا بالفاحش البذئ (٢).

وعن أبي الدرداء، قال رسول الله (ص): لا يكون للعانون شفاء ولا
شهداء (٣).

وقال: أنهك أن تكون لعانا (٤).

وقال: لعن المؤمن كقتله (٥).

وقال: لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعانا (٦).

وقال: لا يجتمع أن يكونوا لعانيين صديقين (٧).

وتال: يا أبا بكر لعانيين وصديقين لا ورب الكعبة.

وفي حديث أم المؤمنين عائشة أنها كانت مع النبي (ص) فلعت بعيرا لها
فأمر به النبي (ص) أن يرد وقال: لا يصحبني شيء ملعون (٨).

(١) أخرجه أحمد في مستنه ج ١ / ٤٠٨ الحديث ٣٨٧٦ والكتنز ج ٣ / ٣٥١ وفيه عن عبد الله وأبي الدرداء مثله.

(٢) أخرجه أحمد في مستنه ج ١ / ٤٠٥ الحديث ٣٨٣٩ و قريب منه ثلات روايات في المستدرك ج ١ / ١٢ - ١٣.

(٣) سنن أبي داود ج ٤ / ٢٧٨ كتاب الأدب باب في اللعن والكتنز ج ٣ / ٣٥٠ ط. حيدر آباد ١٣٧٥ عن مسنده أحمد ومسلم والمستدرك ج ١ / ٤٨.

(٤) كنز العمال ج ٢ / ١٢٥ وج ٣ / ٣٥٠ ط. حيدر آباد ابن سعد عن جرموز الجهني عن عبد الله بن عامر وابن مسعود، وثبت بن الضحاك الأنباري.

(٥) كنز العمال ج ٣ / ٣٥٠ الخرائطي في مبادئ الأخلاق.

(٦) كنز العمال ج ٣ / ٣٥٠ عن مستدرك الحاكم عن ابن عمر.

(٧) كنز العمال ج ٣ / ٣٥٠ عن مستدرك الحاكم عن أبي هريرة عن عائشة.

(٨) مسنده أحمد ج ٦ / ٧٢ و ٢٥٧ - ٢٥٨ والكتنز ج ٣ / ٣٥١ عن أبي الجوزاء.

وفي رواية انها ركبت جملا فلعته، فقال لها: " لا ترکبیه " (١). وفي صحيح مسلم ان امرأة من الانصار لعنت ناقتها، فقال رسول الله (ص): حذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة (٢).
كيف كان النبي (ص) يضيق صدره فيلعن المؤمنين؟ وقد قال: سباب المسلم فسوق، وقال: من لعن مؤمنا فهو كقتله، وقال: من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة إلية.

كيف كان النبي (ص) يضيق صدره فيلعن هذا وذاك؟ وقد قالت عائشة: ما لعن رسول الله (ص) مسلما من لعنة تذكر، ولا انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله عز وجل، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، وما سئل شيئا قط فمنعه إلا أن يسأل مائما، فإنه كان أبعد الناس منه، ولا خير بين أمرین قط إلا اختار أيسر هما (٣).
وقالت: ما ضرب رسول الله (ص) خادما له قط ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقم منه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما، إلا أن يكون مائما فإن كان مائما كان أبعد الناس منه (٤).

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١٣٨ عن يحيى بن وثاب.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ / ٢٠٤ كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن لعن الدواب والكتن ج ٣ / ٣٥١ وسن الدارمي ج ٢ / ٢٨٨.

(٣) في مسند أحمد ج ٦ / ١٣٠ وطبقات ابن سعد ج ١ / ٢ / ٩١ ط. أوربا، واللّفظ لها. والمستدرك ج ٢ / ٦١٣ وصحيح البخاري ج ٢ / ١٨١ في باب صفة النبي من كتاب المناقب وج ٤ / ١١٥ باب إقامة الحدود وصحيح مسلم ج ٧ / ٨٠ باب مباعدته للآثام.

(٤) مسند أحمد ج ٦ / ٣٢ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١٦٢ و ١٨٢ و ٢٠٦ و ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٣٢ و ٢٦٢ و ٢٨١ و قريبا من الروايات الثلاث في الترمذى ج ٢ / ٥٢٦.

وفي صحيح البخاري عن عائشة: ان يهودا أتوا النبي (ص) فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال النبي (ص): مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش... الحديث (١).
ولا بد للنبي الذي يقول: بعثت لأتم مكارم الأخلاق أن يكون لينا عف اللسان ولو كان فطا غليظ القلب لانقضوا من حوله.

عجب أمر هذه الأحاديث التي تحط من قدر النبي العظيم (ص) وتزيل كل ثقة به وبلعنه ودعائه وحديشه! ويزود هذا العجب إذا ما راجعنا صحيح مسلم "باب من لعنه النبي أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة" فان مسلم قد فتح هذا الباب بحديث أم المؤمنين عائشة وقولها: دخل على رسول الله رجلان - إلى قولها - : إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة واجرا (٢). وختمه بحديث ابن عباس: أن الرسول أرسله إلى معاوية وقال له: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل ف قال: لا أشبع الله بطنه. اذن فهذا الدعاء من النبي على معاوية زكاة له واجر ورحمة وظهور لمعاوية وأبيه أبي سفيان حينما قال رسول الله (ص) فيه وهو يقود أباه أبي سفيان: لعن الله القائد والمقود، ويل لامتي من معاوية ذي الأشباء (٣).

(١) صحيح البخاري ج ٤ / ٣٨ كتاب الأدب باب لم يكن النبي (ص) فاحشا ولا متفحشا وراجع: ص ٣٩ منه باب ما ينهى من السباب واللعن و ج ٤ / ٦١ و ٦٧ كتاب الاستئذان باب كيف يرد على أهل المذمة عن أبي مليكة وعروة عن عائشة. والسام: الموت.

(٢) صحيح مسلم ج ٨ / ٢٤ - ٢٧ و تيسير الوصول ج ٣ / ٢٩٢.
(٣) اخرج ابن سعد في طبقاته بترجمة نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال دخلت مسجد رسول الله (ص) وأصحاب النبي (ص) يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، قلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية من قبيل هذا اخذ بيده أبيه ورسول الله (ص) على المنبر فخرجا من المسجد فقال رسول الله (ص) فيهما قولاً، ولم يصرح ابن سعد بقول رسول الله وإنما صرخ ابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر في الإصابة بترجمة عاصم الليثي حيث قال: روى عنه ابنه نصر أنه قال: دخلت مسجد النبي (ص) وأصحاب رسول الله يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، قلت: مم ذاك؟ قالوا: إن رسول الله كان يخطب آنفاً فقام رجل فأخذ بيده ثم خرجا، فقال رسول الله (ص): لعن الله القائد والمقود، ويل لهذه الأمة من فلان ذي الأشباء. ان ابن سعد ذكر اسم معاوية في الرواية ولم يذكر ما قاله الرسول صوناً لكرامة معاوية وأبي سفيان، وابن الأثير وابن حجر ذكرها قول الرسول (ص) ولم يذكرها اسم القائد والمقود. راجع: طبقات ابن سعد ج ٧ / ٧٨ وأسد الغابة ج ٣ / ٧٦ والإصابة ج ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ الترجمة ٤٣٥٥.

وما جاء من لعن النبي (ص) للحكم وما ولد، فيما أورده من حديث زكاة لهم وأجر ورحمة وظهور !!

ومنها ما رواه عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا اتى به النبي (ص) فدعاه، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزع ابن الوزع الملعون ابن الملعون (١).

وما رواه عمرو بن مرة الجهنمي قال: استأذن الحكم بن أبي العاص على النبي (ص) فعرف صوته فقال: أئذنوا له حية أو ولد حية عليه لعنة الله وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة -، ذوو مكر وخديعة يعظمون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق (٢).

وما جاء في حديث ابن عمر: بينما النبي (ص) يساره - يعني يسار عليا - إذ رفع رأسه كالفزع قال: فدع بسيفه الباب فقال لعلي: اذهب فقدك كما تقاد الشاة

(١) المستدرك ج ٤ / ٤٧٩ قال: وهذا حديث صحيح الاسناد.

(٢) المستدرك ج ٤ / ٤٨١ وقال: وهذا حديث صحيح الاسناد، والكتنز ج ١١ / ٣٤٩ كتاب الفتنه الباب الرابع ط. الهند، ومنتخبه ج ٥ / ٤٥٣ .

إلى حاليها، فإذا علي يدخل الحكم بن أبي العاص آخذا باذنه ولها زنمة حتى أوقفه بين يدي النبي (ص) فلعنه النبي (ص) ثلثا... الحديث (١).

وما روتها عائشة قالت: كان النبي (ص) في حجرته فسمع حسا فاستنكره، فذهبوا فنظروا فإذا الحكم كان يطلع على النبي (ص) فلعنه النبي (ص) وما في صلبه ونفاه عاما (٢).

وما رواه محمد بن كعب القرظي قال: أشهد لقد سمعت رسول الله (ص) يلعن الحكم وما ولد (٣).

وما ورد عن عبد الله بن الزبير قال: أشهد لسمعت من رسول الله (ص) يلعن الحكم وما ولد (٤).

وقال وهو يطوف بالكعبة: ورب هذه البنية للعن رسول الله (ص) الحكم وما ولد (٥).

وقال وهو على المنبر: ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام ان الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد (ص) (٦).

وما قاله الحسن لمروان حين قال مروان للحسن والحسين: أهل بيتك ملعونون، فغضب الحسن وقال: أقلت أهل بيتك ملعونون؟ فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه (ص) وأنت في صلب أبيك (٧).

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله (ص) من رد سبايا حنين إلى أهلها

(١) المستدرك ج ٤ / ٤٧٩ وقال: صحيح الاستناد، والكتن ج ١١ / ٣٥٢ ومنتخبه بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٤٥٣ . والزنمة: ما يقطع من اذن الشاة فيترك معلقا.

(٢) كنز العمال، كتاب الفتنة، الباب الرابع ج ١١ / ٣٥١ .

(٣) الكتن ج ١١ / ٣٥٤ ومنتخبه ج ٥ / ٤٥٤ بهامش مسند أحمد.

(٤) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٤٥٣ وكتن العمال ج ١١ / ٣٤٩ - ٣٥١ كتاب الفتنة الباب الرابع.

(٥) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٤٥٣ وكتن العمال ج ١١ / ٣٤٩ - ٣٥١ كتاب الفتنة الباب الرابع.

(٦) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٤٥٣ وكتن العمال ج ١١ / ٣٤٩ - ٣٥١ كتاب الفتنة الباب الرابع.

(٧) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٤٥٣ وكتن العمال ج ١١ / ٣٤٩ - ٣٥١ كتاب الفتنة الباب الرابع.

ركب، واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله! أقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم، حتى ألحوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه، فقال: ردوا علي ردائِي أيها الناس! فوالله إن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما لقيتموني بخيلا ولا جبنا ولا كذوبا... الحديث (١).

ولم نقل ما قلنا اعتباطا وإنما عرفنا ذلك مما قاله الذهبي (ت ٧٤٨) حيث قال: قلت: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص): اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة (٢).

وجاء بعده ابن كثير (ت ٧٧٤) وقال دونه: انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه. وهذا لفظ ابن كثير: عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله (ص) قد جاء، فقلت: ما جاء إلا إلى، فاختبأت على باب فجاءني فخطاني خطأة أو خطأتين ثم قال: اذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنه يأكل. فأتيت رسول الله (ص) فقلت: إنه يأكل، فقال: اذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنه يأكل، فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه. قال: فان شبع بعدها. وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه. أما في دنياه، فإنه لما صار إلى الشام أميراً كان يأكل في اليوم سبع مرات يحاء بقصعة فيها لم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحام، ومن الحلوي والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعياء، وهذه نعمة ومعدة يرحب فيها كل الملوك. وأما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله (ص) قال: اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ / ١٣٩ - ١٣٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨ - ٧٠١.

دعوت عليه، وليس لذلك أهلا، فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيمة. فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك (١). انتهى كلام ابن كثير.

وأراد بما قال: أن دعاء الرسول (ص) على معاوية دعاء له في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيما ذكره من مزية كثرة الأكل للملوك، وأما في الآخرة فاعتمد الأحاديث التي نسبت إلى رسول الله (ص) أنه كان يلعن المؤمنين - معاذ الله - ودعا أن يكون لهم زكاة وطهورا، وأن مسلما حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضوانا وتقربا إلى الله يوم القيمة.

ومما قاله ابن حجر الهيثمي في كتابه الصواعق المحرقة: ولعنته (ص) للحكم وابنه لا تضرهما لأنه (ص) تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الآخر: انه بشر يغضب كما يغضب البشر، وانه سأله ربه ان من سبه ولعنه، أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة (٢).

كان ذلك ما جاء في روايات مصادر مدرسة الخفاء من صفات الرسول (ص) وسلوكيه.

وفي ما يأتي نذكر ما جاء في مصادر مدرسة أهل البيت عن أئمة أهل البيت في صفات النبي (ص)، وأهل البيت أدرى بما فيه:

(١) البداية والنهاية ج ٨ / ١١٩ - ١٢٠.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧٩ ط. الأولى.

صفات النبي (ص) في روايات أهل البيت:

في معاني الأخبار للصدق عن ابن أبي هالة التميمي، عن الحسن بن علي (ع) وبطريق آخر عن الرضا، عن آبائه، عن علي بن الحسين، عن الحسن بن علي (ع). وبطريق آخر عن رجل من ولد أبي هالة، عن أبيه، عن الحسن بن علي (ع). قال: سألت خالي "هند بن أبي هالة" وكان وصافاً للنبي (ص)، وأنا أشتري أن يصف لي منه شيئاً لعلي أتعلق به. فقال:

كان رسول الله (ص) فحماً مفخماً، يتلألأً وجهه تلألأً القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشدب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيصته فرق، وإنما يحاوز شعره شحمة اذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سواغٍ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم. كث اللحية، سهل الخدين، ضليع القم، أشتب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنا متماسكاً، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يحرى كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك. أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزنددين، رحب الراحة، شن الكفين والقدمين. سائل الأطراف، سبط القصب، خمسان الأخمصين، مسيح القدمين، يبنو عنهم الماء، إذا زال زال قلعاً، يخطو تكتفاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت جميراً. خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من

نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يدر من لقيه بالسلام.

قال (ع): فقلت له: صف لي منطقه فقال: كان (ص) متواصل الأحزان دائم الفكر، له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه، يتكلم بحومع الكلام فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا، ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئا، غير أنه كان لا يذم ذواقا ولا يمدحه. ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعاطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، إذا أشار وأشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضرب براحته اليمني باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه. جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام (١).

قال الصدوق: إلى هنا رواية القاسم بن المنيع، عن إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد، والباقي رواية عبد الرحمن إلى آخره.

قال الحسن (ع): وكتمتها الحسين (ع) زمانا ثم حدثته به فوجدته قد سبقني إليه، فسألته عنه فوجدته قد سأله أباه عن مدخل النبي (ص) ومخرجه، ومجلسه، وشكله، فلم يدع منه شيئا.

قال الحسين (ع): سألت أبي عن مدخل رسول الله (ص)، فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فإذا آوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم جزء جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخل عنهم منه شيئا، وكان من سيرته في جزء الأمة ايثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشارغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم

(١) الغمام: السحاب، يقال: يفتر عن مثل حب الغمام: أي يكشف عن أسنان بيض كالبرد.

والأمة من مسألته عنهم وبإخبارهم بالذى ينبعى، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغونى حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يقدر على إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد عشرة، يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة.

قال: فسألته (ع)، عن مخرج رسول الله (ص) كيف كان يصنع فيه؟
فقال (ص): كان رسول الله (ص) يحزن لسانه إلا عما كان يعنى، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه. مععدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا ويميلوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة وموازرة.

قال: فسألته (ع) عن مجلسه، فقال: كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، لا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك. ويعطي كل جلساً نصيحة، ولا يحسب أحد من جلساته أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه صابر حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها أو ميسور من القول. قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أبا وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياة، وصدق وأمانة. ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه المحرم. ولا تنشى فلتاته (١)، متعادلين

(١) نهى الخبر: حديثه وأشاعه. و " لا تنشى فلتاته " : أي لا يحدث بما وقع في مجلسه من الهاجفات والزلات ولا تذاع بين الناس.

متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

فقلت: كيف كان سيرته في جلسائه؟ فقال (ع): كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا ضحاك ولا فحاش ولا عياب ولا مداح. يتغافل عما لا يشتهي فلا يؤيسي منه، ولا يخيب فيه مؤمليه. قد ترك نفسه من ثلات: النساء، والاكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلات: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساً كأن على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث. من تكلم أنصتوا له، حتى يفرغ. حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه، حتى أن كان أصحابه يستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه. ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته (ع) عن سكوت رسول الله (ص)، فقال (ع): كان سكوته على أربع: على الحلم، والحدر، والتقدير، والتفكير. فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس. وأما تفكره فيما يبقي ويفنى، وجمع له الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحدر في أربع: أحده بالمحسن ليقتدى به، وتركه القبيح ليتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمته، والقيام فيما جمع له خير الدنيا والآخرة (١). ***

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٦ / ١٤٨ - ١٥٣، ومعاني الأخبار ص ٧٩ - ٨٣ ط. إيران (وحيدی)، وعيون أخبار الرضا ج ٣١٦ / ١.

كان ذلك ما روي عن أئمة أهل البيت في سيرة الرسول (ص) وصفاته في مقابل ما روي عن أم المؤمنين عائشة فيهما.

وفي ما يأتي ندرس ما روي في سيرة الرسول (ص) عن أم المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة، ونرى أن تلك الروايات افترى عليهم روايتها.

الباب الرابع
ما افترى به على أم المؤمنين عائشة
وغيرها من الصحابة
أ - روایات بدء نزول الوحي
ب - روایات بدء الدعوة
ج - روایات أسطورة الغرانيق

أولاً - روایات بدء نزول الوحي
أ - عن أم المؤمنین عائشة:

في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد وتفاسير الطبری والقرطبی
وابن کثیر والسيوطی وسیرة ابن هشام وتاریخ الطبری واللّفظ للأول بسنده عن
عروة بن الزبیر، عن عائشة أم المؤمنین أنها قالت: أول ما بدئ به رسول
الله (ص) من الوحي الرؤیا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤیا إلا جاءت مثل
فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فیتحنت فيه - وهو التعبد في
الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة
فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال:
ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ.
قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال:
اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم
ربك الذي خلق * خلق الانسان من علقة * اقرأ وربك الأكرم) فرجع بها
رسول الله (ص) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خویلد رضي الله عنها،
قال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها
الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك
لتصل الرحمة وتحمل الكل وتکسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب

الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (ص): أو مخرجني هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نمراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي (١).

ب - عن ابن عباس:

في طبقات ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن النبي (ص) قال: يا خديجة إني أسمع صوتك وأرى ضوءك، وإنني أخشى أن يكون في جهنم، فقالت: لم يكن الله ليفعل بك ذلك يا بن عبد الله، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت له ذلك، فقال: إن يك صادقاً فهذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بيعث وأنا حي فسأعزرك وأنصرك

(١) صحيح البخاري ج ١ / ٣ و ج ١٤٥ / ٣ باب بدء الوحي ط. مصر سنة ١٣٢٧ .
وصحيح مسلم ط. بيروت دار احياء التراث العربي، افسيت على الطبعة الأولى، سنة ١٣١٣
١٣٧٦ - ١٩٥٦ م. ومسند أحمد ج ٦ / ٢٢٢ و ٢٣٢ - ٢٣٣ ط. مصر، سنة ١٣١٣
وتفسير الطبرى ج ٣٠ / ١٦١ ط. بولاق، سنة ١٣٩٢ . وتأريخ الطبرى ج ١ / ١٤٧ - ١٤٨
ط. أوربا وتفسير القرطبي ج ٢٠ / ١١٨ ط. مصر سنة ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م وتفسير ابن
كثير ج ٤ / ٥٢٧ ط. مصر وتفسير السيوطي ج ٦ / ٣٦٨ ط. مصر، سنة ١٣١٦

وأؤمن به (١).

وفي رواية ثانية بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس قال: فبينا رسول الله (ص) على ذلك وهو بأجياد، إذ رأى ملكاً واضعاً إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح: يا محمد، أنا جبريل، يا محمد، أنا جبريل، فذعر رسول الله (ص) من ذلك، وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء، فرجع سريعاً إلى خديجة فأخبرها خبره وقال: يا خديجة والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ولا الكهان، وإنني لأنخشى أن أكون كاهنا، قالت: كلا يا بن عم لا تقل ذلك، فإن الله لا يفعل ذلك بك أبداً، إنك لتصل الرحمة وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وإن خلقك لكريم، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهي أول مرة أته، فأخبرته ما أخبرها به رسول الله (ص) فقال ورقة: والله إن ابن عمك لصادق، وإن هذا لبدء نبوة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر، فمرى به أن لا يجعل في نفسه إلا خيراً (٢).

ج - عن عروة بن الزبير:

في طبقات ابن سعد بسنده عن عروة أن رسول الله (ص) قال: يا خديجة إنني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً، لقد خشيت أن أكون كاهنا، فقالت: إن الله لا يفعل بك ذلك يا بن عبد الله، إنك تصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتصل الرحمة (٣).

(١) طبقات ابن سعد ط. أوربا ج ١ / ١٢٩ - ١٣٠ وط. بيروت ١ / ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٢٩ - ١٣٠ ط. أوروبا.

(٣) طبقات ابن سعد، ط. أوروبا ١ / ١٢٩ - ١٣٠.

د - عن عبد الله بن شداد:

في تفسير الطبرى وتاريخه: عن عبد الله بن شداد قال: اتى جبريل محمدا (ص) فقال: يا محمد اقرأ، فقال: ما أقرأ؟ قال: فضمه، ثم قال: يا محمد، أقرأ، قال: ما أقرأ؟ قال: فضمه، ثم قال: يا محمد، اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علقة) حتى بلغ: (علم الانسان ما لم يعلم)، قال: فجاء إلى خديجة فقال: يا خديجة، ما أراني إلا قد عرض لي، قالت: كلا والله ما كان ربك يفعل ذلك بك، ما أتيت فاحشة قط، قال: فأنت خديجة ورقة بن نوفل فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صادقة إن زوجك لنبي، وليلقين من أمته شدة، ولئن أدركته لأومن به.

قال: ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة: ما أرى ربك إلا قد قلاك، قال: فأنزل الله عز وجل: (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قل) (١).

٥ - عبيد بن عمير الليثي:

نجد هذه الأخبار مجموعة في رواية قاص أهل مكة عبيد بن عمير الليثي كما رواه كل من ابن هشام والطبرى بسند هما عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد كيف كان بداء ما ابتدئ به رسول الله (ص) من النبوة حين جاء

(١) تفسير الطبرى، ط. بولاق ٣٠ / ١٦١ - ١٦٢: وتاريخ الطبرى ط. مصر ٢ / ٣٠٠
وط. أروبا؟ ١ / ١١٤٨ - ١١٤٩، وتفسير السيوطي ٦ / ٣٦٨ - ٣٦٩.

جبريل عليه السلام؟ فقال عبيد - وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس - : كان رسول الله (ص) يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحدث به قريش في الجاهلية - والتحنث: التبرر - وقال أبو طالب: وراق ليرقى في حراء ونازل

فكان رسول الله (ص) يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله (ص) جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك في شهر رمضان، خرج رسول الله (ص) إلى حراء - كما كان يخرج لجواره - معه أهله؟ حتى إذا كانت الليلة

التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله (ص): فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج، فيه كتاب، فيه كتاب، فقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ؟ فغتنى حتى ظنت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ماذا أقرأ؟ وما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود إلي بمثل ما صنع بي، قال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) إلى قوله: (علم الإنسان ما لم يعلم)، قال: فقرأته، قال: ثم انتهى، ثم انصرف عني وهببت من نومي، وكأنما كتب في قلبي كتاباً.

قال: ولم يكن من خلق الله أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أن أنظر إليهما، قال: قلت: إن الأبعد - يعني نفسه - لشاعر أو مجنون، لا تحدث بها عني قريش أبداً! لأعمدن إلى حلق من الجبل فلأطحرن نفسي منه فلأقتلنها فلأستريحن.

قال: فخرجت أريد ذلك، حتى إذا كنت في وسط من الجبل، سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى

السماء؟ فإذا جبرئيل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء، يقول: يا محمد، أنت رسول الله وانا جبرئيل. قال: فوقفت أنظر إليه، وشغلني ذلك عما أردت فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي، حتى بعثت خديجة رسالها في طلبي، حتى بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني. ثم انصر فعني وانصرفت راجعاً إلى أهلي، حتى أتيت خديجة فحسلت إلى فخذها مضيفاً (١) فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا إلىي. قال: قلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت: أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم! ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلة رحمك! وما ذاك يا بن عم! لعلك رأيت شيئاً؟ قال: فقلت لها: نعم. ثم حدثتها بالذى رأيت، فقالت: أبشر يا بن عم وأثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس، قدوس! والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس (٢) الأكبر - يعني بالناموس جبرئيل عليه السلام، الذي كان يأتي موسى - وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله (ص)، فأخبرته بقول ورقة، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم، فلما قضى رسول الله (ص)

(١) مضيفاً: أي ملتصقاً بها مائلاً إليها، أضفت إلى الرجل، إذا ملت نحوه ولصقت به.

(٢) أصل الناموس، هو صاحب سر الرجل في خيره وشره، فغير عن الملك الذي جاء بالوحى بذلك.

جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، وبدأ بالكعبة فطاف بها. فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت، فقال: يا بن أخي، أخبرني بما رأيت أو سمعت، فأخبره رسول الله (ص) فقال له ورقة: والذى نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى، ولتكذبه ولتؤذنه، ولتحر جنه، ولتقاتله، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصرا يعلمه. ثم أدنى رأسه فقبل يافوحة، ثم انصرف رسول الله (ص) إلى منزله.

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتا، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم. فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير، أنه حدث عن خديجة أنها قالت لرسول الله (ص) فيما يثبته فيما أكرمه الله به من نبوته: يا بن عم أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه، فقال رسول الله (ص) لخديجة: يا خديجة هذا

جبرئيل قد جاءني، فقالت: نعم، فقم يا بن عم، فاجلس على فخذلي اليسرى، فقام رسول الله (ص) فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاقعد على فخذلي اليمنى، فتحول رسول الله (ص) فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسرت، فألقت نهارها ورسول الله (ص) جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا بن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هو بشيطان (١).

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: وحدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت

(١) سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٥٣ - ٢٥٧. وتاريخ الطبرى ج ١ / ١١٤٩ - ١١٥٣ ط. أروبا.

الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنني قد سمعتها تقول: أدخلت رسول الله (ص) بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله (ص): إن هذا لملك، وما هو بشيطان.

تمحیص الروایات

لعل تضافر هذه الروایات في كتب الصحاح والسنن والتفسير والسيرة والتاريخ بمدرسة الخلفاء وتعارض بعضها البعض يكون سبباً لاطمئنان الباحثين إلى محتواها غير أنها تنهى لدى تمحیصها كالتالي بيانه:

دراسة السند:

أ - أم المؤمنين عائشة:

ان أم المؤمنين عائشة ولدت سنة (١٤ أو ١٥ أو ١٦) بعدبعثة (١).

ب - ابن عباس:

إن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات أو في السنة العاشرة بعدبعثة.

وان عكرمة متهم بالكذب عند علماء الرجال، وكان يروي الأحاديث الموضوعة عن ابن عباس (٢).

ج - عروة بن الزبير:

عروة بن الزبير، ولد في زمن حكومة عمر بن الخطاب وكان يحسب من التابعين ومن الطبقة الثانية (٣).

(١) ترجمتها بميزان الاعتدال ج ٣ / ٩٤.

(٢) ترجمة عكرمة في ميزان الاعتدال ج ٣ / ٩٣ - ٩٧.

(٣) ترجمته بتقريب التهذيب ج ٣ / ١٩.

د - عبد الله بن شداد الليثي:
و عبد الله بن شداد الليثي لا يعد من الصحابة، و ولد في زمن النبي (ص)
ولصغر سنه لم يدرك صحبة النبي (ص) وقتل في سنة (٨١) (٥).

ه - عبيد بن عمير الليثي قاص أهل مكة:
ولد في آخر حياة النبي، وكان عبد الله بن شداد لا يعده من أصحاب
النبي (٢) وعلى اي حال لم يدرك عصر الرسول (ص) بمكة ليخبر عنه.
و - إسماعيل بن أبي حكيم المزنبي خم أحدبني فضيل وقال عنه ابن مندة
لا أعرف له رؤية ولا صحة (٣)

ز - فاطمة بنت الحسين (ع):
في ذيل روایة عبید بن عمیر أسنّت الروایة مع تغيیر في اللفظ إلى فاطمة
بنت الحسين (ع) عن أم المؤمنین خدیجة، ومتى رأت جدة أبيها لتروی عنها ما
أسنّد إليها روایته؟
* * *

كان ذلك شأن اسناد تلکم الروایات. وفي ما يأتي نقارن بإذن الله تعالى
بين محتوى تلك الروایات وآی من الذکر الحکیم وروایات موثقة تصرح بان
الرسول (ص) كان علیما بأمر رسالته قبل ان ينزل الله الوحي إليه بواسطة
جبرائيل (ع). وكذلك الأخبار والکهنة في عصره كانوا ينتظرون بعثته ويشرون
معاصريهم بقرب مبعثه.

(١) أسد الغابة ج ٧ / ١٨٩.

(٢) تقریب التهذیب ج ١ / ٤٢٢.

(٣) راجع ترجمته في أسد الغابة والإصابة.

مقارنة محتوى الروايات

أولاً - آيات من الذكر الحكيم:

قال الله سبحانه:

أ - في سورة آل عمران:

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) [آل عمران: ٨١].

ب - في سورة الأعراف:

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهوا عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) [الأعراف: ١٥٧].

ج - في سورة الفتح:

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعوا سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع لغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) [الفتح: ٢٩].

د - في سورة الصاف:

(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبيانات قالوا هذا سحر مبين) [الآية: ٦].

ه - في سورة البقرة:

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) [الآية: ١٤٦].

و - في سورة الأنعام:

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) [الآية: ٢٠].

ز - في سورة الأحزاب:

(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا) [الآيات: ٤٥ - ٤٦].

ح - في سورة الجن:

(وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) [الآيات: ٨ - ٩].

ثانيا - روایات فيها تفسير للآيات السابقة:

أ - في تفسير الطبرى بسنده إلى الإمام علي عليه السلام أنه قال: لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لمن بعث وهو حي ليؤمن به ولينصرنه ويأمره فياخذ العهد على قومه ثم تلا: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتتكم من

كتاب و حكمة الآية (١).

ب - في تفسير الطبرى بسنده عن ابن عباس في الآية قال: ثم ذكر ما أخذ عليهم - يعني على أهل الكتاب وعلى أنبيائهم - من الميثاق بتصديقه - يعني بتصديق محمد (ص) - إذا جاءهم واقرارهم به على أنفسهم (٢).

ج - في تفسير الطبرى بسنده عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: (فان شهدوا) يقول: فاشهدوا على أممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم، فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم فأولئك هم الفاسقون هم العاصون في الكفر (٣).

د - في تفسير السيوطي بسنده عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله (ص) المدينة قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام: قد أنزل الله على نبيه: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فكيف يا عبد الله هذه المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، إذ رأيته مع الصبيان وأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ قال: إنه رسول الله حق من الله وقد نعثه الله في كتابنا ولا أدرى ما تصنع النساء، فقال له عمر: وفلك الله يا بن سلام. وأخرج الطبراني عن سلمان الفارسي قال: خرجت أبتغي الدين فوquette في الرهبان بقایا أهل الكتاب، قال الله تعالى: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فكانوا يقولون: هذا زمان نبي قد أطل يخرج من أرض العرب له علامات، من ذلك شامة مدورۃ بين كتفيه خاتم النبوة (٤).

(١) تفسير الطبرى ج ٣ / ٢٣٦ - ٢٣٧ و ٢٣٩ ، و تفسير القرطبي ج ٤ / ١٢٤ - ١٢٦ ، و تفسير ابن كثير ج ١ / ٣٧٨ .

(٢) تفسير الطبرى ج ٣ / ٢٣٦ - ٢٣٧ و ٢٣٩ ، و تفسير القرطبي ج ٤ / ١٢٤ - ١٢٦ ، و تفسير ابن كثير ج ١ / ٣٧٨ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) الدر المنشور ج ١ / ١٤٧ و تفسير القرطبي ج ٢ / ١٦٢ - ١٦٣ .

٥ - في تفسير السيوطي بسنده عن ابن عباس قال: كتب رسول الله (ص) إلى يهود خير: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه المصدق لما جاء به موسى، ألا ان الله قد قال لكم: يا معاشر أهل التوراة وانكم تحدون ذلك في كتابكم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) إلى آخر السورة (١).

و - في صحيح البخاري وسنن الدارمي ومسند أحمد وطبقات ابن سعد وتفسير الطبرى بسندهم عن عطاء بن يسار قال: لقيمت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: اخبرنى عن صفة رسول الله (ص) قال: أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفتة في القرآن: يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمينين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتكفل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يحزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا اله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا (٢).

ز - في تفسير الطبرى بسنده عن ابن عباس في قوله: (ويحرم عليهم الخبائث، قال: كل حم الخنزير والربا وما كانوا يستحلون من المحرمات من المأكل التي حرمتها الله. وفي قوله: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال إلى كانت عليهم) قال: هو ما كان أخذ الله عليهم من الميثاق فيما حرم عليهم (٣).

(١) الدر المنشور ٦ / ٨٢ - ٨٣.

(٢) تفسير سورة الفتح من كتاب التفسير في صحيح البخاري ج ٣ / ١٨٩ - ١٩٠ وج ٢ / ١٤ كتاب البيوع باب ٥٠ وسنن الدارمي ج ١ / ٤ ومسند أحمد ج ٢ / ١٧٤ وتفسير الطبرى ج ٩ / ٥٧.

(٣) تفسير الطبرى ج ٩ / ٥٧ - ٥٨.

ح - من طبقات ابن سعد وسنن الدارمي: عن عبد الله بن سلام قال: صفة رسول الله (ص) في التوراة: يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتكبّل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يحزنني بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح علينا عمياناً وآذاناً صماء وقلوبنا غلفاً (١).

ط - في الدر المنشور: أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة، وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): صفتني: أحمد المتكبّل، مولده بمكة ومهاجرته إلى طيبة، ليس بفظ ولا غليظ، يحزنني بالحسنة الحسنة ولا يكفي بالسيئة، أمته الحمادون، يأترون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم، أنا جيلهم في صدورهم، يصفون للصلة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقرّبون به إلى دمائهم، رهبان بالليل ليوّث النهار (٢).

ي - في مستدرك الحاكم وتلخيصه عن أم المؤمنين عائشة: إن رسول الله (ص) مكتوب في الإنجيل: لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يحزنني بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح (٣).

ك - في طبقات ابن سعد بسنده عن سهل مولى عتبة قال: قرأت في الإنجيل نعت محمد (ص) أنه لا قصير ولا طويل، أبیض، ذو ضفيرين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة،

(١) طبقات ابن سعد ج ١ / ٣٦٠، وسنن الدارمي ج ١ / ٤.

(٢) الدر المنشور للسيوطى ج ٣ / ١٣٢.

(٣) مستدرك الحاكم ج ٢ / ٦١٤ وطبقات ابن سعد ج ١ / ٣٦٣ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧٢.

ويليس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد بريء من الكبر، وهو يفعل ذلك وهو من ذرية إسماعيل عليه السلام اسمه أَحْمَد (١).

لـ - في سنن الدارمي بسنده عن كعب قال: في السطر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار، لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام. وفي السطر الثاني: محمد رسول الله، أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء، يحمدون الله في كل منزلة ويكترون على كل شرف، رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كنasse، ويأتزرون على أوساطتهم، ويوضئون أطرافهم، وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل (٢).

مـ - وأخرج ابن سعد والدارمي وابن عساكر عن أبي فروة عن ابن عباس أنه سأله كعب الأحبار: كيف قد نعت رسول الله (ص) في التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد بن عبد الله، يولد بمكة ويهاجر إلى طيبة ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق، ولا يكافي بالسيئة السيئة لكن يعفو ويغفر، أمته الحامدون يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكترون الله على كل نجد. يوضئون أطرافهم، ويأتزرون في أوساطتهم، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، دويمهم في مساجدهم كدوبي النحل يسمع مناديهم في جو السماء (٣).

نـ - وأخرج البيهقي في دلائل النبوة والسيوطى في الدر المنشور عن أم الدرداء قالت: قلت لـ كعب: كيف تجدون صفة رسول الله (ص) في التوراة؟ قال:

(١) طبقات ابن سعد ج ١ / ٣٦٣.

(٢) سنن الدارمي ١ / ٥ - ٦.

(٣) طبقات ابن سعد ١ / ٦٣٠، وسنن الدارمي ١ / ٦، ومحضر تاريخ دمشق في ترجمة كعب الأحبار ٢١ / ١٨٣.

نحده موصوفاً فيها: محمد رسول الله، اسمه المتكأ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، وأعطي المفاتيح ليصر الله به أعيناً عوراً، ويسمع به آذاناً صماً، ويقيم به ألسنة موجحة، حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعين المظلوم ويمنعه من أن يستضعف (١).

أنت - في طبقات ابن سعد: عن كصب قال: إن أبي كان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى، وكان لم يدخل عني شيئاً مما كان يعلم، فلما حضره الموت دعاني فقال لي: يابني إنك قد علمت أنني لم أدخل عنك شيئاً مما كنت أعلمك، إلا أنني قد حبسك عنك ورقتين فيهمانبي يبعث قد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيئه، وقد جعلتهم في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما فلا تعرضن لهما ولا تنظرن فيهما حينك هذا، فإن الله إن يرد بك خيراً ويخرج ذلك النبي تتبعه، ثم إن مات فدفناه فلم يكن شيء أحب إلي من أن أنظر في الورقتين، ففتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: محمد رسول الله خاتم النبيين لانبي بعده، مولده بمكة ومهاجرته بطيبة، لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ويحزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال، تذلل أستهم بالتكبير وينصر نبيهم على كل من نواه، يغسلون فروجهم ويأتزرون على أوساطهم، أناجيهم في صدورهم، وتراحمهم بينهم تراحم بنى الأمة، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيمة من الأمم. فمكثت ما شاء الله ثم بلغني أن النبي (ص) قد خرج بمكة فاخرت حتى استثبت، ثم بلغني أنه توفي وان خليفته قد قام مقامه وجاءتنا جنوده فقلت: لا أدخل في هذا الدين حتى أنظر سيرتهم وأعمالهم، فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأستثبت، حتى قدمت علينا عمال عمر بن الخطاب، فلما رأيت وفائهم بالعهد وما

(١) دلائل النبوة للبيهقي ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠، والدر المنشور للسيوطى ٣ / ١٣٢.

صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر، فوالله أني لذات ليلة فوق سطحي فإذا رجل من المسلمين يتلو قول الله: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلناه مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمسم وجوها) الآية فلما سمعت هذه الآية خشيت أن لا أصبح حتى يحول وجهي في قفافي فما كان شئ أحب إلي من الصباح فغدوت على المسلمين (١).

ما جرى قبل ميلاد الرسول (ص) نتيجة لتلك البشارات
أ - في طبقات ابن سعد:

ان تبعاً لما قدم المدينة ونزل بقناة فبعث إلى أخبار اليهود فقال: إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين العرب، قال: فقال له سامول اليهودي، وهو يومئذ أعلمهم: أيها الملك إن هذا بلد يكون إليه مهاجرنبي من بني إسماعيل مولده مكة اسمه أحمد، وهذه دار هجرته، إن منزلك هذا الذي أنت به يكون به من القتلى والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم، قال تبع: ومن يقاتله يومئذ وهونبي كما تزعمون؟ قال: يسير إليه قومه فيقتلون هنا، قال: فأين قبره؟ قال: بهذا البلد، قال: فإذا قوتل لمن تكون الدبرة؟ قال: تكون عليه مرة وله مرة، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه، ويقتل به أصحابه مقتلة لم يقتلوا في موطن، ثم تكون العاقبة له، ويظهر فلا ينزعه هذا الأمر أحد، قال: وما صفتة؟ قال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يركب البعير، ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى أخاً أو ابن عم أو عما حتى يظهر أمره، قال تبع: ما إلى هذا البلد من سبيل، وما كان

(١) طبقات ابن سعد ج ١ / ٣٦٠ إلى: وأمته الحمادون وسنن الدارمي ج ١ / ٦.

ليكون خرابها على يدي، فخرج تبع منصراً إلى اليمن (١).

ب - في دلائل النبوة لأبي نعيم:

انه قدم رسول الله (ص) المدينة وأبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان ابن ضبيعة بن زيد كان قد ترهب وليس المسوح، وكان يقال له الراهب، وكان قد أدرك وسمع.

وفي رواية عمرو بن محمد: ما كان في الأوس والخزرج رجل واحد أوصف لرسول الله (ص) منه، كان يألف اليهود، ويسألهم عن الدين، ويخبرونه بصفة رسول الله (ص)، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى، فأخبروه بصفة النبي (ص)، فرجع أبو عامر وهو يقول: أنا على دين إبراهيم الهنيفي، فأقام متربها وزعم أنه ينتظر خروج النبي (ص)، فلما ظهر رسول الله (ص) بمكة لم يخرج إليه، وأقام على ما كان عليه، فأتى رسول الله (ص) حين قدم المدينة فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال: جئت بالحنفية دين إبراهيم، قال: فأنا عليها، قال رسول الله (ص): إنك لست عليها، قال: بلى، أدخلت يا محمد في الحنفية ما ليس فيها، قال: ما فعلت، ولكنني جئت بها بيضاء نقية.

قال أبو عامر: الكاذب أمهاته الله طريداً غريباً وحيداً - يرض برسول الله (ص) - إنك جئت كذلك؟ قال رسول الله (ص): أجل فمن كذب فعل الله ذلك به، فكان هو عدو الله، خرج إلى مكة، فلما افتح رسول الله (ص) مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات طريداً غريباً وحيداً (٢).

ج - في دلائل النبوة لأبي نعيم:

بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت أبي مالك بن سنان يقول: جئت

(١) طبقات ابن سعد، ط. بيروت ج ١ / ١٥٩.

(٢) دلائل النبوة للأبي نعيم ص ٨٠ - ٨١ ح ٤٢.

بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم، ونحن يومئذ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظل خروج النبي يقال له أَحْمَدَ، يخرج من الحرم، فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي كالمستهزئ به: ما صفتَه؟ قال: رجل ليس بقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة ويركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مهاجره، قال: فخرجت إلى قوميبني خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما قال، فأسمع رجلاً يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟! كل يهود يشرب يقول هذا، قال أبي مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت ببني قريظة، فأجد جمعاً، فتذاكروا النبي (ص)، فقال الزبير بن باطاً: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا بخروج النبي وظهوره، ولم يبق أحد إلا أَحْمَدَ، وهذه مهاجره، قال أبو سعيد: فلما قدم رسول الله (ص) المدينة أخبره أبي هذا الخبر، فقال رسول الله (ص): لو أسلم الزبير وذووه - من رؤسائهم - كلهم له تبع (١).

د - في طبقات ابن سعد:

بسنده عن عامر بن ربيعة ان زيد بن عمرو بن نفيل كان يقول: أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم منبني عبد المطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أو من به وأصدقه وأشهد أنهنبي، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك، قلت: هلم! قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليس تفارق عينيه حمرة، وختام النبوة بين كتفيه، واسميه أَحْمَدَ، وهذا البلد مولده وموته، ثم يخرجه قومه منه ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يشرب فيظهر أمره، فإذاك أن تخدع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من أسأل من اليهود والنصارى

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧٩ - ٨٠ ح ٤٠.

والمجوس يقولون: هذا الدين وراءك، وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون: لم يبقنبي غيره، قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله (ص) قول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام، فرد عليه السلام وترحم عليه وقال: قد رأيته في الجنةيسحب ذيولا (١).

٥ - في طبقات ابن سعد:

ان زيد بن عمرو بن نفيل قال: شامت النصرانية واليهودية فكرهتهما، فكنت بالشام وما والاه حتى أتيت راهبا في صومعة، فوافت عليه، فذكرت له اغترابي عن قومي وكراحتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية، فقال لي: أراك تريد دين إبراهيم! يا أخا أهل مكة إنك لتطلب دينا ما يؤخذ اليوم به، وهو دين أبيك إبراهيم، كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، كان يصلى ويسجد إلى هذا البيت الذي ببلادك، فالحق بيلاك، فإن نبيا يبعث من قومك في بلدك يأتي بدين إبراهيم بالحنيفية، وهو أكرم الخلق على الله (٢).

و - في مستدرك الحاكم بسنده عن نافع بن جبير أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أنا محمد وأحمد والمتفاني والحاشر والخاتم والماعاقب (٣). وكان الشائع على لسان أهل الكتاب أن اسمه احمد ومحمد، ولذلك سمى بعض العرب بنיהם بمحمد رجاء أن يكون هو الرسول المبشر به كما أخبر عن ذلك ابن سعد في طبقاته وقال:

(١) طبقات ابن سعد ١ / ١٦١ - ١٦٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٦٢.

(٣) مستدرك الحاكم ج ٢ / ٦٠٤.

ذكر من تسمى في الجاهلية بمحمد رجاء أن تدركه النبوة
كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكهان أن نبياً يبعث من العرب
اسمها محمد، فسمى من بلغه ذلك من العرب ولدها محمداً طمعاً في النبوة.
وقال: سمي محمد بن خزاعي بن حزابة من بنى ذكوان من بنى سليم طمعاً
في النبوة، فأتى أبرهة باليمين فكان معه على دينه حتى مات، فلما واجه قال أخوه
قيس بن خزاعي:

فذلكم ذو التاج منا محمد ورايته في حومة الموت تخفق
وقال: كان في بنى تميم محمد بن سفيان بن مجاشع، وكان أسقفاً، قيل لأبيه:
إنه يكون للعربنبي اسمه محمد، فسماه محمداً.
ومحمد الجشمي في بنى سوادة، ومحمد الأسيدي، ومحمد الفقيمي سموهم
طمعاً في النبوة.

كان ذلكم بعض ما جرى قبل ميلاد الرسول (ص) نتيجة لبشرارات الأنبياء
بمبعثه.

وفي ما يأتي نذكر باذنه تعالى ما جرى في ليلة ميلاد الرسول (ص) فما بعد:
ما جرى في ليلة ميلاد الرسول (ص) فما بعد:
أ - في مستدرك الحاكم: عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول
الله (ص) انهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: دعوة أبي إبراهيم
وبشري عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصرى،

وبصرى من أرض الشام (١).

ب - في تاريخ الطبرى: ان آمنة ابنة وهب أم رسول الله (ص) كانت تحدث انها أتت في منامها لما حملت برسول الله (ص) فقيل لها: انك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع بالأرض قوله: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد. ثم سمييه محمدا.

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام، فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فأتاه فانظر إليه، فنظر إليه وحدثه بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه.

وقال عثمان بن أبي العاص: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب لرسول الله (ص) فما شئ أنظر إليه من البيت إلا نور، وإنى لأنظر النجوم لتدنو حتى أني لأقول لتقعن علي (٢).

ج - في دلائل النبوة لأبي نعيم بسنده عن حسان بن ثابت أنه قال: والله إني لغلام يفعة ابن ثمان سنين أو سبع، أعقل ما سمعت، إذ سمعت يهوديا يصرخ على أطمة يشرب:

يا معاشر اليهود، حتى اجتمعوا إليه، فقالوا له: ويلك ما لك؟
قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به (٣).

د - وعن حسان بن ثابت - أيضا - أنه قال: والله إني لفدي منزلي ابن سبع سنين وأنا أحفظ ما أرى وأعي ما أسمع، وأنا مع أبي، إذ دخل علينا فتى منا يقال

(١) مستدرك الحاكم ج ٢ / ٦٠٠ وقال: صحيح ولم يخرجاه، وصححه الذهبي - أيضا - وطبقات ابن سعد ج ١ / ١٤٩.

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ / ١٥٦ - ١٥٧ ط. القاهرة.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١ / ٧٥.

له ثابت بن الضحاك، وهو يوم نجوى، فتحدث فقال: زعم يهودي من يهود قريظة الساعة، وهو يلاحيني، قد أظل خروج النبي يأتي بكتاب مثل كتابنا، يقتلكم قتل عاد، قال حسان: فوالله إني لعلى فارع - يعني أطم (١) - حسان في السحر إذ سمعت صوتا ما أسمع صوتا قط أنفذ منه، فإذا يهودي على أطم من آطام المدينة، معه شعلة من نار، فاجتمع إليه الناس فقالوا: ما لك ويلك؟ قال حسان: فأسمعه يقول: هذا كوكب أَحْمَد قد طلع، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة، ولا يبق من الأنبياء، إلا أَحْمَد، قال: فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما يأتي منه (٢). فعمر حسان مائة وعشرين سنة، ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام.

٥ - في طبقات ابن سعد بسنده عن ابن عباس قال: كانت يهود قريظة والنضير وفلك وخيبر يحدون صفة النبي عندهم قبيل أن يبعث، وأن دار هجرته بالمدينة، فلما ولد رسول الله (ص)، قالت أخبار اليهود: ولد أَحْمَد الليلة، هذا الكوكب قد طلع، فلما تنبى قالوا: قد تنبى أَحْمَد، قد طلع الكوكب الذي يطلع، كانوا يعرفون ذلك ويقررون به ويصفونه إلا الحسد والبغى... (٣).

و - في دلائل النبوة لأبي نعيم بسنده عن حويصة بن مسعود أنه قال: كنا ويهود فينا كانوا يذكرون نبيا يبعث بمكة اسمه أَحْمَد، ولم يبق من الأنبياء غيره، وهو في كتابنا، وما أخذ علينا منه، وصفته كذا وكذا، حتى يأتيوا على نعته، قال: وأنا غلام وما أرى أحفظ، وما أسمع أعي، إذ سمعت صياحا من ناحية [بني]

(١) الأطم: بضم الهمزة وضم الطاء وتسكينها، الحصن، وكل حصن مبني بالحجارة، أو كل بيت مربع مسطح مرتفع.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٧٥ - ٧٦، ح ٣٥.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٥٩ - ١٦٠.

عبد الأشهل، فأرى قوما فزعوا وخفوا أن يكون أمر حدث، خم خفي الصوت، ثم عاد فصاح ففهمنا صياغه: يا أهل يثرب، هذا كوب أحمد الذي ولد به، قال: فجعلنا نعجب من ذلك، ثم أقمنا دهرا طويلا، ونسينا ذلك، فهلك قوم وحدث آخرون، وصرت رجلا كبيرا: فإذا مثل ذلك الصياغ: يا أهل يثرب، قد خرج أَحْمَدُ، وَتَبَأَّ وجاءه الناموس الأَكْبَرُ الذي كان يأتي موسى (ع)، فلم أُبَثْ أَنْ سمعت أَنْ بِمَكَّةَ رجلا خرج يدعى النبوة، وخرج من خرج من قومنا، وتأخر من تأخر، وأسلم فتيان منا أحداث، ولم يقض لي أن أسلم حتى قدم رسول الله (ص) المدينة (١).

ز - في تاريخ الطبرى ودلائل النبوة للبيهقي ولأبي نعيم والمتظم لابن الجوزي ما موجزه:

ان في ليلة ميلاد الرسول (ص) ارتحف إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغضبت بحيرة ساوة، وحامت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبدان في المنام إبلا صعايا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم، فلما أصبح كسرى أفرعه ما رأى فتصبر عليه تشجعا، ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومراتبته، فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه، فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون في ما بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك.

قال ابن الجوزي: رأى كسرى ارتحاف الإيوان وسقوط الشرف فحسب، وليس المنام، فالمنام كان للموبدان وهو قاضي قضائهم، فيينا هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخmod النار فزاد غما إلى غمه، فقال الموبدان وانا قد رأيت في هذه الليلة، وقص عليه الرؤيا في الإبل، فقال: أي شيء يكون هذا يا موبدان؟ فقال:

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧٧ الحديث ٣٦.

حدث يكون من عند العرب، فكتب إلى النعمان بن منذر ان وجهه إلى عالماً أسأله عما أريد، فوجهه إليه عبد المسيح بن عمرو الغساني، فأخبره بما رأى، فذهب عبد المسيح إلى حاله سطيح في الشام، وكان من كهان العرب، فأنبأه بما وقع في فارس، فأنشده شعراً قال فيه: انه يملك من ملوك إيران على عدد الشرفات... فلم يعه عبد المسيح إلى كسرى وأخبره بقول سطيح، قال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً تكون امور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين والباقيون إلى أن قتل عثمان (١).

ما جرى بعد ميلاد الرسول (ص) في سني رضاعه
خبر رضاع الرسول (ص):

في طبقات ابن سعد: قدمت حليمة مع زوجها وابن لها صغير ترضعه يقال له عبد الله، وأتانا قمراء وشارف لهم عجفاء قد مات سقبها من العجف ليس في ضرع أمه قطرة لبن، فقالوا: نصيب ولداً نرضعه، ومعها نسوة سعديات، فقدمن فأقمن أياماً، فأخذن ولم تأخذ حليمة، ويعرض عليها النبي (ص)، فقالت: يتيم لا أب له، حتى إذا كان آخر ذلك أخذته وخرج صوابها قبلها بيوم، فقالت آمنة: يا حليمة اعلمي أنك قد أخذت مولوداً له شأن، والله لحملته بما كنت أجد ما تجد النساء من الحمل، ولقد أتيت فقيل لي: إنك ستلدين غلاماً فسميه أحمد وهو سيد العالمين، ولو قع معتمدًا على يديه رافعاً رأسه إلى السماء، قال: فخرجت حليمة إلى زوجها فأخبرته، فسر بذلك، وخرجوا على أتانهم منطلقة، وعلى

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ / ١٣١ - ١٣٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم ج ١ / ١٣٩ - ١٤١، ح ٨٢،
ودلائل النبوة للبيهقي ج ١ / ١٢٦ - ١٢٧، والمنتظم لابن الجوزي ج ٢ / ٢٥٠ ط. بيروت.

شارفهم قد درت باللبن، فكانوا يحلبون منها غبوقا وصبوحا، فطلعت على صواحبها، فلما رأينها قلن: من أخذت؟ فأخبرتهن، فقلن: والله إنا لنرجو أن يكون مباركا، قالت حليمة: قد رأينا بركته، كنت لا أروي ابني عبد الله ولا يدعنا ننام من الغرث، فهو وأخوه يرويان ما أحبنا وينامان ولو كان معهما ثالث لروي، ولقد أمرتني أمه أن أسأله عنه، فرجعت به إلى بلادها، فأقامت به حتى قامت سوق عكاظ، فانطلقت برسول الله (ص) حتى تأتي به إلى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم، فلما نظر إليه صاح: يا معاشر هذيل! يا معاشر العرب! فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم، فقال: اقتلوا هذا الصبي! وانسلت به حليمة، فجعل الناس يقولون: أي صبي؟ فيقول: هذا الصبي! ولا يرون شيئا قد انطلقت به أمه، فيقال له: ما هو؟ قال: رأيت غلاما، وآلته ليقتلن أهل دينكم، وليكسرن آلهتكم، وليظهرن أمره عليكم، فطلب بعكاظ فلم يوجد، ورجعت به حليمة إلى منزلها، فكانت بعد لا تعرضه لعرف ولا لأحد من الناس (١).

إخبار سيف بن ذي يزن عبد المطلب بشأن الرسول (ص)

في دلائل النبوة لأبي نعيم، في حديث طويل موجزه:

انه لما ظهر سيف بن ذي يزن على اليمن وظفر بالحبشة ونفاهم عنها - وذلك بعد مولد رسول الله (ص) بستين - أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنيه وتمدحه، فأتاه وفد قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، و....

فقال سيف بن ذي يزن: وأيهما أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن

(١) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٥١ - ١٥٢.

هاشم بن عبد مناف، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم، قال: فأدناه، ثم أقبل عليه وعلى القوم، فقال: مرحبا وأهلا....
قال: إذا ولد بتهامة غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولهم به الرعامة، إلى يوم القيمة.

قال عبد المطلب: - أبىت اللعن - لقد إبىت بخير ما آب به وافد قوم، ولو لا هيبة الملك وإعظامه وإجلاله لسألته من بشارته إبأي ما أزداد به سرورا.

قال سيف بن ذي يزن: هذا زمنه الذي يولد فيه، أو قد ولد؟ اسمه محمد، بين كتفيه شامة، يموت أبوه وأمه، ويكتفه جده وعمه، وقد وجدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجعل له منا أنصارا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، ويحمد النيران، ويكسر الأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويطله....

إلى أن قال: فقال سيف بن ذي يزن: إنك يا عبد المطلب، لجده غير كذب، قال: فخر عبد المطلب ساجدا، فقال: ارفع رأسك، فقد ثلج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك؟

قال عبد المطلب: نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن و كنت به معجبا، وعليه رقيقة، فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سميتها محمد، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه، بين كتفيه شامة، وفيه كل ما ذكرت من علامة.

قال سيف بن ذي يزن: إن الذي ذكرت لك كما ذكرت لك، فاحتفظ بابنك، واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، واطو ما ذكرت لك، دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم

النفاسة... الحديث (١).

بقية خبر الرسول (ص) عندما كان عند مرضعته حليمة:

في طبقات ابن سعد: خرجت حليمة - ذات يوم - تطلب النبي (ص)، وقد بدت البهم تقيل "فوجدته مع أخته، فقالت: في هذا الحر؟ فقالت أخته: يا أمه ما وجد أخي حرا، رأيت غمامات تظل عليه إذا وقف وقف، وإذا سار سارت معه حتى انتهى إلى هذا الموضع (٢).

و - أيضا - في طبقات ابن سعد قال: قدم كاهن مكة، ورسول الله (ص) ابن حمس سنين، وقد قدمت بالنبي (ص) ظهره إلى عبد المطلب، وكانت تأتيه به في كل عام، فنظر إليه الكاهن مع عبد المطلب فقال: يا عشر قريش اقتلوا هذا الصبي، فإنه يقتلكم ويفرقكم، فهرب به عبد المطلب، فلم تزل قريش تخشى من أمره ما كان الكاهن محذرهم (٣).

سفره مع عمه أبي طالب إلى الشام

في طبقات ابن سعد قال: لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله (ص) في المرة الأولى، وهو ابن اثنين عشرة سنة، فلما نزل الركب، بصرى من الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه، فلما نزلوا بحيرا وكان كثيراً ما

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ح ٥٠، ص ٩٥ - ٩٨.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٥٢.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٦٦ - ١٦٧.

يمرون به لا يكلمهم، حتى إذا كان ذلك العام، ونزلوا منزلا قريبا من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاما ثم دعاهم، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامه تظل رسول الله (ص) من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامه أظلت تلك الشجرة واحتضلت أغصان الشجرة على النبي (ص) حين استظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضوره كلكم، ولا تختلفوا منكم صغيرا ولا كبيرا، حرا ولا عبدا، فإن هذا شيء تكرموني به، فقال رجل: إن لك شأننا يا بحيرا، ما كنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟ قال: فإني أحببت أن أكرمكم ولكم حق، فاجتمعوا إليه وتختلف رسول الله (ص) من بين القوم لحداثة سنها، ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده، وجعل ينظر ولا يرى الغمامه على أحد من القوم، ويراهن متختلفة على رأس رسول الله (ص) قال بحيرا: يا معشر قريش لا يتختلفون منكم أحد عن طعامي، قالوا: ما تختلف أحد إلا غلام هو أحد القوم سنا في رحالهم، فقال: ادعوه فليحضر طعامي فما أভي أن تحضوروا ويختلفون رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم، فقال القوم: هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخي هذا الرجل، يعنون أبا طالب، وهو من ولد المطلب، فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: والله إن كان بنا للؤم أن يتختلف ابن عبد المطلب من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام والغمامه تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفتة، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني بما أسألك، فقال رسول الله (ص): لا تسألي باللات

والعزى، فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما! قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه، قال: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله (ص) يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى حاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده، قال: فقبل موضع الخاتم، وقالت قريش: إن محمد عند هذا الراهب لقرا، وجعل أبو طالب، لما يرى من الراهب، يخاف على ابن أخيه، فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: أبني، قال: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حبلى به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريباً، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلدك واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبلغه عتنا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نحده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أنني قد أديت إليك النصيحة. فلما فرغا من تجاراتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله (ص) وعرفوا صفتة، فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرة فذاكروه أمره، فنهاهم أشد النهي وقال لهم: أتجدون صفتة؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل، فصدقواه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.

وقال: قال الراهب لأبي طالب: لا تخرجن بابن أخيك إلى ما ه هنا، فإن اليهود أهل عداوة، وهذانبي هذه الأمة، وهو من العرب، واليهود تحسده تريد أن يكون منبني إسرائيل، فاحذر على ابن أخيك (١).

(١) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٥٣ - ١٥٥.

في سفره (ص) للتجارة بأموال خديجة في طبقات ابن سعد: خرج مع غلام خديجة ميسرة حتى قدمًا بصرى من الشام، فنزلًا في سوق بصرى في ظل شجرة قربها من صومعة راهب من الرهبان يقال له نسطور، فاطلع الراهب إلى ميسرة، وكان يعرفه قبل ذلك، فقال: يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلانبي، ثم قال: في عينيه حمرة؟ قال ميسرة: نعم لا تفارقها، قال الراهب: هو هو آخر الأنبياء، يا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج! ثم حفر رسول الله (ص) سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واحتوى غيرها، فكان بينه وبين رجل اختلاف في شيء، فقال له الرجل: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله (ص): ما حلفت بهما قط وإنني لأمر فأعرض عنهما، قال الرجل: القول قولك، ثم قال لميسرة، وخلا به: يا ميسرة هذا واللهنبي! والذي نفسي بيده إنه لھو تجده أخبارنا في كتبهم منعوتا، فوعى ذلك ميسرة، ثم انصرف أهل العير جمیعا، وكان ميسرة يرى رسول الله (ص) إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملکین يظلانه من الشمس وهو على بعيره... الحديث (١).

وأنشد في ذلك أبو طالب قصيدين قال في إحداهما:

ان ابن آمنة النبي محمدا عندي يفوق منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته والعيس قد قلصن بالأزواد

(١) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٥٦ وأوردنا تفصيل تلکم الاخبار في سيرة النبي في أول الجزء الثاني من عقائد الاسلام من القرآن الكريم.

إلى قوله:

راعيتك فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد

إلى قوله:

حتى إذا ما قوم بصرى عاينوا لاقوا على شرك من المرصاد

قوم يهود قد رأوا ما قد رأى ظل الغمام وعز ذي الأكباد

ثاروا لقتل محمد فنهاهم عنه وجاحد أحسن الجهاد

وقال في الثانية:

ألم ترني من بعد هم هممته بفرقة خير الوالدين كرام

بأحمد لما ان شدلت مطيتي برحل وقد ودعته بسلام

بكى حزنا والعيس قد قلصت بنا...

إلى قوله:

وجاء بحيرا عند ذلك حاسرا لنا بشراب طيب وطعام

فلما رأه مقبلا نحو داره يوقيه حر الشمس ظل غمام

حنى رأسه شبه السجود وضمه إلى نحره والصدر أي ضمام

وأقبل ركب يطلبون الذي رأى بحيرا من الاعلام وسط خيام

فجاءوا وقد هموا بقتل محمد فردهم عنه بحسن خدام

إلى آخر الأبيات.

ما جرى للرسول (ص) عندما بلغ العشرين من عمره

في تاريخ اليعقوبي ما موجزه: ولما بلغ العشرين ظهرت فيه العلامات،

وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه ويذاكرون أمره ويتوصفون حاله ويقربون

ظهوره. وأخبر الرسول (ص) عمه ما كان يرى في المنام من بشائر النبوة. فوصف

أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم، فلما نظر إلى رسول الله (ص) قال: هذه الروح الطيبة! هذا والله النبي المطهر. فقال له أبو طالب: فاكتم على ابن أخي لا تغرن به قومه، فوالله إنما قلت: لعلي ما قلت، ولقد أباي أبي عبد المطلب بأنه النبي المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغري به الأعداء (١). ما جرى للرسول (ص) مقارنا لبعثته

تسليم الشجر والحجر على الرسول (ص) قبل ان يبعث:

أ - في مسند أحمد وسنن الترمذى واللفظ للأول بسنده عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (ص): اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ابعث (٢).

ب - وفي طبقات ابن سعد بسنده عن برة بنت أبي تجراة قالت: إن رسول الله (ص) حين أراد الله به كرامته وابتداه بالنبوة كان إذا خرج لحاجة وبعد حتى لا يرى بيته، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى شيئا (٣).

ج - وفي سنن الترمذى والدارمى واللفظ للأول بسنده عن علي بن أبي

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ / ١٢ - ١٤ ، وراجع: تاريخ ابن عساكر، مجلد السيرة النبوية ص ٩٧ ط. دمشق الأولى.

(٢) مسند أحمد ج ٥ / ٨٩ و ٩٥ و سنن الترمذى ج ١٣ / ١١٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ط. ج ٨ / ٢٤٦ بيروت وقال في ترجمتها: برة بنت أبي تجراة بن أبي فكيهه واسمه يسار، ويقولون إنهم من الأزد حلفاءبني عبد الدار ولهم فيهم ولادات. وقد روت برة عن رسول الله (ص).

طالب قال: كنت مع النبي (ص) بمكة، خرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله (1). في ما جرى للرسول (ص) بعد بعثته

أ - في دلائل النبوة لأبي نعيم قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك: وإنهم لما دخلوا على المقوقس قال لهم: كيف خلصتم إلى من طلبكم ومحمد وأصحابه بيني وبينكم؟....

إلى أن قال: قال المقوقس: هونبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم تبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى بن مريم، وهذا الذي تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لا ينافيه أحد، ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر، ومنقطع البحور، ويوشك قومه يدافعونه بالرماح....

وقال المغيرة: فرجعنا إلى منازلنا، فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا

دخلتها، وسألت أساقفها من قبطها ورومها عما يجدون من صفة محمد (ص) وكان أسقف من القبط هو رأس كنيسة أبي غني كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعوه لهم، لم أر أحداً قط يصلّي الصلوات الخمس أشد اجتهاداً منه، فقلت: أخبرني هل بقي أحد من الأنبياء؟ قال: نعم، وهو آخر الأنبياء، ليس بينه وبين عيسى بن مريم أحد، وهونبي قد أمرنا عيسى باتباعه، وهو النبي الأمي العربي، اسمه أحمد، ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة، ليس بالأبيض ولا بالأدم، يعفي شعره، ويلبس ما غلظ من الثياب، ويحتزئ بما لقي من الطعام، سيفه على عاتقه، ولا يبالي من لاقى، يباشر القتال بنفسه ومع أصحابه، يفدونه بأنفسهم، هم له

(1) سنن الترمذى ج ١٣ / ١١١ أبواب المناقب وسنن الدارمى ومستدرك الحاكم ج ٢ / ٦٢٠ .

أشد حبا من أولادهم وآبائهم، يخرج من أرض القرظ (١) ومن حرم يأتي إلى حرم، يهاجر إلى أرض سباح (٢) ونخل، يدين بدين إبراهيم عليه السلام. قال المغيرة بن شعبة: زدني في صفتة، قال: يأنزر على وسطه، ويغسل أطراfe، ويخص بما لم يخص به الأنبياء قبله، كان النبي يبعث إلى قومه، وبعث إلى الناس كافة، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلبي، ومن كان قبله مشددا عليهم لا يصلون إلا في الكنائس والبيع.

قال الشيخ أبو نعيم: ونعته وصفاته في الكتب المنزلة وعند الرهابنة والأساقفة والأحبار من أهل الكتاب مستفيض، وكانوا يرجعون في أمر بعثته وإرساله إلى علم متيقن كالضوري، لتبشير الأنبياء صلوات الله عليهم به وبارساله، وإصائهم أمتهم بتصديقه إن أدركته، وما كانت في أيديهم من الكتب والعبود المتقدمة المتواترة عن آبائهم وأسلافهم (٣).

ب - في دلائل النبوة لأبي نعيم عن محمد بن إسحاق: أن هرقل قال لدحية الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله (ص): ويحك، والله إني لأعلم أن صاحبك لنبي مرسلي وأنه للذي كنا ننتظره، نجده في كتابنا، ولكنني أخاف الروم على نفسي، ولو لا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى "ضغاطر" الأسقف فاذكر له أمره، فهو والله في الروم أعظم مني، وأجوز عندهم قوله حتى أنظر ماذا يقول، قال: فجاءه دحية الكلبي، فأخبره بما جاء به من رسول الله (ص) إلى هرقل، وإلى ما

(١) القرظ: شجر يسمى أيضا بشجر السلم، وهو شجر من العضاه يستعمل في الدباغة ويستخرج منه الصمغ المعروف، ومنه سمي "ذو سلم" وهو المكان الذي مر به رسول الله (ص) حين هاجر من مكة إلى المدينة. انظر: تهذيب سيرة ابن هشام، تبويب وتعليق محمد رواس قلعة جي ج ١ / ١٤٧.

(٢) أرض سباح: أرض لم تحرث.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٨٥ - ٨٩، ح ٤٥.

يدعو إليه، قال: فقال ضغاطر: صاحبك واللهنبي مرسلا، نعرفه بصفته، ونجده في كتبنا باسمه، قال: ثم دخل فألقى ثيابا كانت عليه سودا، ولبس ثيابا بيضاء، ثم أخذ عصاها فخرج على الروم وهم في الكنيسة، فقال: يا معاشر الروم، إنه قد جاءنا كتاب أَحْمَدَ، يدعونا فيه إلى الله، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أَحْمَدَ عبده ورسوله، قال: فوثبوا إليه وثبتة رجل واحد فظربوه حتى قتلوه، فلما رجع دحية إلى هرقل وقد أخبره الخبر قال: قد قلت لك: أنا نخافهم على أنفسنا، فضغاطر والله كان أعظم عندهم مني، وأجوز قولًا مني (١).

ج - في طبقات ابن سعد قال: كان الزبير بن باطأ، وكان أعلم اليهود، يقول: إنني وجدت سفرا كان أبي يختتمه علي، فيه ذكر أَحْمَدَنبي يخرج بأرض القرؤظ صفتة كذا وكذا، فتحدثت به الزبير بعد أبيه والنبي (ص) لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي (ص) قد خرج بمكة حتى عمد إلى ذلك السفر فمحاه وكتم شأن النبي (ص) وقال: ليس به (٢).

د - في طبقات ابن سعد قال: كانت يهود بني قريطة يدرسوون ذكر رسول الله (ص) في كتبهم ويعلمونه الولدان بصفته واسميه ومهاجرته إلينا، فلما ظهر رسول الله (ص) حسدوا وبغوا وقالوا: ليس به (٣).

٥ - في طبقات ابن سعد: أن إسلام ثعلبة بن سعيد وأسید بن سعية وأسد بن عبید ابن عمهم إنما كان عن حديث ابن الهييان أبي عمیر، قدم ابن الهييان، يهودي من يهود الشام، قبيل الاسلام بسنوات، قالوا: وما رأينا رجالا لا يصلى الصلوات الخمس خيرا منه، وكان إذا حبس عنا المطر احتجنا إليه، نقول له:

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٠١ - ١٠٢ ح ٥٣.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٩٥.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٦٠.

يا بن الهبيان اخرج فاستسق لنا، فيقول: لا حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة، فنقول: وما نقدم؟ فيقول: صاعا من تمر أو مدين من شعير عن كل نفس، فنفعل ذلك فيخرج بنا إلى ظهر وادينا، فوالله لن نبرح حتى تمر السحاب فتمطر علينا، ففعل ذلك بنا مرارا، كل ذلك نسقى، فيينا هو بين أظهرنا إذ حضرته الوفاة، فقال: يا عشر اليهود ما الذي ترون أنه أخر جنني من أرض الخمر والخمير إلى أرض المؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم يا أبو عمير! قال: إنما قدمتها أتوكل خروجنبي قد أظل لكم زمانه، وهذا البلد مهاجره، وكنت أرجو أن أدر كه فأتبعه، فإن سمعتم به فلا تسبقن إليه، فإنه يسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء، فلا يمنعكم هذا منه، ثم مات، فلما كان في الليلة التي في صبيحتها فتحت بنو قريظة، قال لهم ثعلبة وأسيد ابنا سعية وأسد بن عبيد فتيان شباب: يا عشر يهود، والله إنه الرجل الذي وصف لنا أبو عمير بن الهبيان، فاتقوا الله واتبعوه، قالوا: ليس به، قالوا: بل والله إنه لهو هو، فنزلوا وأسلموا وأبى قومهم أن يسلموا (١).

و - في طبقات ابن سعد: أن كعب بن أسد قال لبني قريظة حين نزل النبي (ص) في حصنهم: يا عشر يهود تابعوا الرجل فوالله إنه النبي، وقد تبين لكم أنهنبي مرسلا، وأنه الذي كتتم تجدونه في الكتب، وأنه الذي بشر به عيسى، وأنكم لتعرفون صفتة، قالوا: هو به ولكن لا نفارق حكم التوراة (٢).

ز - وأخرج الحاكم عن علي بن أبي طالب: ان يهوديا كان له على رسول الله (ص) دنانير، فتقاضى النبي (ص) فقال له: ما عندي ما أعطيك، قال: فاني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني، قال: اذن أجلس معك يا محمد، فجلس معه فصلى النبي (ص) الظهر والعصر والمغرب والعشاء والغداة وكان أصحاب

(١) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٦٠ - ١٦١.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٦٤.

النبي (ص) يتهددون اليهودي ويتوعدونه فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك، قال: منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره، فلما ترحل النهار أسلم اليهودي وقال: شطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعمتك في التوراة: محمد ابن عبد الله، مولده بمكة ومهاجرته بطيبة وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا مترين بالفحشاء ولا قوال للخني (١).

(١) مستدرك الحاكم ج ٢ / ٦٢٢ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٩١ ح ٤٨ عن عبد الله بن سلام قصة اسلام زيد بن اشعثة.

خلاصة البحث

جاء في روايات مدرسة الخلفاء ان الملك جاء إلى النبي (ص) في غار حراء وقال له: اقرأ، فقال: ما انا بقارئ، فأخذه فغطه حتى بلغ به الجهد، ثم أرسله فقال: اقرأ، فقال: ما انا بقارئ، فأخذه فغطه... وفي الثانية قال له: (اقرأ باسم ربك...) الآيات فرجع الرسول (ص) إلى زوجته خديجة يرجفه وقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، وقال لخديجة: خشيت على نفسي....

وفي ثانية قال لخديجة: اخشى أن تكون في جهن...!
وفي ثالثة: قال لها: لأنّه اخشى أن تكون كاهنا!

وفي رابعة: قال لها: فغطني حتى ظنت انه الموت! أو لم يكن أحد من خلق الله أبغض إلي من شاعر أو مجنون، لأعمدن إلى حلق من الجبل فلأطحرن نفسي منه فلأقتلنها فلأستريحن، أو أنه جلس إلى فخذ خديجة ملتصقا بها مائلا إليها.

وفي جميع الروايات ان خديجة هدأته وطمأنته، ولزيادة الاطمئنان والمعرفة الكاملة بالأمر أخذته إلى ابن عمها النصراني ورقة بن نوفل، وبعد ان استمع النصراني إلى حديثها عن الرسول (ص) اخبرها الخبر اليقين بان زوجها هونبي هذه الأمة، ثم اتجه إلى النبي (ص) يطمئنه ويحدد خوفه ويعرفه ما كان به جاهلا من أنهنبي هذه الأمة، وانه قد جاءه الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى عليه السلام.

وان خديجة طلبت منه أن يخبرها عندما يأتيه جبرائيل، فلما أتاه وأخبرها قالت: يا بن عم اجلس على فخذي اليسرى، ففعل (ص) ذلك، فقالت: هل

تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى، ففعل (ص) فقلت: هل تراه؟ قال: نعم! قالت: فتحول فاجلس في حجري ففعل (ص) فقلت: هل تراه؟ قال: نعم! فتحسرت، فألقت خمارها ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، فقلت يا بن عم! أثبتت وأبشر فوالله انه لملك وما هو بشيطان.

وفي رواية ان خديجة ادخلت الرسول (ص) بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبرائيل، فقالت للرسول (ص): ان هذا لملك وما هو بشيطان!! ولدراسة هذه الأخبار رجعنا إلى اسنادها فلم نجد واحداً ممن رواها أدرك عصر الواقعه ليحدث عنها.

ورجعنا إلى متونها وقارناها بما جاء في القرآن الكريم وروايات أخرى بمدرسة الخلفاء فوجدنا:

أولاً: ان القرآن يخبر ان الله اخذ ميثاق النبيين آدم فمن بعده في محمد (ص) لئن بعث خاتم الرسل وهو حي ليؤمن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد كذلك على قومه.

ثانياً: جاءت صفاته ونعته (ص) في التوراة والإنجيل، وان اسمه أحمد و Mohammad وبشر ببعثته الأنبياء، ولذلك فان أهل الكتاب كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، كما ذكرت صفات أمته - أيضاً - في الكتب السماوية.

ثالثاً: كان الأخبار والكهان يخبرون: بان مولده (ص) في مكة ويهاجر إلى المدينة، وبسبب علمهم بذلك هاجر قبائل من اليهود إلى المدينة ونواحيها ينتظرون بعثته، وأخبروا بذلك عندما أراد أن يهدم المدينة فانصرف عنها ولم يمس أحداً بسوء، وبشروا به جده عبد المطلب. وبسبب اشتهر ذلك في المجتمع الجاهلي سمعي بعض العرب أبناءهم بمحمد رجاء أن تدركه النبوة.

رابعاً: في ليلة ميلاده (ص) رأت آمنة أم الرسول (ص) حين حملت به نوراً

خرج منها أضاءات له بصرى من ارض الشام، وقيل لها في المنام، انك حملت بسيد هذه الأمة فإذا ولد سمييه محمدا.

ولما ولد (ص) رأى من كان في البيت كل شئ في البيت كأنه نور، وكأن النجوم تدنو حتى يروها كأنها تقع عليهم. وأرسلت أمه إلى جده عبد المطلب فلما جاء حدثه بما رأت حين حملت به وما قيل لها وما أمرت ان تسميه.

ورأى عالم اليهود في المدينة طلوع نجمه فصعد بيته مرتفعا ومعه شعلة نار فصرخ: يا معاشر اليهود، فلما اجتمعوا إليه قال: هذا كوكب احمد قد طلع وهذا الكوكب لا يطلع إلا بالنبوة!

وفي فارس تزلزل إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وخدمت نار فارس، وكانتا يعبدونها، ولم تخمد نار فارس قبله منذ الف سنة، ورأى الموبدان في منامه إلا صعابا تقود خيلا عربا عبرت نهر دجلة وانتشرت في بلادهم، فأعلمهم سطح الكاهن بان ملك فارس ينتهي بعد مضي أربعة عشر ملكا منهم.

خامسا: لما أخذته (ص) مرضعته حليمة رأت من دلائل نبوته انتشار البركة لما در لبناها ولبن البهم من دواجنها، ورأت تظليل الغمام إياه، فأدركت وعرفت عظيم أمره، ولما سمعت من الكاهن في سوق عكاظ وغيره ما سمعت وشاهدت من أمره ما شاهدت خشيت عليه وأرجعته إلى أمه في مكة، وعندئذ أخبرتها أمه بما رأت وسمعت في شأنه عند ولادته.

سادسا: ما جرى في سفره (ص) مع عمه إلى الشام: لما نزل الركب بصرى من الشام ورأى عالم النصارى بحيرا من صومعته الغمامية تضلل رسول الله (ص) دعاهم إلى طعامه وجعل يلحظ رسول الله (ص) وسأله عن أحواله، ورأى خاتم

النبوة بين كتفيه، فأخبر عمه بأنه نبي هذه الأمة وان اليهود تحسده لأنه ليس من بني إسرائيل، ورأه هناك رجال من اليهود وعرفوا صفتة فذاكروا بحيرا باختياله، فنهاهم عنه وقال لهم: إن كان هو ما تخبرون عنه فليس لكم عليه سبيل، فصدقواه وتركتوه، فأنشد أبو طالب في ذلك قصيدة:

سابعا: ما جرى في سفره (ص) في تجارة لخديجة: رأى ميسرة غلام خديجة كيف يضلل من الشمس، ورأه نسطوراً الراهب وعرف انه النبي لما رأى فيه من علامات، وقال لميسرة: هو آخر الأنبياء.

ثامنا: ما جرى للنبي (ص) مقارنا لبعثته حين أراد الله كرامته وابتداه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى يفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله!

مع كل ما أوردناه من مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء لست أدرى كيف لم يتبه الإعلام منهم إلى مناقضة الآيات الماضية والروايات السابقة مع ما رروا من أن الرسول (ص) عندما نزل عليه جبرائيل بسورة اقرأ، قال له: اقرأ، قال: لست بقارئ، فغطه حتى بلغ منه الجهد حتى ظن أنه الموت، يفعل ذلك به ثلاث مرات، وفي الأخيرة قال له: (اقرأ باسم ربك الذي خلق...) ولم لم يقرأ عليه الآيات ليعرف الرسول (ص) ماذا يقرأ؟

وكيف خشى أن يكون به جهن أو إنه أصبح كاهنا؟ أي أن النبي (ص) ظن أن جبرائيل جنبي يكلمه، وبذلك أصبح كاهنا وأخذ فؤاده يرجم، وقال عن نفسه: إن الأبعد، لشاعر أو مجنون - معاذ الله - حتى ذهبت به خديجة إلى ورقة بن نوفل النصراني فطمأنه وعرفه ان الذي كلامه هو الناموس الأكبر الذي نزل على موسى عليه السلام.

وإن المعرفة بجبرائيل بعد أن أجلست خديجة الرسول (ص) في حجرها

و كشفت عن رأسها، أو بعد ان أدخلته في درعها وتغيب جبرائيل عن عين الرسول (ص).

لست أدرى أياً صحيحاً يسجل مثل هذا السخيف في سيرة الرسول (ص)؟ وإذا كانت هذه الروايات في خبر بدء تلقي الرسول (ص) الوحي تناقض القرآن الكريم و تناقض البشارات المنتشرة في الكتب السماوية والروايات الصحيحة المتواترة في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء، فكيف كان تلقي الرسول (ص) أول وحي نزل إليه؟ نرجع لمعرفة ذلك إلى مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة أهل البيت، فنجد في خطبة الإمام علي في نهج البلاغة يخبر عن ذلك ويقول:

(ولقد قرن الله به (ص) من لدن إن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليه ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفضيل أثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيته واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وانا ثالثهما، أرى نور الوحي، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ص) فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما اسمع وترى ما أرى إلا إنك لستنبي، ولكنك وزير وانك على خير) (١).

وقال علي بن محمد الهادي عليه السلام: إن رسول الله (ص) لما ترك التجارة إلى الشام، وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التحارات، كان يغدو كل يوم إلى حراء يصعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢، (الخطبة القاسعة) ص ٣٠١ - ٣٠٠ تحقيق صبحي الصالح وشرح محمد عبد ٢ / ١٨٢، ط. مصر، مطبعة الاستقامة.

وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناf السماء (١) وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويذكّر بتلك الآيات، ويعبد الله حق عبادته، فلما استكمل أربعين سنة، ونظر الله عز وجل إلى قلبه فوجده أفضّل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها، أذن لأبواب السماء ففتحت ومحمد ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد وغرته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه (٢) وهزه وقال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) (٣)، ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربه عز وجل، ثم صعد إلى العلو ونزل محمد (ص) من الجبل (٤) وقد غشّيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كثير (٥) شأنه ما ركبـه الحمى والنافض (٦). يقول: وقد اشتـد عليه ما يخافـه من تكـذـيب قـريـش في خـبرـه ونـسـبـتـهـم إـيـاهـ إلىـ الجـنـونـ، وـإـنـهـ يـعـتـرـيهـ شـيـاطـينـ (٧)، وـكـانـ منـ أـوـلـ أمرـهـ أـعـقـلـ خـلـقـ اللهـ (٨)، وـأـكـرـمـ إلىـ الجنـونـ، وـأـبـغـضـ الأـشـيـاءـ إـلـيـهـ الشـيـطـانـ وـأـفـعـالـ المـجـانـينـ وـأـقـوـاـهـمـ، فـأـرـادـ اللهـ بـرـايـاهـ، وـأـبـغـضـ الأـشـيـاءـ إـلـيـهـ الشـيـطـانـ وـأـفـعـالـ المـجـانـينـ وـأـقـوـاـهـمـ، فـأـرـادـ اللهـ عـزـ وـجـلـ أـنـ يـشـرـحـ صـدـرـهـ، وـيـشـجـعـ قـلـبـهـ، فـأـنـطـقـ اللهـ الجـبـالـ وـالـصـحـورـ وـالـمـدـرـ،

١) وأقطارها (خ).

(٢) الضبع: وسط العضد وفي المصدر: بضم بعنه.

(٣) سورة العلق: ١ - ٥.

(٤) عن الجما (خ ل):

(٥) من كتب شأنه (خـل) وفي المصدر: من كتب ياع شأنه.

٦) النافض : ص. المعدة.

(٧) شيطان (خ ١) . وفي المصد : الشيطان

(٨) خلقة الله. (خ):

وكلما وصل إلى شيء منها ناداه: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا ولی الله، السلام عليك يا رسول الله (١) أبشر، فإن الله عز وجل قد فضلك وحملك وزينك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين، لا يحزنك أن تقول قريش إنك مجنون. وعن الدين مفتون، فإن الفاضل من فضله رب العالمين، والكريم من كرمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقن صدرك من تكذيب قريش وعثرة العرب لك، فسوف يبلغك ربك أقصى منتهي الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات، وسوف ينعم ويفرح أولياءك بوصيك علي بن أبي طالب، وسوف يبث علومك في العباد والبلاد بمفتاحك وباب مدينة حكمتك (٢): علي بن أبي طالب، وسوف يقر عينك بيتك فاطمة، وسوف يخرج منها ومن علي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وسوف ينشر في البلاد دينك، وسوف يعظم أجور المحبين لك ولأخيك، وسوف يضع في يدك لواء الحمد فتضنه في يد أخيك علي، فيكون تحته كلنبي وصديق وشهيد، يكون قائدكم أجمعين إلى جنات النعيم، فقلت في سري: يا رب من علي بن أبي طالب الذي وعدتنى به؟ – وذلك بعدما ولد علي عليه السلام وهو طفل – أهو ولد عمي؟ وقال بعد ذلك لما تحرك علي ولیدا (٣) وهو معه: أهو هذا؟ ففي كل مرة من ذلك أنزل عليه ميزان الجلال، فجعل محمد في كفة منه، ومثل له علي عليه السلام وسائر الخلق من أمته إلى يوم القيمة في كفة، فوزن بهم فرحة، ثم اخرج محمد من الكفة وترك علي في كفة محمد التي كان فيها فوزن بسائر أمته فرحة بهم،

(١) زاد في المصدر: بعد قوله: رسول الله: السلام عليك يا حبيب الله أبشر، ولم يذكر قوله: السلام عليك أبا محمد

(٢) في المصدر: مدينة علمك.

(٣) قليلا (خ ل): وهو الموجود في المصدر.

وعرفه (١) رسول الله بعينه وصفته ونودي في سره: يا محمد هذا علي بن أبي طالب صفيي الذي أؤيد به هذا الدين، يرجح على جميع أمتك بعده، فذلك حين شرح الله صدرى بأداء الرسالة، وخفف عنى مكافحة الأمة، وسهل على مبارزة العتاة الجباره من قريش (٢).
* * *

هكذا كان الإمام علي هو الشاهد الوحيد لبدء نزول الوحي. وأهل البيت أدرى بما في البيت.

وأما الروايات التي سبق ايرادها فهي مختلقة وافتريت روایتها على أم المؤمنين وغيرها من الصحابة، وسوف نبحث عنمن اختلفت بها بعد ايراد روایات بدء الدعوة وأسطورة الغرانيق ودراستها بإذنه تعالى:

(١) فعرفه (خ ل).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ١٨ / ٢٠٥ - ٢٠٧.

وما أخبر به علي بن محمد الهادي (ع) من سيرة وحديث كان مما أخذه عن آبائه عن جده علي (ع) كما أثبتنا ذلك في المجلد الثاني من معالم المدرستين، الفصل الرابع، بحث أحاديث أئمة أهل البيت (ع) مسندة إلى الله ورسوله (ص).

ثانياً - روایات بدء الدعوة

أ - في صحيح مسلم عن عائشة قالت: لما نزلت: (وانذر عشيرتك الأقربين، قام رسول الله (ص) على الصفا فقال: يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم) (١).

ب - في صحيح مسلم وسنن النسائي ومسند أحمد واللفظ للأول عن أبي هريرة قال: لما أنزلت هذه الآية: (وانذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله (ص) قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال: يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار... يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة! أنقذني نفسك من النار، فاني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحمة سأبلها بلالها (٢).

ج - في صحيح مسلم: ان أبا هريرة قال: قال رسول الله (ص) حين انزل

(١) صحيح مسلم، كتاب اليمان، باب وانذر عشيرتك الأقربين ج ١ / ١٩٢، وسنن النسائي، كتاب الوصايا ج، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين ٦ / ٢٥٠، ومسند أحمد ٢ / ٣٦٠ و ٦ / ١٨٧، وصحيح البخاري ٢ / ١٧٩، وسنن الترمذى، كتاب الزهد، باب ما جاء في إنذار النبي (ص) قومه ٩ / ١٩١، وكتاب التفسير تفسير سورة الشعرا، ١٢ / ٥٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اليمان، باب وانذر عشيرتك الأقربين ج ١ / ١٩٢، وسنن النسائي ج ٦ / ٢٤٨ كتاب الوصايا، ومسند أحمد ج ٢ / ٣٣٣ و ٥١٩.

عليه: (وانذر عشيرتك الأقربين): يا معاشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله! سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً (١).

د - في سنن الترمذى وتفسير الطبرى والسيوطى عن أبي موسى الأشعري، يقول أبو موسى: لما نزلت: (وانذر عشيرتك الأقربين) وضع رسول الله (ص) إصبعه في أذنِيه فرفع من صوته فقال: يا بني عبد مناف يا صباحاه فخاطبهم: انى أنذركم وأخوحفكم من الخطر... (٢).

ه - في تفسير السيوطى عن ابن عباس قال: لما نزلت: (وانذر عشيرتك الأقربين) ورهطكم منهم المخلصين خرج النبي (ص) حتى صعد على الصفا فنادى: يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذى يهتف؟ قالوا: محمد! فاجتمعوا إليه، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكتتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألها جمعتنا؟ فنزلت: (تبت يدا أبي

(١) صحيح مسلم، كتاب الأيمان باب وانذر عشيرتك الأقربين ج ١ / ١٩٢ - ١٩٣، وسنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب وانذر عشيرتك الأقربين ج ٢ / ٣٠٥، وسنن النسائي، كتاب الوضايا ج ٦ / ٢٤٩، ومسند أحمد ج ٢ / ٣٥٠ و ٣٩٩ .
وذكر السيوطى روایتين آخريین في تفسير هذه الآية ج ٥ / ٩٦ عن انس بن مالك وبراء بن عازب وهي شبيهة تماماً برواية أبي هريرة.
(٢) الدر المتنور للسيوطى ج ٥ / ٩٦، نقلًا عن تاريخ الطبرى ج ١٩ / ٧٣ وما بعدها، وسنن الترمذى ج ١٢ / ٦٢ ط. مصر سنة ١٣٥٣ هـ.

لهب وتب (١).

و - في مسنـد أـحمد وصـحـيـح مـسـلـم وـتـفـسـير الطـبـرـي وـالـسـيـوطـي عـنـ أـبـي عـثـمـانـ النـهـدـيـ، عـنـ قـبـيـصـةـ بـنـ مـخـارـقـ وـزـهـيـرـ بـنـ عـمـرـ وـقـالـ: لـمـا نـزـلـتـ عـلـى رـسـوـلـ اللـهـ (صـ): (وـأـنـذـرـ عـشـيـرـتـكـ الـأـقـرـيـنـ) اـنـطـلـقـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ) إـلـى صـخـرـةـ مـنـ جـبـلـ فـعـلـاـ أـعـلـاـهـاـ، ثـمـ نـادـىـ أـوـ قـالـ: يـاـ آـلـ عـبـدـ مـنـافـ أـنـيـ نـذـيرـ، أـنـ مـثـلـيـ وـمـثـلـكـ كـمـثـلـ رـجـلـ رـأـيـ الـعـدـوـ فـانـطـلـقـ يـرـبـؤـ أـهـلـهـ يـنـادـيـ، أـوـ قـالـ: يـهـتـفـ يـاـ صـبـاحـاـهـ (٢ـ).

ز - في الدر المنشور بسنده عن أنس قال: لما نزلت: (وـأـنـذـرـ عـشـيـرـتـكـ الـأـقـرـيـنـ) بكـيـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ) ثـمـ جـمـعـ أـهـلـهـ فـقـالـ: يـاـ بـنـيـ عـبـدـ مـنـافـ أـنـقـذـوـاـ أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ، يـاـ بـنـيـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ أـنـقـذـوـاـ أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ، يـاـ بـنـيـ هـاشـمـ أـنـقـذـوـاـ أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ، ثـمـ التـفـتـ إـلـىـ فـاطـمـةـ فـقـالـ: يـاـ فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ أـنـقـذـيـ نـفـسـكـ مـنـ النـارـ، فـانـيـ لـاـ أـغـنـيـ عـنـكـمـ مـنـ اللـهـ شـيـئـاـ، غـيـرـ أـنـ لـكـمـ رـحـمـاـ سـأـبـلـهـاـ بـيـلـالـهـاـ (٣ـ).

ح - عن البراء قال: لما نزلت على النبي (صـ): (وـأـنـذـرـ عـشـيـرـتـكـ الـأـقـرـيـنـ) صـعـدـ النـبـيـ (صـ) رـبـوـةـ مـنـ جـبـلـ فـنـادـىـ: يـاـ صـبـاحـاـهـ، فـاجـتـمـعـوـاـ، فـحـذـرـهـمـ وـأـنـذـرـهـمـ ثـمـ قـالـ: لـاـ أـمـلـكـ لـكـمـ مـنـ اللـهـ شـيـئـاـ، يـاـ فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ أـنـقـذـيـ نـفـسـكـ مـنـ النـارـ، فـانـيـ لـاـ أـمـلـكـ لـكـ مـنـ اللـهـ شـيـئـاـ (٤ـ).

ط - عن أبي أمامة قال: لما نزلت: (وـأـنـذـرـ عـشـيـرـتـكـ الـأـقـرـيـنـ) جـمـعـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ) بـنـيـ هـاشـمـ فـأـجـلـسـهـمـ عـلـىـ الـبـابـ، وـجـمـعـ نـسـاءـهـ وـأـهـلـهـ فـأـجـلـسـهـمـ

(١) تـفـسـيرـ السـيـوطـيـ جـ ٥ / ٩٦، وـسـنـنـ التـرـمـذـيـ جـ ١٢ / ٢٥٩ـ.

(٢) مـسـنـدـ أـحـمـدـ جـ ٣ / ٤٧٦ـ وـجـ ٥ / ٦٠ـ، وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ، كـتـابـ الـإـيمـانـ، بـابـ وـانـذـرـ عـشـيـرـتـكـ الـأـقـرـيـنـ وـالـدـرـ المـنـشـورـ لـلـسـيـوطـيـ جـ ٥ / ٩٥ـ وـتـفـسـيرـ الطـبـرـيـ جـ ١٩ / ٧٣ـ.

(٣) الدـرـ المـنـشـورـ جـ ٥ / ٩٦ـ.

(٤) الدـرـ المـنـشـورـ لـلـسـيـوطـيـ جـ ٥ / ٩٦ـ.

في البيت، ثم اطلع عليهم فقال: يابني هاشم اشتروا أنفسكم من النار واسعوا في فكاك رقابكم وافتوكوها بأنفسكم من الله، فاني لا أملك لكم من الله شيئاً، ثم اقبل على أهل بيته فقال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا أم سلمة ويا فاطمة بنت محمد... اشتروا أنفسكم من الله واسعوا في فكاك رقابكم، فاني لا أملك لكم من الله شيئاً ولا أغني، فبكت عائشة وقالت: وهل يكون ذلك اليوم لا تغنى عنا شيئاً... (١)؟

دراسة اسناد الروايات:

أجمع العلماء والمفسرون ان آية: (وأنذر عشيرتك الأقربين) من سورة الشعراة المكية نزلت في العام الثالث بعدبعثة (٢). وينتهي سند الرواية الأولى إلى أم المؤمنين عائشة، وقد ولدت في السنة الرابعة بعدبعثة (٣) فاني لها أن تتحدث عن خبر آية نزلت قبل ولادتها بعام؟

وتنتهي الرواية الثانية والثالثة إلى الصحابي أبي هريرة، والرابعة إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، وكلاهما ورد بالمدينة في السنة السابعة بعد الهجرة وبعد فتح خيبر.

والرواية الخامسة عن ابن عباس وقد ولد في شعب أبي طالب وقبل الهجرة

(١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ الطبرى: ذكر حوادث السنة الثالثة ج ١ / ١١٦٩ - ١١٧٤ ط. أوربا وج ٢ / ٣١٨ - ٣٢٢ طبعة مصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وابن الأثير ج ٢ / ٤٤ وتاريخ ابن كثير ج ٣ / ٣٧ وتاريخ الخميس ج ١ / ٢٨٧ وأنساب الأشراف ج ١ / ١١٦ والاكتفاء للكلاعى ج ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠ طبعة مصر.

(٣) أسد الغابة ج ٧ / ١٨٨ - ١٩٢ الترجمة ٧٠٨٥.

إلى المدينة بثلاث سنوات أي بعد نزول الآية الكريمة بسبع سنوات (١). والرواية السادسة يرويها أبو عثمان عن قبيصه بن مخارق وزهير بن عمرو، وقبيصه بن مخارق من قبيلةبني هلال، ولم ير الرسول (ص) بمكة، بل كان أول لقاءه للنبي (ص) عندما جاء مع وفد من قبيلته إلى المدينة واسلم يومئذ ثم رجع إلى موطنه (٢).

وزهير بن عمرو لم يرد أي ذكر عنه في غير هذه الرواية، ويقول الباحثون في علم الرجال وأحوال الصحابة: ان أول ما عرف زهير من الناحية التاريخية كان في البصرة، ولم يعرف عنه أي خبر قبل ذلك، وكان له بيت في هذه المدينة التي أسست عام ١٤^٥، وهذه الرواية هي العلامة الوحيدة لكونه صحابيا، وقال علماء الرجال: لا نعرف له حديثا غير هذا، وان البخاري لم يعتقد بصحة هذا الحديث، ولم ينقله في كتابه، وقال: ان الدليل على بطلان الرواية وعلى أن زهيرا هذا لم يكن صحابيا ان زهيرا لم يذكر في هذا الحديث أنه سمعه من رسول الله (ص) (٣). والحاصل ان الذي عد زهيرا في عداد الصحابة اعتمد هذا الحديث، في حين ان هذا الحديث لا يدل على درك زهير لصحبة النبي (ص) بل يوجد الشك في لقاءه للنبي (ص).

وبنا، على ما أوردناه ان راوي هذا الحديث لم يشاهد الرسول (ص) بمكة ليخبرنا عن أحواله في بدء الدعوة.

والرواية السابعة عن انس بن مالك، وكان قد ولد في المدينة في السنة

(١) الإصابة ج ٢ / ٣٢٢ الترجمة ٤٧٨١.

(٢) للمزيد عن حياته راجع: الإصابة ج ٣ / ٢١٥ . وأسد الغابة ج ٤ / ٣٨٣ - ٣٨٤ . ٤٢٥٩.

(٣) الإصابة ج ١ / ٥٣٦ الترجمة ٢٨٣٥ ، تهذيب التهذيب ج ٣ / ٣٤٧ .

الثالثة منبعثة، أي في سنة نزول الآية، فكيف يخبر عن خبر نزول آية في تلك السنة في مكة المكرمة؟

والرواية الثامنة عن البراء بن عازب وهو من قبيلة الأوس من الأنصار، وحضر بدر في السنة الثانية بعد الهجرة، ولم يكن قد بلغ الخامسة عشرة، فلم يقبل الرسول (ص) اشتراكه في الحرب لصغر سنها، فكيف يخبر عن شأن نزول آية نزلت قبل ذلك التاريخ باشتراكه في سنها.

والرواية التاسعة عن أبي أمامة، وفي باب الكني بأسد الغابة ترجم لخمسة كناهم بابي أمامة.

١ - أبو أمامة أسعد بن زرار، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية وتوفي في شوال بعد تسعه أشهر من الهجرة.

٢ - أبو أمامة الأنصاري، ذكر حديثا جاء فيه اسمه لا يدرى من هو!

٣ - أبو أمامة الباهلي، سكن مصر وتوفي إحدى أو ست وثمانين هجرية في الشام، وهذا لم يدرك النبي (ص) بمكة ليتحدث عن بدء نزول الوحي.

٤ - أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري، له عن النبي (ص) ثلاثة أحاديث، وهذا أيضا - لم يكن من أهل مكة ليدرك النبي (ص).

٥ - أبو أمامة بن سهل بن حنيف، توفي سنة مائة وهو ابن نيف وتسعين سنة، وهذا - أيضا - لا يدرك عصر الرسول (ص) بمكة (١).

هكذا كان اسناد الروايات إلى رواة لم يدركوا عصر الرسول (ص) بمكة ليخبروا عنه.

(١) راجع ترجمتهم في أسد الغابة ج ٦ / ١٦ - ١٨ ط. مصر.

دراسة متون الروايات:

أولاً: علمنا أن آية: (وأنذر عشيرتك الأقربين) نزلت في العام الثالث بعدبعثة، وقد جاء في الروايات ١ و ٢ و ٣ و ٧ و ٨ و ٩، ان رسول الله (ص) خاطب ابنته فاطمة في من خاطب، وقال في الأولى: اني لا أملك لكم من الله شيئا... وقال في ٢ و ٧ و ٨: يا فاطمة أنقذني نفسك من النار، وقال في الثالثة: يا فاطمة بنت رسول الله (ص) سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا، بينما كانت فاطمة على القول الأصح ولدت في السنة الخامسة بعدبعثة (١).

ولو قبلنا رأي الآخرين والذين اختلفوا في سنة مولدها، فقد كان عمرها عامبعثة قبل سن البلوغ ولا تصح مخاطبتها يومذاك كسائر المكلفين، بينما كان لها ثلاث أخوات متزوجات ولا يأت ذكرهن في الروايات.

ثانياً: جاء في الروايات ١ و ٢ و ٣ و ٧، ان رسول الله خاطببني عبدالمطلب وبني كعب بن لؤي وقريش وقال لهم: اني لا أملك لكم من الله شيئا، أنقذوا أنفسكم من النار.

وهذا الخطاب يصح ان يخاطب به من يؤمن بيوم القيمة وبرسالة الرسول (ص) وينتظر شفاعته يوم القيمة، وكيف يخاطب به من قال قائلهم: (ان هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) و: (من يحيي العظام وهي رميم) وقال في الرسول (ص): انه ساحر ومجنون؟
ومتى كان لرسول الله (ص) مال ليقول لهم: خذوا من مالي ما شئتم؟ انه كان يعيش من أموال زوجته خديجة.

(١) أصول الكافي ج ١ / ٤٥٧ و تاريخ الأئمة لابن أبي الشج ص ٦ مجموعة نفيسة و تاج المواليد للطبرسي ص ٩٧ مجموعة نفيسة والمستدرك على الصحيحين ج ٣ / ١٥٦.

ثالثا: جاء في الروايات ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ ان رسول الله (ص) عندما نزلت عليه آية: (وأنذر عشيرتك الأقربين) خاطب قريشا وآل عبد مناف وقال:.... في حين ان الآية حصنت أمر الانذار بعشيرته الأقربين، وهم بنو عبد المطلب وبنو هاشم، وليس ما عداهم من قبائل قريش!

رابعا: في رواية أبي أمامة الأخيرة، انه لما نزلت الآية جمع الرسول (ص) بني هاشم بباب البيت ونساءه وأهله فاطمة وعائشة وحفصة وأم سلمة وقال:.... في حين ان رسول الله (ص) تزوج بعائشة وحفصة وأم سلمة في المدينة، والآية نزلت كما ذكرنا في مكة وفي السنة الثالثة منبعثة.

كان ذلك شأن الروايات التي أسننت روايتها إلى الصحابة، ولا نطيل البحث بايراد روايات رويت في هذا المقام عن التابعين الذين لم يدركوا الرسول (ص) ليخبرونا عما حدث في عصره، وكذلك شأن من جاء بعد التابعين من الرواية.

بعد وضوح تناقض هذه الروايات بعضها مع بعض وتناقضها مع الواقع التاريخي نرجع إلى مصادر الدراسات الإسلامية، ويظهر لنا ان هذه الروايات بمجموعها تتحدث عن خبرين كالتالي بيانه:

عندما بعث رسول الله (ص) امن به من كان في بيته زوجه خديجة وابن عمه علي ومولاه زيد، وفي السنة الثالثة منبعثة نزلت آية: (وأنذر عشيرتك الأقربين) وكان من خبره ما تحدث عنه الإمام علي ممن شاهد الحادثة واشترك فيها.

روى الطبرى، وابن عساكر، وابن الأثير، وابن كثير، والمتنقى، وغيرهم - واللفظ للأول - قال: عن علي بن أبي طالب (ع) قال:

لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): (وأنذر عشيرتك الأقربين). دعاني رسول الله (ص) فقال لي: يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الامر أرى ما أكره، فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فاصنعوا لنا صاعاً من طعام، واجعلوا عليه رجل شاة، وأملاً لنا عسا من لبن، ثم أجمعوا ليبني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب. فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله (ص) حذية (أي: قطعة) من اللحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاه في نواحي الصحفة، ثم قال: خذوا باسم الله. فأكل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم. وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: إسق القوم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رروا منه جميماً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلم أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص). فقال الغد: يا علي إن هذا الرجل سبقي إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشئ حاجة، ثم قال: إسقهم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رروا منه جميماً. ثم تكلم رسول الله (ص) فقال: يابني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في الرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به، إني قد جئتم

بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي و الخليفي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جمیعاً وقلت - وإنی لأحدthem سنا، وأرمصهم عینا، وأعظمهم بطننا، وأحمسهم ساقا - : أنا يا نبی الله أكون وزیرک علیه، فأأخذ برقبتی، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي و الخليفي فيکم، فاسمعوا له وأطیعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبی طالب: قد أمرک أن تسمع لابنك وتطیع (١).

أشرنا في ما مضى أن دعوة النبي (ص) قد انحصرت في بيته ابتداء، وقد أحسن أمیر المؤمنین (ع) العطر السماوي والوحی الإلهی في أول لحظات البعثة، حيث إنه (ع) كان يرافق النبي (ص) في غار حراء، وبعد رجوعه (ص) إلى البيت التحقت بهما السيدة خديجة، فأصبح عدد المسلمين ثلاثة، وهناك شواهد موثقة على أن الإسلام لم يتجاوز هؤلاء الثلاثة لمدة مدیدة (٢).

ثم التحق بهم بعد زمان مديد زید بن حارثة وجعفر بن أبی طالب، وإننا لا نعرف الزمن المحدد لاسلامهما.

ان الله تعالى أمر النبي الأكرم (ص) في السنة الثالثة للبعثة أن يدعو الأقربين من عشيرته إلى الإسلام، وذلك بعد ثلث سنوات من سرية الدعوة،

(١) تاريخ الطبری ج ٣ / ١١٧١ - ١١٧٢ ط. أوربا. وابن عساکر تحقیق المحمودی ج ١ من ترجمة الامام. وتاریخ ابن الأثیر ج ٢ / ٢٢٢ . وشرح ابن أبی الحدید ج ٣ / ٢٦٣ . وفي تاریخ ابن کثیر ج ٣ / ٣٩ ، وقد حذف الألفاظ وقال،: کذا وکذا. وکنز العمال للمتقدی ج ١٥ / ١٠٥ و ١١٥ و ١١٦ منه وفي ص ١٣٠: يكون أخي وصاحبی وولیکم بعدي. والسیرة الحلبیة ج ١ / ٢٨٥ نشر المکتبة الاسلامیة بیروت.

(٢) الطبری ج ٢ / ٣١١ - ٣١٢ ثلثة أحادیث ط. مصر تحقیق محمد أبو الفضل، الاستیعاب على هامش الإصابة ج ٣ / ١٦٣ ، الإصابة ج ٢ / ٤٨٠ ، أسد الغابة ج ٤ / ٤٩ ، الترجمة ٣٦٩٦ .

و كانت الآية ٢١٤ من سورة الشعرا حاملة لهذا التكليف، كما عرفنا قصة هذه الدعوة قبل ذلك عن لسان الإمام أمير المؤمنين (ع)، وكان بعد هذا الوحي السماوي أن دعا رسول الله (ص) الأقربين من عشيرته إلى وليمة، وانذرهم وبلغهم في بيته، وبعد هذه الدعوة انتشرت الدعوة، واعتنق الإسلام مختلف الناس تدريجاً، فازداد عدد المسلمين.

عند وجود النبي (ص) في مكة لم يكن توجيه مثل هذا الخطاب العام إلى قريش ميسوراً، فإن قريش لم يؤمنوا به (ص) سوى عدد قليل منهم، حتى ينذرهم من عذاب النار ويكلمهم عن الشفاعة وعدمها، فمثل هذا الكلام يصح إذا خضعت قريش للاسلام واعتقدوا برسول الله (ص) كنبي، وإن كان اعتقاداً ظاهرياً، ففي الحالة التي كان الرسول (ص) في صراع ليل ونهار مع قريش المترفين والمقدرين واتباعهم، كانوا يهزاون به وأحياناً يلقون أمعاء الإبل على رأسه الشريف أو يصبون عليه الرماد، في مثل هذه الظروف لا يعقل أن يكلمهم النبي (ص) ويقول لهم بأنه لا يمكن من الشفاعة لهم، وعليهم أن يخلصوا أنفسهم من النار بعملهم الصالح (١). وعندما نفرض توفر مثل هذا الإنذار العام فيجب أن يكون ذلك عندما أسلم كلهم ولو ظاهرياً وقبلوه (ص) نبياً.

وقد وجدنا في روايات أئمة أهل البيت:

أولاً: ان الروايات المتضمنة آية الإنذار تحكي جميعها عن إنذار الأقربين

من العشيرة في بيت النبي (ص) ولا تحكي عن شيء آخر (٢).

ثانياً: تخبر عن صعود النبي (ص) على جبل الصفا، وخطبته العامة

(١) راجع: الروايات المتعلقة بالموضوع في صحيح مسلم ج ١ / ١٩٢ - ١٩٤.

(٢) راجع: تفسير البرهان ج ٣ / ١٨٩ - ١٩٢ حيث نقل عشرة أحاديث بهذا المضمون في ذيل الآية.

تأخرت إلى بعد فتح مكة.
على جبل الصفا

فقد روى الإمام الصادق أن الرسول (ص) عندما فتح مكة، قام على جبل الصفا وقال: يا بني هاشم وأولاد عبد المطلب! أنا رحيم بكم وشقيق، لا تقولوا محمد منا، والله ليس أقربائي منكم ومن غيركم سوى المتقين، لا تكونوا ممن يأتون يوم القيمة حاملين الدنيا على عواتقهم، ويأتي الآخرون حاملين الآخرة معهم، اعلموا أنني لم أدع أي عذر بيني وبينكم، ولا بين الله تعالى وبينكم، ولني عملني ولكم عملكم (١).

لقد كان ينوي الرسول الكريم (ص) من هذه الخطبة البليغة توجيه أقربائه أن لا يتوجهوا إلى الدنيا اعتماداً على قدرة النبي (ص) بعد أن انتصر على أهل مكة وأصبح حاكماً في الواقع على جزيرة العرب، وأن عليهم أن يعرفوا أساس القربي والرابطة بالنبي (ص) الذي يرتبط بالتفوي وحسب، وهذا لا ينسجم مع حب الدنيا ونها ثروات الناس، وأن لا يفكروا كسائر الحكام الدنيويين، ولا يقولوا إن في مثل هذه الظروف التي يحكم فيها أحد أقربائهم ويقود المجتمع، فلهم الحق في الوصول إلى القدرة والثروة والراحة، ويكون لهم السيادة الدينية والأخروية. وفي الخاتمة، نكرر أنه من الممكن جداً نسبة تلك الرواية إلى أحد الرواة، وأن الراوي عنه بنفسه غير مطلع على هذه النسبة. وذلك كالرواية التي كان ينقلها أبو عثمان النهدي عن زهير بن عمرو وقبيصية بن مخارق، وعرفنا رأي علماء الحديث حيث قالوا: إنه بمفرده نقل هذه الرواية عنهما، وإن غيره من الناس لم

(١) صفات الشيعة ص ١٦٥ الحديث الثامن عن علي والشيعة طبعة ١٩٥٨ النجف.

يسمع هذه الرواية منهمما، وكذلك الرواية المنقوله عن ابن عباس أو عن أبي أمامة أو براء بن عازب وأمثالهم، فمن الممكن انه لم يقل أحد من هؤلاء مثل هذا الذي نقل عنهم، بل يمكن أن تدق بعدم صدور ذلك عنهم، لكنه بعد أن صدر مرسوم معاویة، وجهر جميع القدرة الأموية لجعل مثل هذه الأحاديث، حينئذ يمكننا ان نتصور بوضوح ان عروة بن الزبیر ناقل روایات أم المؤمنین عائشة، أو محمد بن شهاب الزهري ناقل روایات أبي هريرة (١)، ممن قد جعلا هذه الروایات أساسا، ثم نسبوها إلى أمثال عائشة وأبي هريرة وابن عباس.

وفي طبقات ابن سعد روایات تصرح بان قول رسول الله (ص): لا أعني من الله شيئا، كان في مرض وفاة الرسول (ص) كالتالي بيانه:

أ - بسنده عن الصحابي ابن مسعود أنه قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبيه هو وأمي ونفسه له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة وتشدد لنا فقال: مرحبا بكم حياكم الله بالسلام، رحمةكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، أداءكم الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم، أستخلفه عليكم وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين، ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده فإنه قال لي ولكم: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوها في الأرض ولا فسادا والعقاب للمتكبرين). وقال: (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين)?

ب - بسنده عن أم المؤمنين عائشة ان رسول الله (ص) قال في مرضه الذي توفي فيه: أيها الناس! لا تعلقوا علي بواحدة، ما أحللت الا ما أحل الله وما حرمت إلا ما حرم الله.

ج - بسنده عن عبيد بن عمير قال: قال رسول الله (ص) في مرضه الذي

(١) انظر صحيح مسلم ج ١ / ١٩٤ - ١٩٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

توفي فيه: أيها الناس! والله لا تمسكون علي بشيء، إني لا أحل إلا ما أحل الله ولا أحرم إلا ما حرم الله! يا فاطمة بنت رسول الله، يا صفية عمة رسول الله، اعملا لما عند الله، إني لا أغني عنكم من الله شيئا.

د - بسنده عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله (ص): يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا! يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا! يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا! سلوني ما شئتم (١).

دراسة الأحاديث:

إن الأحاديث الأربع الماضية من حيث الزمان يناسب أن يكون في مرض وفاة الرسول (ص) وفي المدينة، وليس في مكة وفي السنة الثالثة منبعثة الرسول (ص) كما جاء في الأحاديث اللاحقة درسناها قبل هذا. والحديثان الأول والثاني يصح سندها ومتنهما، والحديثان الثالث والرابع في سندهما ومتنهما مناقشة.

كانت تلكم نتيجة دراساتنا لروايات بدء نزول الوحي وبدء الدعوة. وفي ما يأتي ندرس باذنه تعالى روايات أسطورة الغرانيق.

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٥٦.

ثالثا - روایات أسطورة الغرانيق
رویت في عدة روایات ما موجزها:

ان رسول الله (ص) لما رأى من قومه ما شق عليه من مباعدة ما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وكان يسره، مع حبه قومه وحرصه عليهم، أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم، حتى حدثت بذلك نفسه وتمناه وأحبه، فأنزل الله عليه:

(والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى) فلما انتهى إلى قوله: (أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى) القى الشيطان على لسانه لما كان تحدث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه: (تلك الغرانيق العلي، وان شفاعتهن ترتضي - أو - ترجى).

فلما سمعت ذلك قريش فرحا وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آهتهم، فأصاخوا له، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل، فلما انتهى إلى السجدة فيها وختم السورة سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به، واتباعا لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آهتهم، فلم يبق في المسجد من مؤمن ولا كافر إلا سجد، سوى الوليد بن المغيرة، فإنه كان شيئاً كبيراً فلم يستطع السجود، فأخذ بيده من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس

من المسجد.

وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلتهم، يقولون: قد ذكر محمد الهتنا بأحسن الذكر. قد زعم في ما يتلو: (انها الغرانيق العلى، وان شفاعتهن ترتضي).

وبلغ خبر السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله (ص) وقيل لهم: أسلمت قريش.

فنهض منها رجال وتختلف آخرون، وعادوا إلى مكة، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كان تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا، فبقي بعضهم بجوار مكة أو مستخفيا، ورجع منهم من رجع.

هذه خلاصة ما أورده في تفاسيرهم كل من الطبرى والواقدى والزمخشري والبيضاوى والسيوطى وغيرهم.

ولكشف زيف هذه الأسطورة وتمحیص سنة الرسول (ص) نستعين الله، ونراجع الأسطورة في تفسير الطبرى (ت: ٣١٥) ونقول:

١ - أخرج الطبرى عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس انهما قالا: جلس رسول الله (ص) في ناد من أندية قريش، كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عز وجل: (والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى)، فقرأها رسول الله (ص) حتى إذا بلغ: (أفرأيتم اللات والعزى * ومناه الثالثة الأخرى) القى الشيطان عليه كلمتين: (تلك الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترجى). فتكلم بهما، ثم مضى فقرأ السورة كلها، فسجد في آخر السورة وسجد القوم معه جمیعا، ورفع الولید بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود، فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلتنا هذه

تشفع لنا عنده، فإذا جعلت لها نصيبا فنحن معك.
قالا: فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام فعرض عليه السورة، فلهم بلغ الكلمتين اللتين القى الشيطان عليه قال: ما جئتكم بهماتين، فقال رسول الله (ص): افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل، فأوحى الله إليه: (وان كادوا ليفتونك عن الذي أو حينا إليك لتفتري علينا غيره - إلى قوله - ثم لا تجد لك علينا نصيرا) (الاسراء: ٧٣ - ٧٥).

فما زال معموما مهوموا حتى نزلت عليه: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي إلا إذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله علیم حكيم) (الحج: ٥٢).

قال: فسمع من كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان (١).

٢ - وأخرجها أكثر تفصيلا عن محمد بن كعب القرظي وحده، قال:
لما رأى رسول الله (ص) تولي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وكان يسره مع حبه وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم، حتى حدث بذلك نفسه وتمناه وأحبه، فأنزل الله:

(والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى) فلهم انتهى إلى قول الله:
(أرأيتم اللات والعزى * ومناه الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه -
لما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه -: " تلك، لغرانيق العلى وإن

(١) تاريخ الطبرى، ط. دائرة المعارف بمصر ٢ / ٣٤٠ - ٣٤١، وتفسير الطبرى بتفسير الآية ٥٢ من سورة الحج ١٧ / ١٣١.

شفاعتهم لترتجي " فلما سمعت ذلك قريش فرحا سرهم وأعجبهم ما ذكر به آهتهم فأصاخوا له، والمؤمنون مصدقون نبيهم في ما جاءهم به عن ربهم، ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل، فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به، واتباعا لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آهتهم، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة، فإنه كان شيخا كبيرا فلم يستطع السجود، فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس من المسجد، وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آهتهم، يقولون: قد ذكر محمد آهتنا بأحسن الذكر. وقد زعم فيما يتلو " (أنها الغرانيق العلي وإن شفاعتهم ترتضي " وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله (ص)، وقيل: أسلمت قريش، فنهض منهم رجال وتخلف آخرون.

وأتى جبرائيل رسول الله (ص) فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتكم به عن الله عز وجل، وقلت ما لم يقل لك، فحزن رسول الله (ص) عند ذلك حزنا شديدا ونحاف من الله خوفا كثيرا، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: (وكان به رحيم) (١) يعزيه ويختبره عليه الامر، ويخبره أنه لم يكن قبلهنبي ولا رسول تمنى كما تمنى، ولا أحب كما أحب، إلا والشيطان قد القى في أمنيته كما

القى على لسانه (ص)، فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحکم آياته، أي فإنما أنت كبعض الأنبياء والرسل، فأنزل الله عز وجل: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته...).

فأذهب الله عز وجل عن نبيه (ص) الحزن، وآمنه من الذي كان يخاف،

(١) هكذا في الأصل، وليس في القرآن آية بهذا الشكل.

ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم " إنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترضاي ".^١

يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: (ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزي * إن هي إلا أسماء سميت بها أنتم وآباءكم - إلى قوله تعالى - لمن شاء ويرضى) (الآيات: ٢١ - ٢٦). أي فكيف تنفع شفاعة الهاكم عنده؟

فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه. قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله غير ذلك و جاء بغيره، وكان ذائق الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله (ص) قد وقعا في فم كل مشرك، فازدادوا شرًا إلى ما كانوا عليه (١١).

٣ - أخرج عن أبي العالية قال:

قالت قريش لرسول الله (ص): إنما جلسأوك عبد بني فلان ومولىبني فلان، فلو ذكرت الهاتنا بشئ جالسناك، فإنه يأتيك اشراف العرب فإذا رأوا جلسائك اشراف قومك كان ارحب لهم فيك. قال: فألقى الشيطان في أمنيته، فنزلت هذه الآية: (أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى). قال: فأجرى الشيطان على لسانه: " تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترجى مثلهم لا ينسى ".

قال: فسجد النبي (ص) حين قرأها وسجد معه المسلمون والمشركون. فلما علم الذي أجري على لسانه كبر ذلك عليه فأنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) إلى قوله: (والله علیم

(١) تفسير الطبرى ١٧ / ١٣١ - ١٣٢ وتأريخ الطبرى ط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١، ٢ / ٣٣٨ - ٣٣٩ وط. أروبا ١ / ١١٩٢ - ١١٩٤.

حكيم) (١).

٤ - أخرج هذه الرواية أكثر تفصيلاً بسند آخر عن أبي العالية، قال: قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت الهتنا بخیر لجالسك، فان الناس يأتونك من الآفاق.

فقرأ رسول الله (ص) سورة النجم، فلم انتهى على هذه الآية: (أفرأيتم اللات والعزى * ومنة الثالثة الأخرى، فألقى الشيطان على لسانه: " وهي الغرانقة العلي وشفاعتهن ترجي ". فلما، فرغ منها سجد رسول الله (ص) والمسلمون والمشركون، إلا أبا أحىحة سعيد ابن العاص، اخذ كفأ من تراب وسجد عليه وقال: قد آن لابن أبي كبيشة أن يذكر الهتنا بخیر، حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله (ص) من المسلمين أن قريشاً قد أسلمت، فاشتد على رسول الله (ص) ما ألقى الشيطان على لسانه فأنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية.

٥ و ٦ - روى الطبرى هاتين الروايتين عن سعيد بن جبیر قال: لما نزلت هذه الآية: (أفرأيتم اللات والعزى). قرأها رسول الله (ص) فقال: " تلك الغرائق العلي، وإن شفاعتهن لترجي ". فسجد رسول الله (ص)، فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخیر، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) إلى قوله: (عذاب يوم عقيم) (الحج ٥٢ - ٥٥).

٧ - روى عن ابن عباس قال: قوله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، إلى قوله: (والله علیم حكيم).

(١) تفسير الطبرى / ١٧ / ١٣١.

وذلك أن نبي الله (ص) بينما هو يصلّي إذ نزلت عليه قصّة آلهة العرب، فجعل يتلوها فسمعه المشركون، فقالوا: إنا نسمعه يذكّر آلهتنا بخیر، فدّنوا منه، في بينما هو يتلوها وهو يقول: (أَفَرَأَيْتَ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزَ * وَمِنَةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى) القى الشّيطان: "إِنَّ تَلْكَ الْغَرَانِيقَ الْعُلَى، مِنْهَا الشَّفَاعَةُ تَرْجَى". فجعل يتلوها، فنزل جبرائيل (ع) فنسخها، ثم قال له: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَقْرَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ) إلى قوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١).

٨ - روى عن الضحاك أنه قال في قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) الآية: أنّ نبي الله (ص) وهو بمكة أنزل الله عليه في آلهة العرب، فجعل يتلو: (اللات و العزى)، ويكثر تردیدها، فسمع أهل مكة نبي الله يذكّر آلهتهم، ففرحوا بذلك ودّنوا يستمعون، فالقى الشّيطان في تلاوة النبي (ص): "تَلْكَ الْغَرَانِيقَ الْعُلَى مِنْهَا الشَّفَاعَةُ تَرْجَى". فقرأها النبي (ص) كذلك، فأنزل الله عليه: ! وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلى: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (٢).

٩ - روى عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث: أنّ رسول الله (ص) وهو بمكة قرأ عليهم: (وَالنَّجْمُ إِذَا هُوَ) فلما بلغ: (أَفَرَأَيْتَ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزَ * وَمِنَةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى). قال: إن شفاعتهن ترجى. وسهي رسول الله (ص)، فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض، فسلموا عليه وفرحوا بذلك. فقال لهم: إنما ذلك من الشّيطان، فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) حتى بلغ: (فَيَسْخَنَ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانَ). قال الطّبرى: وانه مختلف أهل التأویل في معنى قوله: (تمّنی) في هذا

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

الموضع.

فمنهم من قال: النبي من النبي (ص): ما حدثه نفسه من محبته مقاربة قومه ...

ومنهم من قال: ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء.
وقال آخرون: بل معنى ذلك، إذا قرأ وتلا أو حدث.

ثم روى عن عبيد قال: سمعت الصحاح يقول في قوله: (إلا إذا تمنى)
يعني بأتمنى: التلاوة والقراءة. قال الطبرى: وهذا القول أشبه بتأویل الكلام،
بدلاله قوله: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) على ذلك، لأن
الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم بذلك
أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وابطله ثم
احكمه بنسخه ذلك منه، فتأویل الكلام إذا: وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان في كتاب الله
الذى تلاه وقرأه، أو في حديثه الذى حدث وتكلم، فينسخ الله ما يلقي الشيطان،
يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.
وروى في تأييد قوله:

١ - عن ابن عباس قال: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان): فيبطل الله ما
ألقى الشيطان.

٢ - عن الصحاح أنه قال في قوله: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان): نسخ
جبرئيل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي (ص) وأحکم الله آياته. و قوله:
(ثم يحكم الله آياته) يقول: خم يخلاص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى
الشيطان على لسان نبيه، والله علیم بما يحدث في حلقه من حدث لا يخفى عليه منه
شيء، حكيم في تدبيره إياهم، وصرفه لهم في ما شاء وأحب.

وقال في تأويل قوله: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) (الحج: ٥٣): يقول تعالى ذكره: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل، كقول النبي (ص): " تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي " فتنة، يقول: اختبارا، يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق، وذلك الشك في صدق رسول الله (ص) وحقيقة ما يخبرهم به.

ثم روى عن قتادة، قال:

إن النبي (ص) كان يتمنى أن لا يعيي الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته، فقال: إن الآلهة التي تدعى، إن شفاعتها لترتجي، وإنها للغرانيق العلى، فنسخ الله ذلك، واحكم الله آياته (أفرأيتم اللات والعزى)، حتى بلغ (من سلطان) قال قتادة: لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آهتهم بخير، ففرحوا بذلك، فذكر قوله: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض).

وقال في تفسير قوله تعالى:

(وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربكم ف يؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) (الحج: ٥٤):

يقول تعالى ذكره: وكي يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله ونسخ ما ألقى الشيطان فيه انه الحق من عند ربكم - يا محمد - فيؤمنوا به. يقول: فيصدقوا به (فتخبت له قلوبهم)، يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم وتذعن بالتصديق به، والاقرار بما فيه (وليعلم لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق القاصد والحق الواضح، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله، فلا يضرهم كيد الشيطان

والقاوه بالباطل على لسان نبيهم (١).

وأورد السيوطي ما رواه الطبرى، وأضاف إليها روايات أخرى مثل ما رواه عن السدى، قال:

خرج النبي (ص) إلى المسجد ليصلى، فبينما هو يقرأ إذ قال: (أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى) فألقى الشيطان على لسانه، فقال: " تلك الغرانقة العلي، وإن شفاعتهم ترجى " حتى إذا بلغ آخر السورة سجد وسجد أصحابه، وسجد المشركون لذكره آلهتهم، فلما رفع رأسه حملوه فاشتدوا به بين قطري مكة يقولون: نبى بنى عبد مناف، حتى إذا جاءه جبرئيل عرض عليه، فقرأ ذينك الحرفين، فقال جبرئيل: معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا! فاشتد عليه فأنزل الله يطيب نفسه: (وما أرسلنا من قبلك...) الآية (٢).

وأورد النيسابوري في تفسير الآية بغرائب القرآن عن ابن عباس أنه قال: إن شيطانا يقال له الأبيض اتاه على صورة جبرئيل وألقاها إليه، فلما سمع المشركون ذلك أعجبهم، فجاء جبرئيل واستعرضه فقرأها، فلما بلغ إلى تلك الكلمة أنكر عليه جبريل، فقال: انه أتاني آت على صورتك فألقاها على لسانى (٣).

و - أيضا - روى الطبرى الرواية بإيجاز عن مجاهد في تفسيره.

(١) تفسير الطبرى ج ١٧ / ١٣١ - ١٣٤ .

(٢) الدر المنشور ج ٤ / ٣٦٨ .

(٣) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج ١٧ / ١١٠ ط. الباب الحلبي بمصر.

دراسة أسناد الروايات:

هذه المجموعة من الروايات التي وردت في تاريخ الطبرى، وتفسيره

وتفسير الواقدى والزمخشري والبيضاوى والسيوطى وغيرهم، إنما رويت:

١ - عن " محمد بن كعب بن سليم القرظى " الذى كان من سلالة يهود بنى قريظة ولد سنة ٤٠ هجرية.

٢ - وعن " محمد بن قيس " الذى كان الناطق الرسمى للخلافة فى عصر عمر بن عبد العزىز.

٣ - وعن " أبي العالية البراء " اسمه زياد وقيل كلثوم وقيل أدينة وقيل ابن أدينة - من الرابعة مات سنة ٩٠.

٤ - وعن " سعيد بن جبیر " وهو من التابعين ولم يكن من الصحابة، ولم يدرك عصر الرسول (ص).

٥ - وعن " عبد الله بن عباس " الذى ولد كما ذكرنا فى السنة العاشرة منبعثة ولم يكن قد ولد فى العصر الذى تتحدث عنه الأسطورة.

ورويت بعض الروايات:

٦ - عن " الضحاك بن مزاحم الهلالى " وهو من الطبقة الخامسة من الرواية، (توفي سنة ٩٤ هجرية).

٧ - وعن " مجاهد بن جبر " وهو من الطبقة الثالثة، توفي سنة ١٠٣ أو ١٠٤.

٨ - وعن " قتادة بن دعامة السدوسي " وهو من الطبقة الرابعة، توفي سنة بضع عشرة بعد المائة.

٩ - وعن " السدى أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن " وهو من الطبقة

الرابعة، توفي سنة ١٢٧٥.

١٠ - "أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المدني" ولد زمن عمر وهو من الطبقة الثالثة، مات سنة أربع وتسعين.

وليس في كل هؤلاء الرواية ممن صحاب النبي (ص) ورآه غير ابن عباس الذي قلنا إنه ولد في السنة العاشرة، ولم يكن واحد من هؤلاء الرواية ممن كان موجودا في العصر الذي تتحدث عنه الأسطورة.

كانت هذه اسناد روايات الأسطورة، ولم نجد رواية نسبت إلى غيرهم في كتب التفاسير والسير والتاريخ والحديث، فقد انحصرت الروايات بهؤلاء (١).

دراسة متون الروايات:

أما متون روايات الأسطورة، فإنها تتحدث عن سورة النجم وآيات في سورة الحج:

أ - آيات سورة النجم:

أما سورة النجم فإنها تتحدث عن عقائد المشركين حول بعض أصنامهم وتردها، وخاصة عقیدتهم حول الأصنام الثلاثة: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، اللاتي كانوا يزعمون أنها تمثل بعض الملائكة بنيات الله.

ففي هذه الآيات أشار إلى هذا الزعم، حيث قال جل اسمه: (أَفَرَأَيْتَمِ اللاتِ وَالْعَزِيْزِ * وَمِنَةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْشَى) أي إنكم تعتقدون أن الملائكة بنيات الله، ولكم الذكر ولله البنات، ثم يقول بعد هذه الآية: (تَلَكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْزِي).

ويرد قولهم بعد ذلك فيقول: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا

(١) راجع ترجمتهم بتقرير التهذيب المجلد الأول والثاني.

انزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الضن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * ألم لانسان ما تمنى * فللها الآخرة والأولى * وكم من ملك في السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسون الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الضن وإن الضن لا يعني من الحق شيئاً * فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى (النجم: ٢٣ - ٣٠).

هكذا ترد هذه الآيات مزاعم المشركين، حيث كانوا يزعمون أن الملائكة تشرع لهم، وإن هذه الأصنام التي سميت باسم الملائكة - تمثل الملائكة الذين كانوا يعتقدون بأنهم بنات الله، والله يقول إن الملائكة لا يشفعون إلا لمن يأذن منهم أن يشفع، فكيف بهذه الأصنام التي سميت بها باسم الملائكة وزعمتم أن الملائكة إناث؟ وما لكم به من علم، إن تتبعون إلا الضن.

ولو فرضنا إن قائلًا قال هكذا: "أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلي، منها الشفاعة ترجى، الکم الذكر وله الأنثى، تلك إذا قسمة ضيزي، ان هي إلا أسماء سميت بها التم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون إلا الضن وما تهوى الأنفس". إذا كانت الآيات تدل على هذه المزعمة: "ان تلك الغرانيق العلي، منها الشفاعة ترجى، ان هي إلا أسماء سميت بها التم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان!".

لست أدرى كيف لم يتتبه واضعوا هذه الأسطورة السخيفية حين قالوا: إن الشيطان القى على لسان رسول الله (ص) بعد ذكره اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أن يقول: تلك الغرانيق العلي، وإن شفاعتهم لترجى؟! كيف لم يتبعوا ان بعد الآية (أفرأيتم...) مباشرة استهزاء بهذه العقيدة بقوله تعالى: (أَلَمْ

الذكر وله الأنثى) (تلك إذا قسمة ضيزي؟)؟ ثم مجابهة لهم بالاستنكار وبتكميبل زعمهم بقوله تعالى بعدها: (إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباءكم * ما أنزل الله بها من سلطان). خم اعقبه انكار شفاعة الملائكة بدون اذن الله، فكيف بتماثيلهم من الأصنام؟! وأكد في الانكار عليهم مرة أخرى في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وان المشركين لا علم لهم بذلك، ثم أمر الرسول (ص) بالاعراض عنهم وان يدمغهم بقوله تعالى: (ذلك مبلغهم من العلم...) الآيات.

لست أدرى كيف غاب عن ناسبي هذه الأسطورة ومصدقيها من اعلام مفسري مدرسة الخلفاء ان المشركين الجاهليين بمكة لم يكونوا عجما لا يفهمون هذه المعركة الصاخبة من الذم والتقرير والاستهزاء والسخرية؟ بل كانوا عربا اصحابا، جل ثقافتهم نظم القصائد في المدح والهجاء، ومرهفي الاحساس فيما يجري في معاريض الكلام. يطربهم المدح، ويثيرهم الهجاء إلى حد إقامة الحروب وإراقة الدماء في سبيل المفاحرة والمناظرة!!

كان ذلك مغزى الآيات في سورة النجم المناقضة لمغزى الآيات الشيطانية المفترأة التي يدركها بجلاء من كان له أدنى إلمام باللغة العربية.

ب - آيات سورة الحج:

اما في ما ورد في سورة الحج، فان واضعي الأسطورة افتروا على الوحي وعلى رسول الله (ص) وقالوا: ان جبريل جاء بعد ذلك إلى رسول الله، أي بعد ان القى الشيطان على لسانه (ص) - معاذ الله - : " تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتاحى "، وقرأها رسول الله (ص) ضمن تلاوته للسورة، وسجد لقراءته المشركون وسجد المسلمون لسجود رسول الله (ص)، بعد ذلك جاءه جبريل وأنبأه الرسول (ص) بان الجملتين لم ينزلهما الله عليه، وإنما هما من الشيطان، فحزن لذلك رسول الله (ص) فأنزل الله عليه هذه الآية من سورة الحج:

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبِي إِلَّا إِذَا تَمَنَى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي
أَمْنِيَتِهِ فَيَنْسِخَ اللَّهَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانَ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلْ مَا
يَلْقَى الشَّيْطَانَ فَتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ وَالْقَاسِيَّةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي
شَقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتَنَحَّبُتْ لَهُ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لِهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ) (الْحُجَّ: ٥٢ - ٥٤).

وزعموا أنَّ معنى الآية: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبِي إِلَّا إِذَا
تمَنَى، يعني: إِلَّا إِذَا تَلَى، أي قرأَ كِتَابَ اللَّهِ، أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَتِهِ، أي في قرائته،
فَيَنْسِخَ اللَّهَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانَ. هَكَذَا زَعَمُوا!

ولفهم مغزى الآيات ينبغي ان نرجع إلى اللغة العربية والى ما ورد في
القرآن الكريم من مادة الأمانة، ولنرى فيما استعملت كلمة الأمانة والتمني.
فنقول: أما الأمانة فهي من مادة "منى": تمني الشيء المحبوب، يعني:
رغب في أن يناله، وحدثته نفسه بوقوعه. والأمانة: ما يرغب فيه المرء
ويتشهاد، وتجمع على الأماني.

هَكَذَا وَرَدَ مَعْنَى الْكَلْمَةِ فِي مَعَاجِمِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَمَّا مَوَارِدِ اسْتِعْمَالِهَا فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: فَقَدْ وَرَدَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ الْآيَةِ ٢٤ بِنَفْسِيِّ الْمَعْنَى: (أَمْ لِلْأَنْسَانَ مَا
تَمَنَّى * فَلَلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى). وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: أَمْ لِلْأَنْسَانَ مَا قَرَأَ، بَلْ مَا اشْتَهَى
النَّفْسُ.

وفي سورة القصص - أيضا - بعد أن يتحدث عن قارون وما أُوتِيَّ مِنْ
الْمَالِ، وَكِيفَ خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِيَّتِهِ، قَالَ: (قَالَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا
لَيْتَ لَنَا مَثْلُ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ) - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى -: (وَخَسَفْنَا بِهِ
وَبَدَارَهُ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فَتَّةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ
الْمُتَّصِرِّينَ) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ

الرُّزق لِمَن يُشَاء مِنْ عَبَادِهِ وَيُقْدَرُ...) الآيَةِ .
إِذَا فَانَ: (تَمَنُوا مَكَانَهُ) لَيْسَ مَعْنَاهُ: قَرَأُوا مَكَانَهُ، بَلْ تَمَنُوا أَنْ يَكُونُوا
مَكَانَهُ فِي مَا يَمْلِكُ مِنَ الْمَالِ .
وَكَذَلِكَ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَادَةُ (مَنْ يَ) فِي سُورَةِ آلِ عُمَرَانَ / ١٤٣
وَالنِّسَاء / ٣٢ وَ ١٢٣ وَالْجَمَعَةُ / ٦ وَ ٧ وَالْبَقْرَةُ / ٩٤ وَ ٩٥ وَ ١١١ .
وَلَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْمَادَةُ بِمَعْنَى " قَرَأَ " فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، غَيْرُ أَنْ
الْمُفَسِّرِينَ اسْتَنَادُوا إِلَى رِوَايَاتٍ تَلَكَّ الأَسْطُورَةَ فَسَرَوْا " الْأَمْنِيَّةَ " وَ " تَمَنَّى "
بِالْقِرَاءَةِ وَ قَرَأَ، وَبِذَلِكَ شُوَشُوا عَلَى الْبَاحِثِينَ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ فَهُمُ الْآيَةُ .
وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْآيَاتِ فِي سُورَةِ الْحَجَّ وَمَوْضِعِهَا، نَجِدُ أَنَّ الْآيَاتَ:
(٥٠ - ٥٣)، الَّتِي تَحْدَثَتْ عَنْهَا الأَسْطُورَةُ، وَرَدَتْ ضَمِّنَ آيَاتٍ ذَاتَ وَحْدَةٍ
مَوْضِعِيَّةٍ، ابْتِدَاءً مِنَ الْآيَةِ (٤١) حَتَّى الْآيَةِ (٥٥) وَمَا بَعْدَهَا، حِيثُ يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى فِيهَا: (وَإِنْ يَكُذُّبُوكَ فَقَدْ كَذَبْتُ قَبْلَهُمْ قَوْمًا نُوحَ وَعَادَ وَثَمُودَ * وَقَوْمًا
إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمًا لَوْطًا وَأَصْحَابَ مَدِينَ وَكَذَبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرًا). ثُمَّ يَذَكُّرُ عَاقِبَةُ الْمَكَذِّبِينَ فِي الْآيَاتِ (٤٥ - ٤٨) ثُمَّ يَخَاطِبُ
نَبِيَّهُ وَيُسَلِّيَهُ لِأَنَّهُ نَذِيرٌ وَقَالَ: (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوا فِي آيَاتِنَا مَعَاجِزِنَا أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ). وَيَسْتَمِرُ فِي
الْتَّسْلِيَّةِ وَيَقُولُ: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى) أَيْ إِذَا
أَحَبَّ وَاجْتَهَدَ فِي نِجَاحِ دُعْوَتِهِ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ) الْعَرَاقِيلَ وَالشَّبَهَةَ فِي طَرِيقِ أَمْنِيَّتِهِ
فَيَنْسِخُ اللَّهُ - أَيْ يَزِيلُهَا وَيُبْطِلُ أَثْرَهَا - كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: (بَلْ نَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ إِذَا هُوَ زَاهِقٌ) [الآيَةُ: ١١٨].
وَعَلَى هَذَا، فَانَّ تَمَنِي النَّبِيِّ (ص) وَأَمْنِيَّتِهِ، هِيَ رَغْبَتُهُ الْمُلْحَّةُ فِي هُدَايَةِ النَّاسِ .
وَالْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا هُوَ الْقَاءُ الشَّبَهَةِ وَالْوَسَاوِسِ فِي طَرِيقِ أَمْنِيَّتِهِ، وَيَنْسِخُهَا اللَّهُ

يعني: يزيل تلك الشبهات والوسوس، وفي ذلك يكون إحكام آياته. كان ذلك تفسير الآية مع ملاحظة موقعها ضمن الآيات ذات الوحدة الموضوعية في السورة.

الالقاءات الشيطانية:

وأما الالقاءات الشيطانية التي كان يقوم بها خصوم الاسلام فقد ورد في قوله تعالى:

١ - (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (١).

٢ - (والذين سعوا في آياتنا معاجزين...) (٢).

٣ - (وإذا تتلئ عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) (٣).

٤ - (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون... * وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا) (٤).

وأخبر سبحانه وتعالى عن بعض ما يلقون إلى الناس وقال: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمهم بشر لسان الذي يلحدون إليه أعمامي وهذا لسان عربي مبين) (٥).

(١) فصلت: ٢٦.

(٢) الحج: ٥١ - سبأ: ٥.

(٣) الأنفال: ٣١.

(٤) الفرقان: ٤ و ٥.

(٥) النحل: ١٠٣.

وَكَثِيرٌ مِّثْلُهَا الَّتِي أَخْبَرَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْالْقَاءِاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ فِي شَأْنِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ شَبَهَاتِ أَمْحَاكِهِ اللَّهُ وَنَسْخَهَا وَأَحْكَمَ آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ بِمَا تَحْدَاهُمْ فِي
أَمْثَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رِيبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَاتَّوْا بِسُورَةِ مِنْ مُّثْلِهِ
وَادْعُوا شَهِداءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كَتَمْتُمْ صَادِقِينَ) إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... (١).

وَيَخْبُرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَلْقَوْنَ الشَّبَهَاتِ وَالْوَسَاوِسَ إِنَّهُمْ مِّنْ
الْجَنِّ وَالْإِنْسَنِ وَقَالَ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ إِنْسَانًا وَالْجَنِّ يَوْحِي
بَعْضُهُمْ إِذْ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَدِرْهَمٌ وَمَا
يَفْتَرُونَ) (٢).

وَأَخِيرًا لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى كُلِّ هَذَا التَّفْصِيلِ إِذَا عَرَفْنَا أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الْآيَاتِ
مِنْ سُورَةِ الْحَجَّ وَآيَةً: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيًّا إِلَّا إِذَا تَمَنَّى) كَانَتْ ضَمِّنَ
الْحَادِثَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي مَكَّةَ فِي قَصْةِ الْغَرَانِيقِ الْمُفْتَرَأَةِ، بَيْنَمَا سُورَةُ الْحَجَّ كُلُّهَا مَدْنِيَّةٌ،
نَزَّلَتْ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ؟ وَفِي هَذَا أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى كَذَبِ الْأَسْطُورَةِ،
وَلَا نَحْتَاجُ لِكُلِّ مَا أُورِدَنَاهُ مِنْ الْاحْتِجاجِ عَلَى بَطْلَانِ هَذِهِ الْقَصَّةِ!!
مَقَارِنَةُ الْرَوَايَاتِ بِنَصْوُصِ الْقُرْآنِ

لَسْتُ أَدْرِي، كَيْفَ يَصِدِّقُونَ الْأَسْطُورَةَ وَيَكْتُبُونَهَا فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ وَقَدْ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) * اَنَّهُ لَيْسَ
لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ

(١) الْبَقْرَةُ: ٢٣ وَ ٢٤.

(٢) الْأَنْعَامُ: ١١٢.

والذين هم به مشركون) (١)؟

كيف يصدقون ذلك؟ وهم يتلون في كتاب الله:

١ - (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) (٢).

٢ - (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من ابعده من الغاوين) (٣).

٣ - ويقول الله سبحانه وتعالى: (وانه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد * ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسول من قبلك... ولو جعلناه قرآنًا أعمجيا لقالوا لولا فصلت آياته أَعجمي وعربي...) (٤).

٤ - ويتلون - أيضا - في سورة النجم نفسها: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى) (٥).

٥ - وفي سورة الحاقة: (ولو تقول علينا بعض الأقوايل * لأنخذنا منه

باليمين * ثم لقطعنا منه الورتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) (٦).

٦ - وفي سورة يونس: (قل ما يكون لي أن أبدل من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي) (٧).

وليت شعري كيف لم يدرك هؤلاء وأولئك أن الذي يقضى حياته في مكافحة عبادة الأصنام وتحطيمها لا يمكن أن يتفوه بهذه الكلمات؟

(١) النحل: ٩٨ - ١٠٠.

(٢) الاسراء: ٦٥.

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) فصلت: ٤١ - ٤٤.

(٥) النجم: ٣ - ٥.

(٦) الحاقة: ٤٤ - ٤٧.

(٧) يونس: ١٥.

مخالفة الأسطورة لعصمة الأنبياء في التبليغ

إن العلماء، بمدرسة الخلفاء، وإن لم يعترفوا بعصمة الأنبياء كما اعترف بها أتباع مدرسة أهل البيت في جميع أفعالهم وأقوالهم، غير أنهم يقولون بعصمة الأنبياء في تبليغ الوحي وعصمتهم في حفظ الوحي كي يصدق القول بعصمتهم في التبليغ. وبأيمانهم بهذه الأسطورة ورواياتهم لأنباءها ناقضوا هذا الإيمان، فان النبي (ص) على ما زعموا في الاخبار المفتراء على رسول الله (ص) لم يعصمه الله عن القاء الشيطان في تلقيه الوحي وحفظه وتبليغه، وماذا يبقى من الاطمئنان بالقرآن الكريم بعد هذا (١)؟!

كشف الحقيقة:

هذه الأسطورة وردت - كما ذكرنا - في تفاسير مدرسة الخلفاء وبعض كتب السير والتاريخ عندهم. وإذا رجعنا إلى مدرسة أهل البيت نجد كشف الحقيقة عند أحد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام وهو ابن الكلي (المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦) انه

يخبر في كتابه "الأصنام" عن حقيقة الواقعة، يقول: وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعزى، ومناء الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العلي، وان شفاعتهن لترتحي. وكانوا يقولون: بنات الله (عز وجل عن ذلك) وهن يشفعن إليه.

فلما بعث الله رسوله (ص) أنزل عليه: (أفرأيتم اللات والعزى * ومناء

(١) ان هذا الكلام يرد على من دون تلك الروايات المختلقة في كتابه، وجعل الأجيال من بعده يتداولونها حتى اليوم، ولا يرد على من أنكرها من أعلام مدرسة الخلفاء.

الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزي * إن هي إلا أسماء سميت بها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) (١). وروي عن محمد بن إسحاق بن حزيمة انه الف كتابا في هذا الصدد وبرهن فيه ان روایات الغرانيق وضعتها الزنادقة.

فأقول: إنني لم أر الكتاب، ولم أعرفه، ولم أر دليلا على ذلك، ولكننا في بحوثنا عن الزنادقة وجدناهم يختلفون ما يختلفون، ويدخلونها ويدرسونها في سنة الرسول (ص). ووجدنا عند علماء الحديث وصفا لكيفية عمل الزنادقة، وبيانا يزيل الغموض. مثل ما ذكره ابن الجوزي (ت ٥٩٧) في كتاب الموضوعات، في وصف من تعمدوا الكذب الصريح في رواية الحديث، حيث قال في تعدادهم: القسم الأول: الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة، وایقاع الشك فيها في قلوب العوام، والتلاعيب بالدين، كعبد الكريم بن أبي العوجاء، وكان حال معن ابن زائدة ورئيس حماد بن سلمة، وكان يدرس الأحاديث في كتب حماد. كذلك قال أبو أحمد بن عدي الحافظ، فلما أخذ ابن أبي العوجاء أتى به محمد بن سليمان بن علي فأمر بضرب عنقه، فلما أيقن بالقتل قال: والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال واحلل فيها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتكم في يوم فطركم (٢).

وروي عن المهدي الخليفة العباسي أنه قال: أقر عندي رجل من الزنادقة انه وضع أربع مائة حديث فهي تجول في أيدي الناس. وقال المصنف: وكان من يضع الحديث (مغيرة بن سعيد) و (بيان).

(١) الأصنام لابن الكلبي ص ١٩ تحقيق احمد زكي ط. مصر سنة ١٣٨٤.

(٢) الطبرى ج ٣ / ٣٧٦ ط. أوربا وابن الأثير ج ٦ / ٣ . وابن كثير ج ١٠ / ١١٣ والذهبي في ميزان الاعتدال.

وقال ابن نمير: كان مغيرة ساحرا، وكان بيان زنديقا، فقتلهما خالد بن عبد الله القسري وأحرقهما بالنار، وقد كان في هؤلاء الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدوس في كتابه ما ليس من حديثه، فيرويه ذلك الشيخ ظنا منه أن ذلك من حديثه.

وروبي عن الحكم بن المبارك أنه قال: سمعت حماد بن زيد يقول: وضعت الزنادقة على رسول الله (ص) أربعة عشر ألف حديث (١).
* * *

(١) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ / ٣٧ - ٣٨ ط. المدينة المنورة سنة ١٢٨٦ هـ.

نتيجة البحث

كانت تلكم حقيقة خبر الجمل المسجوعة في شأن الغرانيق. وأما حقيقة شأن رجوع المهاجرين من الحبشة فكالآتي خبره: قال البلاذري في خبر أمر الهجرة من مكة إلى المدينة: فجعلوا يتجهزون إلى المدينة في خفي وستر، ويتسللون. فيقال إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة. وجعلوا يترادون بالمال والظهر، ويترافقون. وبلغ من بالحبشة من المسلمين هجرة أخوانهم، فقدم من قدم مكة للهجرة مع النبي (ص). وكان من قدم مكة أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسم أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، ثم هاجر، فكان الثالث بعد مصعب بن عمير وابن أم مكتوم. وكان مصعب أول من قدمها، وجهه رسول الله (ص) ليعلم الناس القرآن. ثم تلاه ابن أم مكتوم. وسمعت من يذكر أن أبا سلمة قبل ابن أم مكتوم. والخبر الأول أثبت (١).

إذا فقد كانت حقيقة رجوع بعض المهاجرين من الحبشة إلى مكة لوصول خبر هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة، ولكن الوضاعين أسندوا جملات فريش المسجوعة في شأن الغرانيق إلى الرسول (ص)، وذكروا أن سبب رجوع بعض المهاجرين من الحبشة إلى مكة وصول ذلك الخبر المفترى به على رسول الله (ص) بينما كان سبب رجوع بعضهم إلى مكة وصول خبر هجرة المسلمين إلى المدينة.

(١) أنساب الأشراف ج ١ / ٢٥٧ ط. مصر سنة ١٣٦٩ رقم الخبر ٥٩٦ وفي ترجمته بأسد الغابة ج ١ / ٣١: أسلم... وهاجر إلى أرض الحبشة معه امرأته أم سلمة، ثم عاد وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وجرح بأحد واستشهد في جمادى الآخرة سنة ثلث من الهجرة.

هكذا لفق الوضاعون من الزنادقة من الخبرين الآنفرين أسطورة خرافية وأسندوا روایتها إلى بعض الصحابة والتابعين وتابعی التابعین زورا وبهتانا، ثم دسوها في كتب بعض المصنفين بمدرسة الخلفاء دون أن ينتبه إليها) ثم جاء بعدهم كتاب السيرة والتفسير بمدرسة الخلفاء ودونوها في مصنفاتهم غفلة منهم عن حقيقة الأمر.

وإنما قلنا أن واضعي تلك الأسطورة هم الزنادقة، لما وجدناهم وضعوا آلاف الأخبار المفتراء التي كشفنا عن حقيقة مئات منها في كتابينا (عبد الله بن سبأ) و (خمسون ومائة صاحب مختلق). وقد أخبر قبلنا محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) أن الزنادقة هم الذين وضعوا هذه الأسطورة، ونحن نرى أن زمان وضع تلکم الأسطورة كان أوائل القرن الثاني الهجري.

ومهما يكن أمر زمان تلکم الأحاديث فإنها انتشرت في كتب تفاسير مدرسة الخلفاء وكتب السير والتاريخ عندهم، وتناقلوها جيلاً بعد جيل، حتى برع المستشرقون في القرون الأخيرة، ووجدوا بغيتهم في هذه الأسطورة ونقلوها في كتبهم التي ألفوها باسم معرفة الإسلام وتعریف نبیه، وزادوا عليها من عندهم على قدر ما ساعدتهم خيالهم الخصیب في التحوير والتزویر باسم التحلیل والتعلیل، كالمستشرق الهولندي "یوسف شاخت" في مادة "أصول" من دائرة المعارف الإسلامية، والمستشرق الدانماركي "بوهل" الأستاذ في جامعة لایزیک في مختصر دائرة المعارف الإسلامية، بعد تقديم مقدمات يصور الأسطورة على أنها حقيقة، والبرفسور "مونتغمري واط" الأستاذ في العلوم الإسلامية ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة ادنبرغ في اسکتلندا في كتابه: "محمد الرسول والسياسي".

وكل هؤلاء زينوا الأسطورة وأوردوها بصورة تحلیل وتحقيق علمي مع

مقدمات ومؤخرات (١).
وكان آخرهم وليس الأخير، المرتد في عصرنا "سلمان رشدي" الذي
أوردها على صورة خيالية وبصورة سخرية واستهزاء.
* * *

إلى هنا درسنا الروايات التي أسندة روايتها إلى أم المؤمنين عائشة
وحدها أو مع غيرها بقصد تمحيق سنة الرسول (ص).
وفي البحث الآتي ندرس باذنه تعالى مشاركة أم المؤمنين عائشة في تمحيق
سنة الرسول (ص).

(١) تأتي أقوالهم ودراستها في الباب السادس من الكتاب باسم: المسنون واستفادتهم من
الروايات - إنشاء الله -.

باب الخامس
مشاركة أم المؤمنين عائشة في
تمحیص سنة الرسول (ص) واستدراکها على:
- أبي درداء - أبي هريرة - عروة بن
الزبیر - الخليفة عمر - عبد الله بن عمر
- عبد الله بن عمرو بن العاص - كعب
الأبخار - مروان بن الحكم - بعض الناس

(٣٣٣)

أ - استدراكها على أبي الدرداء في قوله: من أدرك الصبح فلا وتر له:
في مسنده أَحْمَدَ، بِسْنَدِهِ:

أَخْبَرَ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءَ كَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ أَنَّ لَا وَتَرَ لِمَنْ أَدْرَكَ الصَّبَحَ، فَانْطَلَقَ
رَجُالٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَهَا.
فَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَصْبِحُ فَيُوْتَرُ (١).

ولفظه في سنن البيهقي:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ خَطَبَ قَوْلًا: مَنْ أَدْرَكَهُ الصَّبَحَ فَلَا وَتَرَ لَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ
لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ: كَذَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَصْبِحُ فَيُوْتَرُ (٢).

ب - استدراكها على أبي هريرة في روايته قول الرسول (ص): الدار
والمرأة والفرس:
في مسنده أَحْمَدَ، بِسْنَدِهِ قَالَ: إِنَّ
رَجُلَيْنِ دَخَلَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا: أَنَّ أَبَا هَرِيرَةَ يَحْدُثُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ (ص)
كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا الطِّيرَةَ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ قَالَ: فَطَارَتْ شَقَّةٌ مِّنْهَا فِي السَّمَاءِ
وَشَقَّةٌ فِي الْأَرْضِ.

(١) مسنده أَحْمَدَ ج ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) سنن البيهقي ج ٢ / ٧٨ .

فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله (ص) كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة، ثم قرأت عائشة: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب) إلى آخر الآية (١).

ج - استدراكها على أبي هريرة في روايته قول الرسول (ص): امرأة عذبت في هرة:

في مسند أحمد، بسنده عن علقة قال:

كنا عند عائشة فدخل عليها أبو هريرة، فقالت: يا أبو هريرة أنت الذي تحدث أن امرأة عذبت في هرة لها ربطتها لم تطعمها ولم تسقها؟

قال أبو هريرة: سمعته منه، يعني النبي (ص).

فقالت عائشة: أتدرى ما كانت المرأة؟

قال: لا.

قالت: إن المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة، فإذا حدثت عن رسول الله (ص) فانظر كيف تحدث (٢).

وفي صحيح مسلم بسنده عن أبي بكر قال:

سمعت أبو هريرة يقص في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يضم.

قال: فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (أبيه) فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألهما عبد الرحمن

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٢٤٦ وبألفاظ أخرى في ص ١٥٠ و ٢٤٠.

(٢) مسند أحمد ج ٦ / ٢٩٩.

عن ذلك.

قال: فَكَلَّتَا هُمَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ (ص) يَصْبُحُ جَنْبًا مِنْ غَيْرِ حَلْمٍ ثُمَّ يَصُومُ (١)....

د - استدراكها على أبي هريرة في روايته قول الرسول (ص): لأن أمتّع بسوط في سبيل الله أحب إلى من أن أعتق ولد الزنى: روى البيهقي بسنده قال:

بلغ عائشة أن أبي هريرة يقول: إن رسول الله (ص) قال: لأن أمتّع بسوط في سبيل الله أحب إلى من أن أعتق ولد الزنى، وإن رسول الله (ص) قال: ولد الزنى شر الثلاثة، وإن الميت يعذب بكاء الحي.

فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة أساء سمعا فأساء إصابة.

(اما قوله): لأن أمتّع بسوط في سبيل الله أحب إلى من أن أعتق ولد الزنى، إنها لما تزلت: (فلا اقتحم العقبة * وما ادرك ما العقبة) قيل: يا رسول الله ما عندنا ما نعتق، إلا أن أحذنا له جارية سوداء تخدمه وتسعى عليه، فلو أمرناهن فزنين فجئن بالأولاد فأعتقناهم، فقال رسول الله (ص): لأن أمتّع بسوط في سبيل الله أحب إلى من أن آمر بالزنى ثم أعتق الولد.

(واما قوله): ولد الزنا شر الثلاثة، فلم يكن الحديث على هذا، إنما كان رجل من المنافقين يؤذني رسول الله (ص) فقال: من يعذري من فلان؟ قيل: يا رسول الله مع ما به ولد زنى، فقال رسول الله (ص): هو شر الثلاثة، والله

(١) صحيح مسلم ج ٣ / ١٣٧ ط. دار الجليل باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب.

عز وجل يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (١).

هـ - استدراكها على أبي هريرة وابن عمر في قوله (ص): لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً ودماً:

في صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أحمد وسنن أبي داود بسندهم عن أبي هريرة وابن عمر:

أن رسول الله (ص) قال: (لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً ودماً خيراً من أن يمتلى شعراً) (٢).

فقالت عائشة: لم يحفظ إنما قال: من أن يمتلى شعراً هجيت به (٣).

وروت عن رسول الله (ص): انه كان يضع لحسان منبراً في المسجد فيقوم عليهم يهجو من قال في رسول الله (ص)، وقول الرسول (ص): "إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله" (٤).

في مستدرك الحاكم وتلخيصه:

عن عائشة أنها دعت أبي هريرة فقلت له: يا أبي هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي (ص)? هل سمعت إلا ما سمعنا؟ وهل رأيت إلا ما رأينا؟ قال: يا أماه كان يشغلك عن رسول الله (ص) المراة والمكحولة والتصنع

(١) سنن البيهقي ج ٢ / ٢١٥ كتاب العنق و ج ١٠ / ٥٨ كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، ج ٤ / ٥٠ - ٥١، وصحيح مسلم، كتاب الشر، الحديث ٧ - ٩، ج ٤ / ٩ - ١٧٦٩، ومسند أحمد ج ١ / ١٧٧ و ٢ / ٣٩ و ٩٦، وسنن أبي داود ج ٢ / ٣٠٤ الحديث رقم ٥٠٠٩.

(٣) فتح الباري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ١٣ / ١٦٧.

(٤) سنن أبي داود ٤ / ٥٠١٥، ح ٣٠٤، و المعجم الكبير ٤ / ٣٧، ح ٣٥٨٠.

لرسول الله (ص) واني والله ما كان يشغلني عنه شيء (١).
و - استدراكها على عروة بن الزبير في قوله: ما أبالي أن لا أطوف بين الصفا والمروة:

في صحيح مسلم وسنن النسائي، واللفظ للنسائي قال ما موجزه:
ان عروة ابن الزبير قال: قرأت على عائشة: (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) قلت: ما أبالي أن لا أطوف بينهما.

فقالت: بسم ما قلت: إنما كان ناس من أهل الجاهلية لا يطوفون بينهما، فلما كان الإسلام ونزل القرآن: (إن الصفا والمروة من شعائر الله، الآية. فطاف رسول الله (ص) وطافنا معه فكانت سنة).

أخبرني عمرو بن عثمان قال: حدثنا أبي، عن شعيب، عن الزهري، عن عروة قال: سألت عن قول الله عز وجل: (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة.

قالت عائشة: بئسما قلت يا بن أختي، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها كانت: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما" ولكنها نزلت في الأنصار قبل أن يسلموا، كانوا يهلوون لمناة الطاغية (٢) التي كانوا يعبدون عند المشبل (٣) وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما سألوا رسول الله (ص) عن ذلك

(١) المستدرك ج ٣ / ٥٠٩ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وقال في تلخيصه: صحيح.

(٢) (المناة الطاغية): هي صفة لمناة. وصفت بها باعتبار طغيان عبدتها. والطغيان مجازة الحد في العصيان. فهي صفة أطلقها الإسلام عليها.

(٣) (المشبل): جبل يهبط منه إلى قديد. قديد واد وموضع.

أنزل الله عز وجل: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) ثم قد سن رسول الله (ص) الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بهما (١).

ز - استدراكها على عروة بن الزبير وآخرين في قولهم: إن الصلاة يقطعها الكلب والحمار والمرأة:

في صحيح مسلم ومسند أحمد، واللفظ للأول:

ان عائشة ذكر عندها ما يقطع الصلاة: الكلب والحمار والمرأة.

فقالت عائشة: قد شبهتمونا بالحمير والكلاب. والله! لقد رأيت رسول

الله (ص) يصلّي وإنّي على السرير، بينه وبين القبلة مضطجعة! فتبعدوا لي الحاجة فأكره أن أجلس فأؤذني رسول الله (ص) فأنسّل من عند رجليه (٢).

وفي رواية أخرى قالت: عدلتونا.

ح - استدراكها على الخليفة عمر بن الخطاب في ضربه على الصلاة بعد العصر:

في صحيح البخاري ومسلم ما موجزه:

أن عبد الله بن عباس قال: كنت أضرب مع عمر بن الخطاب عن الصلاة

(١) سنن النسائي ج ٥ / ٢٣٧ - ٢٣٩ كتاب الحج باب ذكر الصفا والمروة. صحيح مسلم ج ٢ / ٩٢٩ كتاب الحج باب ٢٤٣ الحديث رقم ٢٦١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلى، الحديث رقم ٢٦٦، وباب الاعتراض بين يدي المصلى، الحديث رقم ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١، ج ١ / ٣٦٥ - ٣٦٧. ومسند أحمد ج ٦ / ٤٢ و ١٣٤.

بعد العصر (١).

وفي صحيح مسلم بعده: أنها قالت: وهم غمر. إنما نهى رسول الله (ص) أن يتحرى طلوع الشمس وغروبها (٢).

وفي رواية أخرى أنها قالت:

لم يدع رسول الله (ص) الركعتين بعد العصر. قال: فقلت عائشة: قال رسول الله (ص): لا تتحرروا طلوع الشمس ولا غروبها، فتصلوا عند ذلك (٣).

قال المؤلف: لعل الحكمة في ذلك: ان التحرى لطلوع الشمس وغروبها للصلوة يشبه فعل من يعبدون الشمس.

ط - استدراكها على الخليفة عمر وابنه عبد الله روايتهما عن رسول الله (ص) أنه قال: إن الميت يذب بكاء أهله عليه (٤).

روى مسلم بسنده عن أبي موسى أنه قال:

لما أصيّب عمر أقبل مهيب من منزله حتى دخل على عمر فقام بحاليه (٥) يبكي.

فقال عمر: علام تبكي؟ أعلى تبكي؟

(١) صحيح البخاري ج ١ / ١٤٩ كتاب السهو، باب إذا كلم وهو يصلّي و ج ٣ / ٥٣ كتاب المغازى، باب وفد عبد القيس و صحيح مسلم ج ١ / ٥٧١ - ٥٧٢، كتاب صلاة المسافرين، باب لا تتحرروا بصلاتكم طلوع الشمس وغروبها، الحديث ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧، و باب استحباب ركعتين قبل المغرب، الحديث ٣٠١ و ٢٩٩، و مسنّد أحمد، ج ٦ / ١٢٤ و ٢٥٥.

(٢) تقدم آنفا تحت رقم ١.

(٣) تقدم آنفا تحت رقم ١.

(٤) الجملة عنوان لمجموع ما روی عنهم في الباب.

(٥) بحاليه: أي حذاءه وعنه.

قال: إِي والله! لعليك أبكي يا أمير المؤمنين!
 قال: والله! لقد علمت أن رسول الله (ص) قال: من يبكي عليه يعذب.
 قال: فذكرت ذلك لموسى بن طلحة. فقال: كانت عائشة تقول: إنما كان
 أولئك اليهود (١).
 بسنده عن أنس أنه قال:
 أن عمر بن الخطاب لما طعن عولت عليه حفصة.
 فقال: يا حفصة! أما سمعت رسول الله (ص) يقول: المعول (٢) عليه يعذب?
 وعول عليه صهيب. فقال عمر: يا صهيب! أما علمت أن المعول عليه
 يعذب (٣)?
 في صحيح البخاري (٤) ومسلم، واللفظ لمسلم:
 انه ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبي (ص): إن الميت يعذب في
 قبره يبكيه أهله عليه.
 فقالت: وهل (٥). إنما قال رسول الله (ص): إنه يعذب بخطيئته أو بذنبه، وإن
 أهله ليكون عليه الآن (٦).

(١) صحيح مسلم ج ٢ / ٦٤٠ - ٦٣٩ / ٢ .
 الكتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه،
 الحديث رقم ٢٠.

(٢) المعول عليه يعذب، قال محققون أهل اللغة: يقال: عول عليه وأعول، لغتان وهو البكاء
 بصوت. وقال بعضهم: لا يقال إلا أعول، وهذا الحديث يرد عليه.

(٣) صحيح مسلم ج ٢ / ٦٤٢ - ٦٤٣ / ٢ .
 الكتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه
 الحديث رقم ٢١.

(٤) صحيح البخاري ج ٣ / ٥ كتاب المغازي باب قتل أبي جهل.

(٥) (وهل): بفتح الواو، وفتح الهاء وكسرها. أي غلط ونسبي.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، الحديث رقم ٢٦.

ولفظ الحديث في رواية أخرى لمسلم قال:
ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب بكاء أهله عليه.
فقالت: رحم الله أبا عبد الرحمن. سمع شيئاً فلم يحفظه. إنما مرت على
رسول الله (ص) جنازة يهودي وهم يبكون عليه، فقال: أنتم تبكون وإنه
ليعذب (١).

وفي رواية عن مالك بن أنس:
ان عائشة ذكر لما أن عبد الله بن عمر يقول: إن الميت ليعذب بكاء الحي.
فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ.
إنما مر رسول الله (ص) على يهودية يبكي عليها. فقال: إنهم ليبكون عليها وإنها
لتتعذب في قبرها (٢).

بسنده عن ابن عباس ما موجزه قال:
لما أصيّب الخليفة عمر جاء صهيب يقول: وأخاه! وأصحابه!
فقال عمر: ألم تعلم، أو لم تسمع أن رسول الله (ص) قال: إن الميت ليعذب
بعض بكاء أهله.

قال ابن عباس: فقمت فدخلت على عائشة، فحدثتها بما قال ابن عمر،
فقالت: لا والله! ما قال رسول الله (ص) قط: إن الميت يعذب بكاء أحد، ولكنه
قال: إن الكافر يزيد الله بكاء أهله عذاباً وإن الله لـه أضحك وأبكي (٣). ولا تزر

(١) صحيح مسلم ج ٢ / ٦٤٢ - ٦٤٣، الحديث رقم ٢٥.

(٢) صحيح مسلم ج ٢ / ٦٤٢ - ٦٤٣ الحديث رقم ٢٧.

(٣) (والله أضحك وأبكي): يعني أن العبرة لا يملكها ابن آدم، ولا تسبب له فيها. فكيف
يعاقب عليها؟ فضلاً عن الميت.

وازرة ووزر أخرى (١).
وفي رواية أخرى قال:

لما أُنْ أُصِيبُ عَمْرَ، دَخَلَ صَهِيبَ بْنَ كَيْيَ يَقُولُ: وَأَخَاهُ! وَاصْحَابَاهُ!
فَقَالَ عَمْرٌ: يَا صَهِيبَ! أَتَبْكِي عَلَيْ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنَّ الْمَيْتَ
يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا مَاتَ عَمْرٌ ذَكَرَتْ ذَلِكَ
لِعَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَرْحُمُ اللَّهُ عَمْرَ، لَا وَاللَّهِ! مَا حَدَثَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنَّ اللَّهَ
يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبَكَاءِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ.
قَالَ: وَقَالَتْ عَائِشَةَ: حَسِبْكُمُ الْقُرْآنَ (وَلَا تَنْزِرُ وَازْرَةً وَوزِرَةً أُخْرَى) (٢)

قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ ذَلِكَ: وَاللَّهِ أَضْحَكَ وَأَبْكَى.

وَبِسْنَدِهِ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةَ قَوْلُ عَمْرٍ
وَابْنِ عَمْرٍ قَالَتْ: إِنْكُمْ لَتَحْدِثُونِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبِينَ وَلَا مَكْذِبِينَ، وَلَكِنَّ السَّمْعَ
يَخْطُئُ.

ى - استدراكها على عبد الله بن عمر نهيه للمرحمة لبس الخفين:
روى أبو داود وأحمد ما موجزه:
أن عبد الله بن عمر كان يقطع الخفين للمرأة المحرمة. وإن عائشة قالت:
إن رسول الله (ص) قد كان رخص للنساء في الخفين، فترك عبد الله بن عمر
ذلك (٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب بكاء أهله عليه، الحديث رقم ٢٢
و ٦٤٢ - ٦٤٠ / ٢، ج ٣٢.

(٢) فاطر: الآية ١٨.

(٣) سنن أبي داود ٢ / ١٦٦ - ١٦٧ - كتاب المناسب، ح رقم ١٨٣١. ومسند أحمد ٦ / ٣٥.

ك - استدراًكها على عبد الله بن عمر أن الشهر تسع وعشرون يوماً: في مسنده أحمد بسنده قال:

أخبرت عائشة أن ابن عمر يقول: قال رسول الله (ص): الشهر تسع وعشرون.

فأنكرت ذلك عائشة وقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، ليس كذلك قال رسول الله (ص) ولكنه قال: الشهر يكون تسعًا وعشرين (١).

ل - استدراًكها على عبد الله بن عمرو بن العاص في نقض النساء رؤوسهن عند الغسل:

روى مسلم بسنده قال:

بلغ عائشة أن عبد الله بن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن.

فقالت: يا عجباً لابن عمرو هذا يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن. أفلأ يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله (ص) من إماء واحد. ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات (٢).

ولفظ الحديث في سنن ابن ماجة قال:

بلغ عائشة أن عبد الله بن عمرو يأمر نساءه إذا اغتسلن، أن ينقضن رؤوسهن.

(١) مسنده أحمد ج ٦ / ٢٤٣ و ٥١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب حكم ظفائر المغتسلة، حديث رقم ٥٩، ج ١ / ٢٦٠.

فقالت: يا عجباً لابن عمرو... الحديث (١).

م - استدراكها على كعب قوله: إن محمداً (ص) رأى ربه: روى الترمذى ما موجزه:

إن كعب الأحبار كان يقول: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورأه محمد مرتين.

قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشئ قف له شعري.

قلت: رويداً، ثم قرأت: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى).

قالت: أين يذهب بك؟ إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) فقد أعظم الفريدة. ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى ومرة في جياد له ستمائة جناح قد سد الأفق (٢).

وفي لفظ البخاري:

قال مسروق: قلت لعائشة: يا أمتاه هل رأى محمد ربه؟

فقالت: لقد قف شعري مما قلت... الحديث (٣).

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب ما جاء في غسل النساء في الجنابة ج ١ / ١٩٨.

(٢) سنن الترمذى ج ١٢ / ١٦٨ - ١٧٠ و ج ١١ / ١٨٨ - ١٨٩ - كتاب أبواب التفسير، باب تفسير سورة والنجم.

(٣) صحيح البخاري ج ٣ / ١٢٩ كتاب تفسير، باب سورة والنجم. و ج ١ / ١٦٠ كتاب الإيمان، باب ٧٧.

ن - استدراكها على مروان بن الحكم قوله في عبد الرحمن بن أبي بكر:
هذا الذي أنزل الله فيه: (والذي قال لوالديه أَف):
روى البخاري بسنده وقال:

كان مروان واليا على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد
ابن معاوية لكي يباعع بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال:
خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل
الله فيه: (والذي قال لوالديه أَف لَكُمَا أَتَعْدَانِي) فقالت عائشة من وراء
الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري (١).

إن البخاري لم يذكر الخبر بتمامه.

وتمامه في تاريخ ابن الأثير كالتالي:

قام مروان خطيبا فقال: إن أمير المؤمنين قد اختر لكم فلم يأْلَ، وقد
استخلف ابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله يا مروان! وكذب معاوية،
ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل
قام هرقل.

قال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: (والذي قال لوالديه أَف لَكُمَا)
الآية، فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب،
وقالت:

يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت

(١) البخاري ج ٣ / ١٢٦، في تفسير سورة الأحقاف.

القائل لعبد الرحمن: إنه نزل فيه القرآن؟ كذبت والله ما هو به، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك فضض من لعنة الله.
وفي رواية:

فقالت: كذب والله ما هو به، ولكن رسول الله لعن أبي مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل. انتهى (١).
أنت - استدراكها على بعض الناس استنكارهم على ادخال الجنائز في مسجد الرسول (ص):

في صحيح مسلم بسنده عن عائشة: أنها لما توفي سعد بن أبي وقاص، أرسل أزواج النبي (ص) أن يمروا بجنازته في المسجد فيصلين عليه. ففعلوا. فوقف به على حجرهن يصلين عليه. اخرج به من باب الجنائز الذي كان إلى المقاعد (٢). فبلغهن أن الناس عابوا ذلك وقالوا: ما كانت الجنائز يدخل بها المسجد. فبلغ ذلك عائشة. فقالت: ما أسرع الناس إلى أن يعيروا ما لا علم لهم به! عابوا علينا أن يمر بجنازة في المسجد! وما صلى رسول الله (ص) على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد (٣).

(١) ابن الأثير ج ٣ / ١٩٩ في حوادث سنة ٥٦، وينبغي أن تكون هذه القصة بعد القصة الأولى من أمر مروان بهدم دار سعيد وبالعكس وبعد أن روض من نفوسبني أمية على أخذ البيعة لليزيد.

أخرج القصة بتفصيلها في الأغاني ج ١٦ / ٩٠ - ٩١، وراجع: ترجمة الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة، والمستدرك وغيرها.

(٢) (المقاعد): أي كان منهيا إلى موضع يسمى مقاعد، بقرب المسجد الشريف. اتخاذ للقعود فيه للحوائج والوضوء.

(٣) صحيح مسلم ج ٢ / ٦٦٨ كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز في المسجد.

الباب السادس
أقوال المستشرقين واستفادتهم من
الروايات التي درسناها في أبواب
الكتاب الماضية

- أ - مونتجومري وات في كتابه محمد في مكة.
- ب - ر. ف بودلي في كتابه حياة محمد.
- ج - كارل بروكلمن في تاريخ الشعوب.
- د - ف. بوهل في دائرة المعارف الإسلامية.
- ه - يوسف شاخت في دائرة المعارف الإسلامية.

تمهيد

درسنا بحمد الله تعالى في الباب الثالث والرابع من هذا الكتاب الروايات التي رويت عن أم المؤمنين عائشة وحدها وبيننا زيفها.

وفي الباب الرابع منه درسنا ما افترى عليها وعلى غيرها من الصحابة من روایات وکشفنا زيفها.

وفي هذا الباب "السادس" نستعرض كيف استفاد المستشرقون من تلکم الروايات الزائفة في حربهم للاسلام باسلوبهم الماکر وبعنوان البحث العلمي الهدائی الرصین ولما کنا قد کشفنا في الأبواب السابقة عن زيف كل تلکم الروايات التي اعتمدوها في بحوثهم الماکرة فلا حاجة بعد ذلك إلى مناقشة دراساتهم المبنية من حقدهم للاسلام وأهله لأنهم بنوها (على شفا حرف هار) وإنما غايتنا الكشف عما استفاده المستشرقون ليعرف أهل العلم والبحث أن غايتنا من عرض تلکم الأحادیث ومناقشتها كانت للدفاع عن الاسلام وأهله، وبدون تلك الدراسات لم يكن يتيسر لنا کشف زيف ما استند إليه أعداء الاسلام في حربهم للاسلام والله من وراء القصد.

أ - في سورة البقرة:

(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهَتِّدُوا قُلْ بَلْ مَلَةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفٌ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قَوْلُوا آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (الآيات / ١٣٥ - ١٣٦).

ب - في سورة البقرة - أيضاً -:

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعُ مَلَتْهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ اتَّبَعُتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (الآية / ١٢٠).

ج - في سورة النساء:

(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرِفُونَ الْكَلْمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مَسْمَعٍ وَرَاعَنَا لِيَا بِالسَّنْتِهِمْ وَطَعَنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا وَاسْمَعْ وَانْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمُ وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بَكْفَرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتَوُا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مَصْدِقًا لِمَا مَعَكُمْ) (الآيات / ٤٦ - ٤٧).

د - في سورة المائدة:

(وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذْبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلْمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيْتُمْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدَ اللَّهَ فَتَتِّهِ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدَ اللَّهَ أَنْ يَطْهِرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَزْنٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (الآية / ٤١). *

وَفِي مَا يَأْتِي نَجْدٌ مَصَادِيقٌ لِمَا قَالَهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

أولاً - مونتجومري وات في كتابه محمد في مكة (١)
أ - رواية الزهري:

تقول الروايات إن الله دعا محمداً لأداء رسالة النبوة في الأربعين من عمره، وأخذ يتلقى الوحي من الله. وأفضل نقطة لابتداء هي رواية الزهري مصحوبة بشرح نفس المؤرخ عن فترة انقطاع الوحي. وهذه الرواية ليست متصلة كرواية ابن هشام بل هي تجمع مقاطع وصلت إلى علم الزهري، والنص كما وصل إلينا لا يحتوي على تقسيمات. وقد أدخلنا بعض التقسيمات هنا للتسهيل، وهي تظهر في نص الزهري عند تغيير الرواية.

(أ) سمعت النعمان بن راشد يحدث عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كان أول ما ابتدئ به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجئ مثل فلق الصبح.

(ب) ثم حبب إليه الخلاء فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه فقال: يا محمد أنت رسول الله.

(ج) قال رسول الله (ص) فجثوت لركبتي وأنا قائم ثم زحفت ترجمف

١ - تعريب شعبان برّكات، نشر المكتبة العصرية بيروت، ص ٧٥ وكان مونتجومري أستاذ العلوم الإسلامية ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة أدميرغ في اسكتلندا.

بوادي ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني، زملوني! حتى ذهب عني الروع، ثم أتاني فقال: يا محمد أنت رسول الله.

(د) قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حلق جبل، فتبدي لي حين هممت بذلك فقال: يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله.

(هـ) ثم قال: أقرأ، وقلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغتنى ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ثم قال: أقرأ باسم ربك الذي خلق، فقرأت.

(و) فأتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبri. فقالت أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، ووالله إنك لتصل الرحم.

ب - رؤى محمد:

لا نملك أى دليل قاطع للشك في الفكرة الأساسية للمقطع (أ) وهي أن دعوة محمد بدأت "برؤيا حقيقة" وهذا يختلف كليا عن الأحلام. كما نجد "الرؤى" في المقطع (ب) إذا وضعنا جانبا ظهور جبرائيل في (د). ويفيد نص المقطع (أ) ما نعلم من سورة النجم، ولكنه مشتق بصورة مستقلة عن ملاحظات محمد.

ويذكر لنا القرآن رؤين: (والنجم إذا هوى... ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الاعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتما رونه على ما يرى، ولقد رأه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يعشى السدرة ما يعشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى آيات ربه الكبرى) (النجم / ١ - ١٨).

تفسير المسلمين لهذه الآيات يهتم للاعتقاد بأنها تتحدث عن رؤيا

جبرائيل ولكن هناك أسباب تحملنا على الاعتقاد بان محمدا قد فسرها على أنها رؤيا الله نفسه، فنحن لا نجد أي ذكر لجبرائيل في القرآن حتى في الفترة المدنية وان الكلمات في (٥ / ١٠) يجب أن تعني "عبد الله" كما يعترف به المسلمين. ولكن هذا يجعل الجملة غير مستقيمة إلا إذا كان الله فيها الفاعل الضمني للأفعال. والجملة في نهاية المقطع (ب) "حتى فجأه الحق فقال" لها نفس القيمة لأن "الحق" وسيلة للإشارة إلى الله ويمكن تفسير المقطع (ج) بنفس الطريقة لأن النص هو "ثم أتاني فقال" وكذلك بعض الروايات المتعلقة بسورة المدثر عن جابر تقول عن محمد: "سمعت صوتا يناديني، فتلفت حولي فلم أر أحدا فرفعت رأسي فرأيته هناك جالسا على عرش".

وربما كان ذلك تفسير محمد نفسه، ولكن لا نستطيع الادعاء بأنه اتبع ذلك دائما لأنه على عكس (٦ / ١٠٣) "لا تدركه الابصار". وإذا كانت سورة النجم يمكن أن تفسر بهذا الشكل فإنها يمكن تفسيرها بشكل آخر، ولا شك ان القول: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)، لا يعني رؤيا الله. ولكن يبدو أنه يمكن تفسير ذلك بمعنى ان ما رأه محمد كان آية أو رمزا للجلالة لله. والآية (١١) (ما زاغ البصر وما طغى) (وربما أضيفت فيما بعد) توحى بتطور لاحق لهذه النظرية، أي حينما كانت الانظار ترى الآية أو الرمز، كان القلب يدرك الشيء الذي يرمز إليه. ولو أن محمدا فسر، في الأصل، الرؤيا على أنها رؤيا مباشرة لله فان هذا يعني إذن أنه لم يخطئ في الشيء الأساسي، وإن كان تفسيره لم يكن صحيحا تماما وربما كان يجب تفسير الآية هكذا: لا يخطئ القلب فيما رأه هو كأنسان، وبهذه الطريقة، يمكن تجنب جعلها رؤيا جبرائيل.

وقال:

ج - رؤيا حراء، التحنت

ان زيارة محمد لحراء، وهو جبل قريب من مكة، بصحبة عائلته أو بدونها، ليست مستحيلة، ويمكن أن يكون ذلك للفرار من أتون المدينة خلال فصل الصيف للذين لا يستطيعون التوجه إلى الطائف، ويمكن للتأثير اليهودي المسيحي ولا سيما مثل الرهبان، أو تجربة شخصية لمحمد أن يكون قد أثار فيه الحاجة للخلوة والرغبة فيها.

وليس المعنى الدقيق والمشتق " للتحنت " واضحًا. وإن كنا بصورة بدائيه بقصد بعض طقوس العبادة. ولربما كانت أفضل فرضية هي فرضية هـ. هرشفلد (١) بالاعتماد على اللفظ العربي " تحنوت " (fehinnath) أو " تحت " (fehinnath)

الذي يعني " الصلاة لله " . ويمكن لهذا المعنى أن يكون قد تأثر بالجذر العربي، حيث يعني نقض القسم والعهد، أو العجز عن تنفيذه، كما يعني بالمعنى العام الخطيئة، والتحنت يعني " القيام بعمل للفرار من خطيئة أو جريمة " واستعمال الكلمة " التحنت " هنا ربما كان دليلا على أن المادة قديمة فهي بذلك صحيحة (٢).

وربما استطعنا أن نتم هذا العرض الموجز بما سبق الدعوة وأول ما نزل من الوحي، ولا بد أن محمدا قد عرف منذ شبابه بعض المشاكل الاجتماعية والدينية في مكة. ولا شك أن وضعه كيتيم قد أطلاعه على القلق السائد في المجتمع، وربما كانت أفكاره من وجها المنظر الدينية ترجع إلى التوحيد الغامض الذي نلاحظه عند المكيين المثقفين، ولكن يضاف إلى ذلك أنه ولا شك فكر بعض الاصلاح في مكة، وكان كل ما يحيط به يساعد على أن يوحى إليه بأن هذا الاصلاح يجب أن يكون

(١) أبحاث جديدة في تأليف القرآن وتفسيره، لندن ١٩٠٢، ص ١٠.

(٢) قابل كابناني حوليات، ١ / ٢٢٢ رقم ٢

أولاً اصلاحاً دينياً. ولهذا نرى محمداً يصبو إلى الخلوة للتفكير في الأمور الإلهية والقيام ببعض العبادات، وربما كان ذلك للتكميل عن الخطايا، وربما سبق هذه "العزلة" بعض التجارب الدينية، ولكننا لا نعرف عنها شيئاً. وتوحي الروايات بأن الرؤيا حدثت أثناء العزلة. ولكن تواريχ مختلف جوانب دعوة محمد غير أكيدة. تارة تقول بأن الرؤيا كانت غير متوقعة، وتارة يبدو أن خديجة كانت قريبة منها.

د - أنت رسول الله:

تتكرر هذه الكلمات أربع مرات في مقاطع الزهري في ب، ج، د و ط، في المقطعين الأخيرين يتحدث جبرائيل وفي الأول "الحق" وفي الثاني "هو" و تختلف المناسبات في المقاطع الأولية. ومن خم أعلا يمكن لهذه الروايات الأربع أن تكون لها علاقة بمختلف جوانب الحادث الذي ترويه؟

ان ذكر جبرائيل لا يستحق الثقة في البدء، لأننا لأننا نجد هذا الذكر كثيراً في القرآن. وتبعد الواقع لأول وهلة، على نوعين على الأقل: النص (ب) مع النص (ج) يمكن أن يصورا الدعوة إلى النبوة، بينما (د) و (ط) يبدوان كتأكيد لهذا مع السعي لتطمينه وإزالة قلقه.

وإذا كان النص (ب) يرجع للدعوة الأولى فما هي علاقته بالرؤيا؟ إن وصف الرؤيا الأولى في سورة "النجم" يأتي في مقطع يرد على بعض الاعتراضات التي أثارها المكيون حول حقيقة الوحي الذي نزل على محمد ولا شك أن محمداً كان قد أعلن هذا الوحي مرة أو أكثر. وحديث الرؤيا في هذا النص يدل على أن لها علاقة ما بالوحي. وليس هناك ما يدل على أن سماع المقاطع كان يصحب الرؤيا، وفي الحقيقة لو أن أكثر من هذين المقطعين كان موضع

التساؤل لأصبح ذلك مستحيلاً. ويبدو أن النتيجة العملية للرؤيا هي شيء أكثر شمولًا كالشعور بأن هذه المقاطع هي رسائل من عند الله وأنه كان على محمد أن يعلنها أمام الناس، وهذا يفترض أن محمداً كان قد نزل عليه الوحي سابقاً، ولكنه لم يكن واثقاً من طبيعة الوحي الذي ينزل عليه، وقد أخبر الآن أو أنه تلقى تأكيداً بصدقه. ويمكن أن تكون الرؤيا، من ناحية ثانية، دعوة لطلب الوحي، كما يمكن أن يكون محمداً قد عرف شيئاً ما عن الوسائل الخاصة لآثارته والافتراض الأخير هو الأقرب. ويجب أن نلاحظ بصدق هذا أن ما (١) كان يوحى إليه كان "مسلسله العملي" الذي يسير عليه. ومعنى الرويا، في هذه الحالة، معنى عام، يتافق تماماً مع النص (ب) ويمكن أن لا تكون كلمات "رسول الله" تعبيراً خارجياً كما يمكن أن لا تكون تعبيراً خيالياً بل تعبيراً فكريّاً، أي أنه لم يسمع ولم يخيل إليه أنه يسمع، إذ أن هاتين الكلمتين كانتا تعلنان عن رسالة وصلته بدون كلمات. فصورة الكلمتين لاحقة للرؤيا.

هل يمكن لمعاصرة من هذا النوع أن تتكرر؟
 ليس هذا مستحيلاً تماماً، ويتضمن جمع الرؤيين في سورة النجم بعض الشبه في محتواهما. ولا نجد من ناحية ثانية، أي ذكر للوحي في وصف الرؤيا الثانية، ومن المتفق عليه عادةً أننا بصدق إشارة إلى الحنة ولا تساعدنا المقاطع (ج) و (د) و (ط) بأي شكل. وليس المقطوعان الأخيران نداءاً لمحمد أكثر منهما تأكيداً وتذكيراً بالنداء الأول. ومن الطبيعي الافتراض أن محمداً قد تذكر رؤياه الأولى في ساعات الشقاء.

وربما ساورته الفكرة في ساعة الشدة فنسب ذلك لتدخل خارق. ومهما كانت الواقع بصدق ذكريات من هذا النوع، فإنه ليس لها أهمية التجربة الأصلية.

(١) ر. بل، "رؤى محمد" في MW ١٩٣٤، ص ١٤٥ - ٥٤.

٥ - "اقرأ"

تتضمن الرواية المتعلقة بوعي سورة العلق (٩٦) عدة أشكال، ويظهر أحد هذه الأشكال من خلال المقطع (٥) للزهري. ويجب تفسير قول محمد "ما أقرأ" في رده على قول الملك "اقرأ" بـ "لا أستطيع القراءة" أو "التلاؤة". يتضح لنا ذلك

من وجود رواية تقول: "ما أنا بقارئ".

وفي أتميز عند ابن هشام "ما أقرأ" و "ماذا أقرأ" حيث التعبير الثاني لا يمكن أن يعني إلا: "ما أتلوا" وهذا هو المعنى الطبيعي لقوله: "ما أقرأ"، ويبدو من المؤكد، تقريرياً، أن المفسرين التقليديين اللاحقين تجنبوا المعنى الطبيعي لهذه الكلمات ليجدوا أساساً للعقيدة التي تريد أن محمداً لم يكن يرف الكتابة، وهذا عنصر رئيسي للتدليل على طبيعة القرآن المعجزة، ومحتوى رواية عبد الله بن شداد في تفسير الطبرى يفترض، إذا كان النص صحيحاً أن "ما" بمعنى "ماذا" لأنها مسبوقة بالواو.

إن كلمتي "قرأ" و "قرآن" هما من الكلمات الدينية التي أدخلتها المسيحية إلى شبه الجزيرة العربية وتعني قرأً مثلاً نصوصاً مقدسة، بينما "قرآن" هي "كريانا" السورية استعملت للدلالة على "القراءة" ودرس من الكتابات المقدسة. وبينما أصبح معنى اللفظ الثاني "قرأ" فإن له في هذه السورة، كما يبدو، معنى "تلا عن ظهر قلب" أي من الذاكرة التي وصلته بصورة خارقة. علا من كان على محمد أن يتلو، وفي آية مناسبة؟ لا نجد مناقشة واضحة لهذه المسألة عند القدماء والتفسير الطبيعي أن محمداً كان عليه أن يتلو ما يتبع ذلك كجزء من عبادة الله الشكلية. وهذا يتفق مع استعمال الكلمة في اللغة السريانية وأن المسلمين يسمون تلاؤة سورة أو عدة سور في صلاتهم "قراءة" كما يجب أن

نلاحظ ان في رواية عبد الله بن شداد المشار إليها سابقا، الجواب على السؤال: ما أقرأ؟ ليس " أقرأ باسم من " بل " باسم من ". فهل كان ذلك بداية ل " بسم الله ". وليس هناك من اعتراض فعلي على رأي فقهاء الاسلام القائل بأن هذه السورة هي أول ما أوحى من القرآن. ولا يعارض أي مقطع آخر قول سورة العلق، فالامر بالعبادة هو أول ما يمكن انتظار صدوره بالنسبة لمحتوى رسالة القرآن الرئيسية. وكلمة " أقرأ " موجهة إلى محمد بمفرده، وان لم يكن صعبا جعلها موجهة إلى أتباعه، لأن فكرة الاتباع لم ترد على فكره ساعة الوحي، أي انها ترجع إلى فترة سابقة على الفترة التي بدأ فيها بدعة الآخرين، وليس من المستبعد، طبعا، ان محمدا كان قد تلقى دعوات أخرى لم يعتبرها جزءا من القرآن. نجد مثلا على ذلك في الكلمات " أنت رسول الله ".

و - سورة المدثر، الفترة:

هناك رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري تقول إن الآيات في مقدمة سورة " المدثر " هي أول ما نزل من الوحي وهي الآيات التي تقول: " قم فأذر " وتبعدو كامر للعمل كنبي أو رسول، ولكنها لا يمكن أن تكون أول ما نزل من الوحي إلا إذا كان محمد قد نهض بدعوته العامة دون أية فترة في الاعداد. أما إذا كان هناك، على العكس، فترة اعداد نزل فيها الوحي، فإن هذه الكلمات لا يمكن أن تكون أول الوحي. وقد رأينا ان " أقرأ " لا تتضمن بالضرورة رسالة عامة. واستمرار هذه الرواية بالرغم من الرأي العام القائل بأن أول الوحي هو سورة " العلق " يوحي بأنها تتضمن شيئا من الحقيقة. والأقرب أن تكون تعبيرا عن بداية دعوته للناس.

و - أيضا - قال مونتجومري في كتابه محمد في مكة (١):
يحق لنا الاعتقاد بأن مهدا، في أول دعوته، قد لقي بعض النجاح. ولكن
المعارضة مع ذلك لم تعم أن ظهرت ثم أصبحت ضخمة. ويعترضنا هنا سؤالان:
متى وكيف ظهرت هذه المعارضة، وعلى أي أسباب رئيسية اعتمدت؟ والسؤال
الثاني هو الأهم. ومن ذلك علينا أن نحاول الإجابة أولا على السؤال الأول.
أ - رسالة عروة:

حفظ لنا الطبرى نسخة عن وثيقة كتبت منذ زمن بعيد وتبعد عليها مظاهر
الصححة:

قد حدثنا هشام بن عروة عن عروة انه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أما
بعد فإنه - يعني رسول الله (ص) - لما دعا قومه لما بعثه الله من الهدى والنور
الذى نزل عليه، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم وكادوا يسمعون له، حتى ذكر
طواحيتهم. وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال، أنكروا ذلك عليه،
واشتدوا عليه، وكرهوا ما قال لهم وأغرقوا به من أطاعهم فانصفق عنهم عامة
الناس، فتركوه إلا من حفظ الله منهم، وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث.
ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتونوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم
وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول (ص) من أهل
الاسلام، فافتتن من افتق وعصم الله منهم من شاء، فلما فعل ذلك بال المسلمين
أمرهم رسول الله (ص) أن يخرجوا إلى أرض الحبشة. وكان بالحبشة ملك صالح
يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه، وكان يشي عليه، مع ذلك صلاح، وكانت

(١) محمد في مكة، ص ١٦٦.

(٢) الطبرى تاريخ ١١٨٠، راجع كaitani تاريخ ٢٦٧ / ١

أرض الحبشة متجرًا لقريش يتجررون فيها، مجذون فيها رفاغا من الرزق وأمنا ومتجرًا حسنا فأمّرهم بها رسول الله (ص)، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة، وخاف عليهم الفتنة، ومكث هو فلم ييرح، فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم. ثم أنه فشا الإسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرافهم".

وتشبه رواية أبي العالية تقريرًا الرواية السابقة، ولكنها لا تحتوي على بيت الشعر الثالث. ولكنها مع ذلك تذكرنا، كبعض الروايات الأخرى، كيف امتنع كبار القرشيين، بسبب أعمارهم، عن السجود فمسحوا جباههم بالتراب عرضاً عن ذلك، وهي على عكس الروايات الأخرى، تضيف أن أبو أهيمه، سعيد بن العاص، لاحظ قائلاً: بأن ابن أبي كبشة أشاد بالهتهم. يمكن أن تكون الملاحظة صحيحة ونجد إشارة مشابهة لمحمد في ملاحظة أخرى تنسّب لهذا الرجل.

وإذا قارنا مختلف الروايات وحاولنا أن نميز بين الواقع الخارجي التي تتفق معها والدوافع التي يستخدمها المؤرخ لتفسير الواقع، نلاحظ واقعتين نستطيع أن نعتبرهما أكيدتين. أولاً رتل محمد في وقت من الأوقات الآيات التي أوحى بها الشيطان على أنها جزء من القرآن لأنّه لا يمكن أن تكون القصة قد اخترعها مسلمون فيما بعد أو دسها غير المسلمين. ثم أُعلن محمد فيما بعد أن هذه الآيات لا يجب أن تعتبر جزءاً من القرآن ويجب استبدالها بآيات تختلف عنها كثيراً في مضمونها. والروايات الأولى لا تحدد الوقت الذي حدث فيه ذلك. والأقرب أن يكون ذلك قد وقع بعد بضعة أسابيع أو أشهر.

وهناك واقعة ثالثة أو مجموعة وقائع نستطع أن نكون واثقين منها. وهي أنه كان يجب على محمد ومعاصريه المكيين أن يشير في القرآن للآلهة الالات التي كانت معبودة في الطائف والعزى المعبودة في نخلة بالقرب من مكة، ومنة التي كان معبدها بين مكة والمدينة. كانت العزى معبودة عند القرشيين أولاً، ولكن

العائلة الكهنوتية كانت تنتمي لبني سليم وكتانة وخزاعة وثقيف. يذكر بعض أفراد من هوازن على أنهم كانوا يعبدونها. ونسمع عن أشراف المدينة الذين كانوا يملكون في بيوتهم تماثيل من الخشب تمثل مناة، ولكن العرب في مجموعهم في ذلك العصر ربما لم يفكروا بأية عبادة سوى المراسيم التي تقام على معابد خاصة. وهذا موقف يختلف تماماً مثلاً عن تقديس المسيحيين الكاثوليك لمريم العذراء ويمكن للمسحي أن يقول: "السلام عليك يا مريم" في أي مكان. بينما مناة، حسب الرأي السائد عند العرب، لا يمكن أن تفيد إلا في معبدها. ما تعنيه إذن الآيات الإبليسية أن الاحتفالات مقبولة في المعابد الثلاثة حول مكة. وأما معنى الآيات التي تقول بأن العبادة في هذه المعابد غير مقبولة فهي لا تحرم العبادة في الكعبة.

ويجب أن نعرف بأن الآيات التي صحت سورة النجم تمحض الكعبة على حساب المعابد الأخرى، إلا إذا افترضنا وجود آيات أخرى كانت تحرم ذلك ثم رفعت فيما بعد من القرآن. ولكن ليس لدينا أي سبب يمكن الأخذ به. ومن المهم أن نتذكرة بهذا الصدد أن هذه المعابد قد هدمت عند صعود نجم محمد.

ب - الآيات الإبليسية، الأسباب، التفاسير:

اعتبر الفقهاء المسلمين، الذين ظلوا بعيدين عن المفهوم الغربي للحديث للنمو التدريجي، محمداً على أنه قد أخبر مخذ البدء بالمضمون الكامل لعقيدة الإسلام، فكان من الصعب عليهم أن لم ير محمد خروج الآيات الإبليسية على عقيدة الإسلام. والحقيقة هي أن توحيده كان في الأصل، كما كان توحيد معاصريه المتفقين، غامضاً ولم ير بعد أن قبول هذه الخلوقات الإلهية كان يتعارض مع هذا التوحيد، لا شك أنه يعتبر الالات والعزى ومناة على أنها كائنات سماوية أقل من الله، كما اعترفت اليهودية والمسيحية بوجود الملائكة.

ويتحدث القرآن عنها في الفترة الأخيرة المكية باسم الجن. وإن كان يتحدث عنها في الفترة المدنية على أنها مجرد أسماء، إذا كان ذلك فليس من الضروري اكتشاف سبب خاص للآيات الإبليسية فهي لا تدل على أي تقهقر واع للتوحيد بل هي تعبير عن النظريات التي دافع عنها دائمًا محمد.

وهكذا فإن قيمة الآيات السياسية مهمة. فهل اعترف محمد بصحتها لأنه كان يهمه كسب الأنصار في المدينة والطائف وبين القبائل المجاورة؟ هل كان يحاول التخفيف من تأثير الزعماء القرشيين المعارضين له باكتساب عدد كبير من الأتباع؟ ذكر هذه المعابد دليل على أن نظرته أخذت في الاتساع.

تشير الرواية عن أبي العالية، المذكورة آنفاً، أن القرشيين عرضوا على محمد إدخاله في دائرة رضي بذكر آلهتهم. ونجد روايات أخرى بهذا الصدد. ويقولون أنهم قدموا إليه الشروة والزواج من غنية، ومكانة عالية. كما عرضوا عليه أن يشركوه في عبادتهم ومصالحهم.

ويقى علينا أن نعرف ما إذا كانت كل هذه القصص قد اخترعت للتعظيم من شأن محمد في هذه الفترة. فهل عظم شأنه ليعامله زعماء مكة معاملة الند للند؟ إن وصف مكانة محمد، على الأرجح، كما نجده في الأخبار قريب من الحقيقة. ويجب أن نتذكر أن هناك من حاول التقليل من أهمية الانتصارات الأولية التي حازها محمد لأن أحقاد الذين تبعوه لفترة من الزمن ثم تركوه كانوا لا يودون تذكر هذه الأمور.

نرى ممداً في رواية أبي العالية شخصية كبيرة بين زائرٍ مكة، وإن لم يستقبله زعماء مكة استقبالاً حسناً، فلو أن الأمر كان مجرد اختراع لما لو حظ هذا التناقض بشكل قوي. فلنفترض إذن أن زعماء قريش عرضوا على محمد عرضاً من هذا النوع وذلك بأن ينال بعض الامتيازات المادية مقابل أن يعترف بالله لهم.

ويؤكّد القرآن ذلك كما سنرى. ولا نستطيع أن نكون مطمئنين إلى التفاصيل. وأعلن الآيات القرآنية مرتبطة بهذه القصة.

وتبعاً لهذا الرأي فإن نسخ الآيات مرتبطة أيضاً بفشل هذه التسوية.

ولا شيء يسمح لنا بالاعتقاد أنّ محمداً قد استسلم لخداع المكينين. ولكنّه انتهى به الأمر إلى إدراك أنّ الاعتراف ببنات الله (كما كانت تسمى الألهة الثلاث وغيرها) يعني إنزال الله إلى مستواها. وعبادة الله في الكعبة، لم تكن في الظاهر تختلف عن عبادتها في نحلة والطائف وقدّيده، وهذا يعني أنّ رسول الله لم يكن يختلف كثيراً عن كهانهم وأنّه لم يكن يرى نفسه مدعواً لأن يكون تأثيره أعظم من تأثيرهم.

يُنّتّج عن ذلك أنّ الاصلاح الذي عمل له من كلّ قلبه لن يتحقق.

وهكذا لم يرفض محمد عروض المكينين لأسباب زمانية بل لسبب ديني حقيقي. ليس لأنّه لم يكن يثق بهم، مثلاً، أو لأنّه لم يبقّ شيء من مطامحه الشخصية بل لأنّ الاعتراف بآطهتهم يؤدي إلى فشل قضيته والمهمة التي تلقاها من الله.

ولا شكّ أنّ الوحي قد نبهه إلى ذلك، كما أنه من الممكّن أن يكون قد شعر بخطئه بهذا الصدد قبل نزول الوحي.

وإذا نظرنا إلى الوضع بصورة مجردة يبدو أنّ هناك قليلاً من الأسباب للاعتراض على الاعتراف باللات والألهة الأخرى على أنها مخلوقات سماوية ثانوية. ولا يتعارض الاعتراف بالملائكة مع التوحيد، ليس فقط في اليهودية والمسيحية بل في الإسلام. وهناك مع ذلك عاملان حالا دون الاعتراف بذلك في مكة. أولاً كانت العبادة في الكعبة، التي كانت في السابق متعددة الألهة، آخذة بالطهارة، وكانت في نظر المسلمين تسير في طريق التوحيد.

فإذا كانت عبادة مماثلة تمارس في معابد عديدة، فلسوف يخيل لشعب الحجاز أنّ آلهة متساوية تقرّياً تعبد فيها. ثم إنّ جملة "بنات الله" تتضمّن نتائج

خطيرة حتى ولو لم نفرض تفسيرا حرفيا (١).

ستعمل كلمة "بنات" وغيرها من الكلمات غالبا مجازا في اللغة العربية. وهكذا "بنت الشفة" أي: الكلمة و "بنت العين" أي: الدمعة، و "بنات الدهر"، أي: المصائب. يمكن عندئذ أن تكون هذه الجملة "بنات الله" لم تكن تعني في الأصل سوى "مخلوقات سماوية أو خارقة" لأن "الله" هو مجرد "إله" وليس الله الواحد العلي، أي الله. ولما كانت كلمة "الله" أو كلمة "الله" لم تعد تستعمل إلا للتدليل على "الله" يجب تفسير الجملة على أنها تعني وجود مخلوقات مساوية لله تقريرا فلا يتفق ذلك مطلقا مع التوحيد.

ويتفق الرأي القائل بأن قطع العلاقات بين محمد والمكيين نتيجة لنسخ الآيات الإبليسية (مع رفض العروض التي قدمت إليه)، يتفق مع النقطة الثانية المشار إليها سابقا في رسالة عروة أي: يتفق مع القول بأن القرشيين الموسرين في الطائف هم الذين تزعموا المعارضة الفعالة ضد محمد. وهناك تفسيرات متعددة ممكنة لهذا الأمر، وسوف نرى بسهولة التفسير الأقرب. وهو أن بعض القادة المكيين المهتمين بتجارة الطائف نجحوا في جعل النشاط التجاري في الطائف يصبح خاضعا لنفوذ مكة المالي، ولا شك أن رفض الاعتراف بمعبد اللات قد هدد بشكل ما مشاريعهم وأثار غضبهم على محمد.

وقال في كتابه محمد، الرسول والسياسي:

"كانت عقيدة التوحيد مبهمة في أذهان أهل مكة و كانوا يرونها مخالفة للشرك بصورة تامة وقد بان هذا الأمر بشكل واضح في الآيات الشيطانية، فإنه في الوقت الذي كان محمد ينظر الوحي كي يزيل تشكيكات رؤساء مكة، حيث كان منهاكا من شدة مشاكلاتهم، هذه الحالة نزل الوحي بما لا يزيد على

(١) فلوزن reste ٢٤

الآيتين أو الثلاث آيات، وأجازت الشفاعة لبعض الأوثان الموجودة في معابد أطراف مكة! ثم أدرك محمد أن هذه الآيات ما أوحىت إليه من الله وما هي إلا من الوساوس الشيطانية، فكان يريد قبولها في الوهله الأولى، وهذا يدل على أنه في هذه المرحلة من ايمانه بالتوحيد ما كان يمتنع من الاحترام والدعاء لبعض الموجودات (الميتافيزيقية) ما فوق الطبيعة التي كان يعتقدها نوعا من الملائكة" (١).

وتقرأ في مكان آخر من كتابه المذكور ما يلي: "بما ان الروايات اختلفت في بيان جزئيات هذه الواقعة يجدر بنا أن نبدأ بذكر ما هو موثوق في هذه القصة.

يبدو أنها كانت في وقت كان محمد قد جاء ببعض الآيات القرآنية التي يستشف منها جواز الاستشفاف بالأوثان ومضمون إحدى هذه الآيات هو: "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلي وان شفاعتهن لترجى". ولم تمض مدة حتى نزل الوحي بآيات تنسخ الآيات المذكورة أعلاه في حين أن الآيات: الأولى والثانية منها قد انتشرت في كل مكان، وبيان هذا الاصلاح والنسخ هو ان الشيطان قد انزلق بالآيات دون أن يشعر محمد بذلك. هذه القصة عجيبة ومحيرة، ان النبي الذي يبلغ أعظم الأديان في التوحيد هو بنفسه مجيز الشرك، وحقيقة هذه القصة عجيبة إلى حد تدل على أن أساسها صحيح.

؟ لا يتصور أحدا اخترعها ثم طلب من المسلمين أن يصدقوا بها وان أحد الأوجه الملفتة للنظر في هذه القصة أنها توضح لنا نظرة وعقيدة محمد في زمن القصة وأن محمدا كان مؤمنا بأنه لم يقل بهذه الآيات بل أنها تنزل إليه ولم يكن

(١) نفس الكتاب، الترجمة الفارسية لإسماعيل والي زادة، ص ٣٣.

منتبعها في بداية الأمر أن هذه الآيات مخالفة للدين الذي يبلغه هو، وهل هذا يعني أنه كان في ذلك الزمان مشركاً؟

وقال في كتابه محمد في المدينة:

وكانت الخطوة الأولى لتمييزهن عن سائر النساء فرض الحجاب عليهن، وكانت كلمة الحجاب تعني في الأصل "الستار" (١).

وهاك الآية القرآنية بصدق ذلك: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم.. ولكن إذا دعيتم فأدخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث أن ذلكم كان يؤذن النبي.. وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهنهن من وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) (الأحزاب / ٥٣).

وربما ترجع هذه الآية الأخرى إلى نفس الوقت: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدئنن عليهن من جلابيبهن ذلك أدى أن يعرفن فلا يؤذنن) (الأحزاب / ٥٩).

تفسر لنا عدة روایات أسباب هذه التشريعات. فقد بقي بعض المدعويين أثناء حفلة زفاف زينب بنت جحش وقتا طويلا. وكذلك لامست أيدي بعض الرجال أيدي نساء محمد، وكانت نساء النبي يخرجن في الليل لقضاء حاجاتهن فيهن بعض المنافقين، وكان ذلك مقصودا غير أن المنافقين كانوا يعتذرون بأنهم حسروا نساء النبي جواري.

والسبب الرئيسي لفرض الحجاب، هو أن منزل محمدا أصبح بسبب ازدياد أهمية النبي شيئا فشيئا، مكانا عاما وكان الناس يجتمعون باستمرار في الساحة التي تطل عليها مساكن النساء. وكانت إحدى الوسائل لنيل رضى النبي اقناع إحدى نسائه بتقديم الطلب إليه. وكان ينظر بحذر إلى كل لقاء خاص بين امرأة

(١) محمد في المدينة، تعریف شعبان بركات، نشر المكتبة العصرية بيروت، ص ٤٣٥.

ورجل ليس قريباً لها، وكان لابد من حماية النساء تحنجباً للفضيحة. وتدل حادثة "حديث الإفك" التي لاكت فيها ألسنة السوء اسم عائشة في المدينة وهي حادثة وقعت بعد وقت قصير من فرض الحجاب، تدل هذه الحادثة على مدى حاجة محمد إلى الحذر، ومن بين الشائعات التي انتشرت لتشويه سمعة عائشة، شائعة تقول بأنها قبل فرض الحجاب، تحدثت عدة مرات مع الشاب الذي عاد بها إلى المدينة.

(٣٦٩)

ثانياً - المستشرق ر. ف. بودلى قال في حديث الإفك بكتابه "حياة محمد" (١): للنساء العربيات ضلع كبيرة في شؤون البيت على عكس الاعتقاد السائد، فقد يتصور المرء أنهن إن هن إلا متاع لأزواجهن لحبسهن في الحرير أو لعزلهن في خيامهن، ومن المحتمل أن الرجال يتصورون ذلك، ولكن لما كان الأمر يتعلق بالنساء فالرجال مخطئون كالعادة.

فالنساء العربيات، على الرغم من أنهن لا يتمتعن بالحرية النسوية كأخواتهن الغربيات، وعلى الرغم من أن فرص إثارة الغيرة، والهروب وارتداء الثياب المثيرة لا تناح لهن، فإنهن يحكمن أزواجهن ويسطون عليهم، وينخدعنهم بطريقة ليست أقل من السحر.

والعرب يهتمون بسيدات النقاب، ويحافظون على شعورهن أكثر من أغلبية الغربيين، فن الواجب أن يكونوا أكثر تعقلاً في مراقبة قطيع نسائهم. ولا يشتبه في محمد من ذلك، فقد كانت له غريزته الأسرية، وأظهر وأعظم الحدب على أزواجها اللاتي يقطنن أكواخاً حول المسجد. وكان يعلن أن النساء أنصاف الرجال التوائم ويقول: (لا يفرك مؤمن

(١) حياة محمد، تأليف ر. ف بودلى E. V. R, bodley، ترجمة عبد الحميد خوده السحار، محمد محمد فرج ط. دار الكتاب العربي بمصر ص ٢٦١.

مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر ".

ولم يسجل أبداً ما إذا كان أزواج المدينة قد استغللن محمداً وخدعنه، وقد افترىت حادثة واحدة، ولما كانت عائشة هي موضوع الافتراء، فقد كان الشك يحتمل الوجهين، فقد كان في رأس هذه الفتاة من الأفكار أكثر مما في رأس ألف نابه، وكان لها قدرة الحصول على ما تبغي، فقد كانت متمتعة بكل ما يخلب الألباب، وكانت غانية أيضاً، ففي زمن الحادث الذي نحن بصدده لم تكن تقدر زينب أو أم سلمة حق قدرهما، ولطبيعتها المستقلة وطفولتها كانت قادرة على إثبات أي شيء دون تحمل مسؤوليته وهاك ما حصل.

كان محمد يأخذ دائماً معه زوجة أو زوجتين إذا ما قام ببرحة أو خرج في إغارة، وكن يرحلن في هودج فوقه مظلة مشدودة على إطار من الأغصان، وكان الهودج يشد إلى سمام البعير، فكان النازل فيه يختفي عن الأنظار كلياً، فكان من الحال معرفة ما إذا كان في الهودج أحد أو كان فارغاً، ما لم ترفع المظلة.

كان محمد قد أتم غزوه القصاصية الناجحة ضد قبيلةبني المصطاق، حيث تزوج من جويرية زوجه الثامنة، وكان في طريق عودته إلى المدينة بجنده وبعيره وغنائمه، وكانت المرحلة الأخيرة لبلوغ المدينة طويلة، فكان على المسلمين أن يحملوا خيامهم في الفجر، فلما استيقظت عائشة خرجت إلى الخلاء لبعض حاجتها، فلما عادت كانت خيمتها قد رفعت، وكان جملها منتظراً، فلما همت بدخول هودجها اكتشفت أن قلادتها قد انسلت من عنقها، فعادت أدراجها دون أن تخطر أحداً للبحث عنها، وكان من الصعب رؤية قلادة منسلة في عمایة الصبح بين الحصى والأعشاب ولاح نور الصباح قبل أن تعاشر عليها، ثم ثببتها حول عنقها وعادت لتلحق بالقافلة، ولكن لم تجد هناك قافلة، وكانت نيران العسكر هي الدليل على أن أناساً كانوا هناك. لقد حسب المكلفون بنقل عائشة أن السيدة

في هودجها فشدوه إلى بعيده، فقد كانت عائشة صغيرة خفيفة جدا حتى أنه ما كان أحد ليلاحظ وجودها في الهودج من غيابها، فلما تحرك الركب، انطلق الرجال وهم يقودون بعيارا غير محمل.

وقفت عائشة لحظة تحدق في فضاء الصحراء العريض، وقد انسحب الفجر ليفسح لحرارة الصباح، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية إلى الفضاء الصخري، فلم تجد أثرا لقومها أو قافتلتها، فهزمت منكبها وجلست، فما كان يجدهي الذعر، وما كان هناك من فائدة في محاولتها اللحاق بقافتلها، وإنه لمن الأفضل أن تبقى في المكان الذي رؤيت فيه آخر مرة. وإنها لتأمل أن يعود القوم إليها إذ أما افتقدوها فلم يجدوها في الهودج. فلما ارتفعت حرارة النهار استولى عليها خمول، فالتفت في جلبابها، واستظلت تحت شجرة ثم نامت، فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء ولم تكن وحيدة.

كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب، ثم أنماخ بعيده وقال إنه صفوان بن المعطل، ولم تقدم عائشة نفسها له، تبعا لما قالته عائشة لما روت القصة، وكان صفوان يعرفها بالنظر فقد خاطبها عائشة بنت أبي بكر.

سألها صفوان: ما تفعله بحلوها منفردة في وسط صحراء العرب؟ فشرحت له عائشة الأمر، فضحك صفوان ثم عرض عليها بعيده ليقودها إلى المدينة، فقبلت عائشة، فساعدها صفوان على الركوب ثم انطلقا.

وفي نفس الوقت استمرت قافلة المسلمين في طريقها دون أن يفطن أحد إلى أن عائشة ليست فيها، ولم يكتشف اختفاؤها قبل أن ينماخ الجمل بالهودج الفارغ أمام مساكن النبي، ثم ابتدأت الدهشة.

إن قواد الجمل الذين كانوا مقتنيين بأنهم رحلوا من المعسكر بعائشة قد

عزوا احتفاءها إلى العجن، وكان هذا هو الشرح الوحيد المقبول ما دام أنهم لم يقفوا في الطريق أبداً، وما كان محمد ليوافق على خرافات كهذه، فراح ينظم جماعة للخروج للبحث عنها لما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقوده شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالفجر، وأنيخ البعير أمام مدخل دارها، فنزلت عائشة، وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار دون أن تحس أنها عرضة للانتقاد كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغرب.

وكان محمد مسروراً برأيه زوجه الأثيرة عنده سالمة، فرحب بها، ولما كان الأمر يتعلق به فقد انتهت المحادثة، وكان من الواجب أن تنتهي ما لم يتدخل في الأمر عبد الله بن أبي.

لم يقل لي أحد من أصدقائي العرب كيف كان يبدو عبد الله بن أبي، ولم يوصف في أي كتاب من الكتب التي قرأتها، ولكن من الواجب أن يكون شخصية غير محببة، شخصية خائنة شريرة، فظة جبانة، ويلوح أن يكون له خصال مفيسsto فيليز وياجو ويورياهيب والشخصيات الشريرة الأخرى المعروفة في تاريخ القصص. ويلوح أن أمنية حياته كانت مضائقه محمد، فما إن سمع بعودة عائشة منفردة إلى المدينة حتى راح يوسع الأرض إذاعة، فقال دون أن يحاول معرفة الظروف الملائبة للحادث، إن صفوان عشيق عائشة، وأضاف إلى ذلك أنه لا يلوم عائشة، وإن الشيء الوحيد الذي كان يدهشه هو إخلاص هذه الفتاة الفاتنة التي كانت في السادسة عشرة، هذه المدة الطويلة لهذا الشيخ المرتجل الذي يقرب من الستين، فإذا كان الجميع لا يوافقون، فالجميع منافقون.

ولم يشارك عبد الله في فريته إلا القليلون، منهم حمنة أخت زينب بنت جحش، وكانت زينب تعتقد أن الله نفسه زوجها من محمد فكانت تحس أنه من الواجب أن تتحل مكان عائشة الأثيرة عنده، ولقد فشلت حتى ذلك الوقت في أن

تناول بغيتها، وقد هيأت لها هذه الفضيحة المفتراة فرصة، وما كانت تود أن تضر عائشة، وما كانت تعتقد في حديث الإفك، كما أشارت إلى ذلك فيما بعد، ولكن لما كان عبد الله يذكّي نار الشائعات وكانت حمنة متأهبة لنشرها، فإنها تركت الأمور تحرّي في أعتها، وانتشر اللغط في دور النبي، وانتشر اللغط في الخارج، فكان لكل إنسان في المدينة روايته عن مسألة عائشة وصفوان، وما كان يتأنّر عن سردها وزيادة على ذلك وكما هي العادة فقد كان الزوج آخر من عرف، فلما بلغه الخبر لم يكن يدرّي ما يفعل.

إن محمداً يحب عائشة، وأنه ليحبها أحب خديجة، ولكن بطريقة أخرى، فإنه أحبها أكثر مما أحب أية امرأة أخرى كانت في حياته، وما كان يستطيع أن يصدق أن هذه الفتاة الصغيرة التي كانت له دائماً صديقة كما كانت حبيبة، قادرة على أن تخونه متعمدة، وإن ما بلغه قد أزعجه حتى أنه لم يقدر على أن يتهم عائشة مباشرة، ولكنه أعرض عنها.

وقد لاحظت عائشة التي كانت تحب محمداً أيضاً حباً جماً إعراضه عنها، ولكنها لم تفطن إلى السبب فوراً، ولما فطنت امتلأت حنقاً، فأقسمت وهي تذرف الدموع السخين أنها بريئة، واندفعت إلى بيت أبيها، راحت أمها وأختها تواسيانها، وقالتا لها لتخفها عنها لقلماً كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثرن الناس عليها، فلو أنها انتظرت دون محاولة مقابلة المثل بالمثل لعاد كل شيء إلى أصله. ولم يقل أبو بكر شيئاً، ولم يفاتحه النبي في شيء، فأغلق بابه عليه وراح يقرأ القرآن، ولم يستشر محمد عمر، ومن المحتمل أنه فكر في صرامته فخشى أن ينصح بالطلاق، وعلى كل حال فقد أفضى إلى علي بالأمر. لم يكن علياً رجل نساء، وكان محارباً مسلماً لا يعتقد في جميع هؤلاء النساء اللاتي يخلطن حياتهن بحياة قائد الأعلى، وكان يعكس كره فاطمة لزوجة أبيها

الشابة، فأجاب على استشارة محمد بان جميع النساء سواء، وان عائشة لا تختلف عن الآخريات، وقد بلغ هذا القول عائشة فلم تنسه أبدا، فلما بويع لعلي بالخلافة بعد ثلاثين سنة عارضته بشدة حتى أنها أثارت حرباً أهلية دموية بين المسلمين، ولا زال ترجيـع هذه الملاحظة والغضـبة التي أثارتها في عائشة ظاهرة حتى اليوم في بعض الشـقاق الـاسلامـيـ.

وفي هذا الوقت كان صفوـان يـطوف بـالمـديـنـة ويـقـسـم أـنـه لمـيـكـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ عـائـشـةـ أـدـنـىـ شـئـ، وـأـنـهـ لـمـ يـرـهـ أـبـدـاـ إـلـاـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ فـيـ الصـحـرـاءـ، وـكـانـ هـدـفـ غـضـبـهـ الرـئـيـسـيـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ، شـاعـرـ النـبـيـ الـذـيـ نـدـيـنـ لـهـ كـثـيرـاـ بـالـأـدـبـ الـمـعـاـصـرـ لـهـذـهـ الـحـقـبـةـ، وـكـانـ حـسـانـ صـدـيقـاـ شـخـصـيـاـ لـمـحـمـدـ، وـلـكـنـهـ لـمـ يـسـطـعـ أـنـ يـقاـوـمـ إـغـرـاءـ نـظـمـ بـعـضـ الـشـعـرـ الـلـاذـعـ عـنـ الـحـادـثـةـ، وـقـدـ كـلـفـهـ ذـلـكـ أـنـ ضـرـبـهـ صـفـوـانـ، وـالـظـاهـرـ أـنـهـ كـانـ يـسـتـحـقـ ذـلـكـ، وـفـيـ الـحـقـيـقـةـ مـاـ كـانـ أـحـدـ بـقـادـرـ عـلـىـ أـنـ يـقاـوـمـ إـغـرـاءـ تـحـلـيـلـ الـقـصـةـ ثـمـ إـعـادـةـ سـرـدـهـاـ، فـقـدـ اـحـتـلـتـ مـكـانـةـ أـعـظـمـ مـنـ الـمـجـادـلـاتـ السـيـاسـيـةـ الـاسـلامـيـةـ.

وـعـرـفـ مـحـمـدـ أـخـيـرـاـ أـنـ الـوـحـيـدـ الـذـيـ يـلـامـ، فـإـنـ الـفـضـيـحـةـ سـتـسـتـمـرـ مـاـ دـامـ مـتـرـدـدـاـ، فـإـنـ مـنـ وـاجـبـهـ أـنـ يـحـكـمـ بـبـرـاءـةـ عـائـشـةـ أـوـ إـدـانـتـهـاـ، فـقـامـ بـعـمـلـ حـاسـمـ كـمـاـ هـيـ عـادـتـهـ فـيـ الـمـعـارـكـ.

فـفـيـ الـاجـتـمـاعـ التـالـيـ لـلـصـلـاـةـ، قـامـ فـيـ النـاسـ يـخـطـبـهـمـ فـقـالـ: " يـاـ أـيـهـاـ النـاسـ. مـاـ بـالـ رـجـالـ يـؤـذـونـنـيـ فـيـ أـهـلـيـ وـيـقـولـونـ عـلـيـهـنـ غـيرـ الـحـقـ!ـ وـالـلـهـ مـاـ عـلـمـتـ مـنـهـ إـلـاـ خـيـرـاـ، وـيـقـولـونـ ذـلـكـ لـرـجـلـ وـالـلـهـ مـاـ عـلـمـتـ مـنـهـ إـلـاـ خـيـرـاـ ".

وـلـمـ اـنـتـهـيـ مـنـ ذـلـكـ ذـهـبـ إـلـىـ عـائـشـةـ، فـوـجـدـهـاـ مـعـ وـالـدـيـهـاـ وـقـدـ جـلـسـاـ بـحـوارـهـاـ عـلـىـ حـصـيرـ، فـقـالـ:

ـ يـاـ عـائـشـةـ، إـنـهـ قـدـ كـانـ مـاـ بـلـغـكـ مـنـ قـوـلـ النـاسـ فـاتـقـيـ اللـهـ، وـإـنـ كـنـتـ قـدـ

قارفت سوءاً مما يقولون، فتوبى إلى الله فان الله يقبل التوبة من عباده.
وانتظرت عائشة لحظة لعل أبيها يحييـان رسول الله عنها، ولكنـما ظلاـ
صامتـين فانفجرـت وأخـبرـت مـحمدـاً أـنـه لـيـس هـنـاك مـا تـعـرـف بـهـ، فـقـد كـانـت تـعـرـف
ذـلـك أـكـثـر مـنـ أـيـ فـرـد آـخـرـ، فـكـانـت تـتـكـلـم فـي قـوـة وـفـي حـدـةـ، ثـم انـفـجـرـت باـكـيـةـ.
استـمع مـحمدـ إـلـيـها وـلـكـنـه لـم يـفـعـل شـيـئـاً لـيـهـونـ عـلـى زـوـجـهـ المـنـتـحـبـةـ، وـحـدـقـ
فـيـهـا فـاحـصـاـ ثـم اـبـتـدـأ يـتـنـهـدـ، وـأـغـلـقـت عـيـنـاهـ بـعـد قـلـيلـ، ثـم تـمـددـ عـلـى الحـصـيرـ، فـسـجـاهـ
أـبـو بـكـرـ بـثـوـبـهـ، وـرـاحـ فـي غـيـبـوـةـ مـدـةـ، فـتـوـقـفـت عـائـشـةـ عـنـ الـبـكـاءـ، وـرـاحـتـ تـرـقـبـ
مـحمدـاـ الـذـي كـانـ يـتـنـفـسـ تـنـفـسـاـ عـمـيقـاـ فـي قـلـقـ، وـفـجـأـهـ أـلـقـيـ مـحمدـ بـالـشـوـبـ عـنـهـ
وـأـنـتـصـبـ وـاقـفـاـ وـكـانـتـ عـيـنـاهـ تـشـعـانـ سـرـورـاـ فـقـالـ:
أـبـشـرـيـ يـاـ عـائـشـةـ، قـدـ أـنـزـلـ اللـهـ بـرـاءـتـكـ.

وـخـرـجـ مـنـ الدـارـ فـي خـطـىـ سـرـيـعـةـ وـاسـعـةـ، وـوـقـفـ أـمـامـ المـسـجـدـ وـقـرـأـ
الـآـيـاتـ الـتـي أـوـحـيـتـ إـلـيـهـ: (وـالـذـينـ يـرـمـونـ الـمـحـصـنـاتـ ثـمـ لـمـ يـأـتـوـ بـأـرـبـعـةـ شـهـدـاءـ
فـاجـلـدـوـهـمـ ثـمـانـيـنـ جـلـدـةـ، وـلـاـ تـقـبـلـوـاـ لـمـ شـهـادـةـ أـبـدـاـ وـأـلـئـكـ هـمـ الـفـاسـقـونـ).
وـاسـتـمـرـ فـيـ التـلـاوـةـ لـدـقـائـقـ قـلـيلـةـ مـبـيـنـاـ أـحـكـامـ الـرـزـنـ، وـهـذـهـ الـأـحـكـامـ مـفـصـلـةـ
فـيـ السـوـرـةـ الـرـابـعـةـ وـالـخـامـسـةـ مـنـ الـقـرـآنـ.

فـلـمـ اـنـتـهـيـ أـمـرـ بـتـنـفـيـذـ الـعـقوـبـةـ الـتـيـ شـرـعـهـاـ الـاـنـ فـيـ حـسـانـ وـحـمـنـةـ وـمـسـطـحـ
وـكـانـ صـدـيقـاـ لـأـبـيـ بـكـرـ، وـكـانـوـاـ مـمـنـ أـفـصـحـ بـالـفـاحـشـةـ، وـلـمـ يـحـمـلـ أـحـدـاـ مـنـهـمـ حـقـداـ
بـسـبـبـ ذـلـكـ، وـلـاـ يـتـبـدـلـ إـخـلـاـصـ حـسـانـ لـمـحـمـدـ، وـقـدـ وـضـعـ شـرـاـ بـعـدـ ذـلـكـ يـمـتـدـحـ فـيـهـ
فـضـائـلـ عـائـشـةـ.

وـقـدـ تـجـاهـلـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ الـذـيـ كـانـ السـبـبـ الـحـقـيقـيـ لـكـلـ هـذـهـ
الـمـتـابـعـ فـمـاـ كـانـ مـسـلـمـاـ وـعـلـىـ ذـلـكـ لـمـ يـكـنـ خـاـصـعـاـ لـلـأـحـكـامـ الـاسـلـامـيـةـ، وـزـيـادـةـ
عـلـىـ ذـلـكـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ نـمـوـ قـوـةـ مـحـمـدـ، فـإـنـهـ لـمـ يـشـعـرـ بـعـدـ بـقـدـرـتـهـ عـلـىـ عـدـاءـ هـذـاـ

الشخص البغيض عداء مكشوفاً، ومات عبد الله قبله، وكان في موته كما كان في حياته شوكة في جنب محمد.

وإن السؤال الذي يظهر أنه لم يجد الجواب العملي المعقول بعد هو ما إذا كانت عائشة بريئة أو غير بية. كانت حمنة تصر دائماً على أن مقابلة عائشة لصفوان كانت مدببة، فلعلها كانت تتألم من "الثمانين جلدة"، وحتى لو كان الأمر كذلك فإن في رواية عائشة نقطاً ضعيفة. كيف تنطلق عائشة دون أن تخبر أحداً وهي تعلم أن القافلة وشيكة الرحيل ثم تضيع وقتاً طويلاً في البحث عن قلادتها؟ إن عنصر الوقت هنا هام.

إن المعسكر العربي يحتاج إلى وقت لرفعه وعلى الأخص معسكراً كبيراً كمعسكر قوة مغيرة، وحتى إذا ما سارت المجموعة الرئيسية من الجمال في طريقها فهناك المتخلفون، وقلما يتحرك قطار الإبل سريعاً، فإنه ليقطع ميلين في الساعة، وعلى ذلك فمعنى عودة عائشة إلى المعسكر ولم تجد أثراً للقافلة، ولا أثراً للمتخلفين، ولا أثراً لمئات الرجال والدواب في بلاد مكشوفة حتى الأفق، معنى ذلك أن عائشة قد استغرقت ساعتين على الأقل في البحث عن قلادتها، ولقد نامت بعد ذلك كما قالت، فلنفترض أن غفوتها لم تردد عن ساعة حيث ظهر صفوان بعد ثالث ساعات من مسيرة محمد وجنوده، فكيف عرف صفوان عائشة بالنظر، وعلى الأخص حسب ما جاء في قوله في المدينة بعد ذلك، أنه لم تقع عيناه عليها من قبل؟ إن رواية عائشة إما أنها بسيطة وصادقة حتى إنها لتبدو غير محتملة، وإما أن صفوان والقلادة شيء واحد ونفس الشيء.

وهناك بعض الاعتراضات على هذا الفرض الأخير،... فهل كانا يبلغان المدينة معاً ويرضان مسألهما في الطرق؟ وهلا كان صفوان يركب بعيره السريع لينذر القافلة بأن عائشة ليست فيها؟ إن الأمر جمیعه غير واضح، وإننا لن

نعرف الصواب أبداً، كما كان صديقي مدنی يقول عندما كنا نناقش البراهین التي تؤید وتدحض الوسائل الاسلامية المعارضة للوسائل المسيحية في تناول المرأة "فهناك ثلاثة أشياء لا يراها إلا الله وحده هي أثر السمك في الماء، وأثر الطير في الهواء وأثر الرجل في المرأة".

وكان عائشة تقول بعد ذلك بسنین، إن صفوان قد ظهر أنه كان حسوباً لا يأتي النساء، أفهمه ملاحظة شريكة بريئة أم شريكة مذنبة؟ أم هذه روح دعاية طروب؟

وقد فقدت منها قلادتها في مناسبة أخرى فأوقفت جيش محمد جميعه وجعلت الجنود يبحثون عنها حتى وجدوها.

ويقال إن هذا اللهو قد تسبب في رخصة استعمال الرمل في الاغتسال بدل الماء، لأن الجيش قد أمضى وقتاً طويلاً في البحث عن هذه الحلية حتى حان أوان الصلاة قبل أن يصل الجيش إلى الآبار التي سينزل عندها، وكان محمد يهتم بالوضوء، وينبغي أن يسبق الوضوء كل صلاة من الصلوات الخمس، فكان لذلك يحمل معه ماءً أكثر من الضروري، فلما ضيع جيش المسلمين ساعات كثيرة في البحث عن القلادة، نفذ الماء فاستعمل محمد الرمل في التيمم، فأصبح أغلب العرب الرحل يغسلون بالرمل كثيراً، فسواءً أكانت القلادة هي التي جاءت بهذا أم لم تكن، فإن هذا التشريع جعل العرب من أكثر الناس اغتسالاً في العالم.

ثالثا - كارل بروكلمن في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية قال: وأغلب الظن أن مهتما قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدا. وهو أمر لم يكن مستغربا عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمائم الروح. وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد. ومع الأيام أخذ الإيمان بالله يعمق قلبه ويملك عليه نفسه، فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى. ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بالله الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنه يعتبرونها بناة الله ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: " تلك الغرانيق العلي وإن شفاعتهن ترتضي ". أما بعد ذلك حين قوي شعور النبي بالوحدة فلم يعترف بغير الملائكة شفاعة عند الله، وجاءت السورة الثالثة والخمسون وفيها انكار لأن تكون الآلهة بناة الله. ولم يستطع التقليد المتأخر أن يعتبر ذلك التسلیم إلا تحولاً أغراباً به الشيطان، ولذلك أرجئت حوارته إلى أشد أوقات النبي ضيقاً في مكة، ثم ما لبث أن أنكره وتبرأ منه في اليوم التالي (١).

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمن، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبي، الطبعة السابعة ١٩٧٧، بيروت، دار العلم للملايين.

رابعا - ف. بوهل في دائرة المعارف الإسلامية قال: ويشير المستشرق الدنماركي ف. بوهل (١٢٦٠ - ١٣٥١) الأستاذ في جامعة لايبزك، إلى هذه القصة الخرافية المختلفة في دائرة المعارف الإسلامية بعد تقديم ما يلزم من مقدمة ويقول كان النبي مستعداً لتفهم الكلمات التي كانت تلقي إليه من إيحاءاته اللاشعورية، وكان عليه أن يحارب همسات الشيطان، كما تشير الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف، والآية ٩٧ من سورة المؤمنون، ولكنه بين حين وآخر يحاول أن يمزج بين الوحي، وهذه النداءات الشيطانية الخفية، وان هذا ملحوظ تماماً في الآية ٩٨ من سورة النحل، ولكي يصون نفسه من هذه النداءات، كان يدعوا الله ليصونه من ذلك.

لكن تشير الروايات الموثوقة المعتمد عليها انه سمح لنفسه أن تغوي بواسطة الشيطان لمدح اللات والعزى ومناة إلى حد ما لكنه اكتشف زلته فيما بعد ثم أوحى إليه الآية ١٩ من سورة النجم.

خامسا - يوسف شاخت في دائرة المعارف الإسلامية قال: ويشير أيضا إلى أسطورة الغرانيق الخرافية المختلقة وتدخل الشيطان في القرآن (على ما يزعم) المستشرق الهولندي يوسف شاخت. أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن وأستاذ جامعة القاهرة وأكسفورد في لندن وأستاذ جامعة في بيرك السويسرية وكولومبيا في أميركا في مادة "أصول" من (دائرة المعارف الإسلامية).

ويقول في القرآن:

وليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزيهه عن الخطأ على الرغم من امكان سعي الشيطان لتخليطه.

* * *

أنتجت الروايات السابقة ما قاله الأستاذ جارودي روحيه مرشح الحزب الشيوعي - سابقا - لمنصب رئيس الجمهورية الفرنسية بعد أن أسلم في حوار له مع الأستاذ سعد الدين كالتالي:

قرأت القرآن الكريم وأعدت قراءته مرات كثيرة ولا أدرى ان كنت قد فهمته جيدا بالطريقة التي يجب على الانسان أن يفهمه بها أم لا فقد بدا لي ان الرسول عليه الصلاة والسلام جاء بدين عظيم هو أساس الأديان، لم ينكر فيه الأنبياء السابقين بل جاءت رسالته متممة ومكملة للرسالات السابقة، ثم شرعت

في قراءة الأحاديث النبوية وعندما أتيح لي السفر إلى المدينة المنورة قمت بشراء واقتناء مجموعة الأحاديث في كتب البخاري ومسلم فرأيت شيئاً آخر أعتبر عنه بهذه العبارة الصريحة رأيتني وكأنني أمام دين آخر ونشأ في نفسي انطباع من قراءاتي للحديث الشريف اني أمام دين تقليدي. فكل ما وجدته في كتب الأحاديث وكل ما رأيت للرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث عنه أو يشير إلى فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه وأشياء أخرى من هذا القبيل. لا كما رأيت في القرآن الكريم عن الأساسيةات التي تدل على كمال الدين الإسلامي.

عدنان سعد الدين

هذا الذي استخلصته من دراسة الأحاديث بعدما قرأتها في صحيحي البخاري ومسلم.

المترجم: بدا للأستاذ جارودي بعد دراسة الأحاديث الشريفة وكأنه ليس أمام الدين الإسلامي الحنيف الذي قرأ عنه وتعرف عليه في القرآن الكريم. والذي هو كامل ومكمل للأديان. بل كأنه من خلال الأحاديث يقرأ عن دين خاص يعطي صورة عن حياة الرسول (ص) عليه الصلاة والسلام وأموره الخاصة. فهـي ذات طابع شخصي وهذا لا يثير اهتمام الغربيـين ولا يعنـيـهم أن يـعـرـفـوا كـيـفـ كانـ الرـسـولـ يـلبـسـ ثـيـابـهـ أوـ نـعـالـهـ وـكـيـفـ كانـ يـأـكـلـ وـيـجـلـسـ وـيـدـخـلـ وـيـخـرـجـ بلـ يـعـنـيـهمـ وـيـشـدـ منـ اـنـتـبـاهـهـ الـقـضـاـيـاـ الـكـلـيـةـ وـالـمـصـيـرـةـ وـالـأـسـاسـيـةـ فـيـ حـيـاةـ الـإـنـسـانـ،ـ مـثـلـ النـظـرـةـ إـلـىـ الـكـوـنـ وـالـطـبـيـعـةـ وـالـحـيـاةـ وـالـتـوـحـيدـ وـالـإـيمـانـ بـالـلـهـ وـالـرـسـالـاتـ (١).

(١) حوار مع الأستاذ رجاء جارودي لعدنان سعد الدين، القاهرة مكتبة وهبة، مطبعة دار التضامن، ط الأولى سنة ١٤٠٨، ٥، ص ١٩.

خلاصة وخاتمة:

وأنتجت الروايات التي درسناها في أبواب الكتاب ما تقوله المستشرقون
كالآتي بيانه:

أولا - المستشرق مونتجومري وات:

وجد مونتجومري وات بغيته في الروايات المختلقة المنسوبة إلى أم المؤمنين
عائشة وسائر الصحابة في بدء الوحي وقال في كتابه " محمد في مكة " : (لم يكن
محمد واثقا من طبيعة الوحي الذي ينزل عليه و...).

وقال عن أسطورة الغرانيق، في هذا الكتاب وفي كتابه الآخر " محمد
الرسول والسياسي " : (رتل محمد في وقت من الأوقات الآيات التي أوحى بها
الشيطان على أنها جزء من القرآن... ثم أعلن محمد فيما بعد أن هذه الآيات لا يجب
أن تعتبر جزءا من القرآن... وقال: وكان يريد قبولها في الوهلة الأولى، وهذا يدل
على أنه في هذه المرحلة من إيمانه بالتوحيد ما كان يمتنع من الاحترام والدعاء
لبعض الموجودات التي كان يعتقد أنها نوعا من الملائكة... وقال: وهل هذا يعني أنه
كان في ذلك الزمان مشركا).

وقال في كتابه الآخر: " محمد في المدينة " في سبب فرض الحجاب: (وكان
لابد من حماية النساء تجنيا للفضيحة. وتدل حادثة (حديث الإفك) التي لاكت فيها
ألسنة السوء اسم عائشة في المدينة... إلى قوله: ومن بين الشائعات التي انتشرت

... شائعة تقول بأنها قبل فرض الحجاب، تحدثت عدة مرات مع الشاب الذي عاد بها إلى المدينة).

ثانيا - المستشرق كارل بروكلمن

قال بروكلمن في كتابه " تاريخ الشعوب الاسلامية " عن أسطورة الغرانيق: (ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى بالله الكعبة... ولقد أشار إليهم في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرانيق العلي.. - إلى قوله - أما بعد ذلك حين قوى شعور النبي بالوحدانية... ما لبث أن أنكره وتبرأ منه في اليوم التالي).

ثالثا - المستشرق ف. بوهل:

قال بوهل في مادة " قرآن " عن دائرة المعارف الاسلامية: (كان النبي مستعداً لتفهم الكلمات... من ايحاءاته اللاشعورية وكان عليه أن يحارب همسات الشيطان... ولكنه بين حين وآخر يحاول أن يمزج بين الوحي وهذه النداءات الشيطانية الخفية... إلى قوله: وتشير الروايات الموثوقة انه سمح لنفسه أن تغوى بواسطة الشيطان لمدح اللات والعزى ومناه إلى حد ولكنه اكتشف زلتة فيما بعد).

رابعا - المستشرق يوسف شاخت

قال شاخت في مادة " أصول " عن دائرة المعارف الاسلامية: (وليس هناك من شك في قطعية ثبوت القرآن وتزييه عن الخطأ على الرغم من امكان سعي الشيطان لتخليطه).

دراسة موجزة في ما تقوله المستشرقون في ما سبق

١ - عن بدء الوحي: ان أقوال المستشرقين في بدء الوحي نتيجة للروايات التي درسناها سابقاً في الباب الرابع من الكتاب وعرفنا انها مخالفة للواقع التاريخي.

٢ - عن أسطورة الغرانيق: كذلك قد بينا في الباب الخامس انها من مختلقات الزنادقة واستفاد المستشرقون منها.

وقد قال سبحانه وتعالى: (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها هن قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) (إبراهيم / ٢٦).

خامساً - المستشرق ر. ف. بودلى

قال ر. ف. بودلى في كتابه "حياة محمد" عن حديث الإفك: (كان محمد يأخذ دائماً معه زوجة أو زوجتين إذا ما قام برحلاً أو خرج في إغارة... إلى قوله: فلما استيقظت عائشة خرجت إلى الخلاء لبعض حاجتها... فلما همت بدخول هودجها اكتشفت أن قلادتها قد انسلت من عنقها فعادت أدراجها... وعادت لتلحق بالقافلة، ولكن لم تجد هناك قافلة... فالتفت في جلبابها... فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء ولم تكن وحيدة... ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب، ثم أناخ بعيره... وان السؤال الذي لم يجد الجواب... كيف تنطلق عائشة دون أن تخبر أحداً...).

دراسة موجزة فيما تقوله المستشرقون في أخبار الإفك
قد درسنا في الباب الثاني في أخبار الإفك وبيننا أنها لا واقع لها بهذه الكيفية
بل الإفك كان في شأن مارية القبطية، والذين جاؤوا بالإفك عصبة غير هؤلاء،
ولكن المستشرقين قد وجدوا في أخبار الإفك ما يريدون وأخذوا بها وعلقوا
عليها وفق أهوائهم.

وصدق الله سبحانه حيث يقول: (أَفَمَنْ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ
وَرَضْوَانَ خَيْرِ أُمَّةٍ مِّنْ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَاعَ حَرْفِ هَارِ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبه / ١٠٩).

* * *